الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية

لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

دراسة تاريخية تحليلية

الأستاذ المساعد الدكتور
رياض أحمد عبيد العاني
الجامعة العراقية/ كلية الآداب



www.dardjlah.com

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية
لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية

لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

الأستاذ المساعد الدكتور

رياض أحمد عبيد العاني

أستاذ مادة التاريخ الأندلسي/ الجامعة العراقية/ كلية الآداب

الطبعة الأولى

2016

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (190/ 1/ 2015)

956.061

العاني، رياض أحمد

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس/ رياض أحمد العاني.- عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع.

ر.أ: (190/ 1/ 2015)

الواصفات: /التاريخ الإسلامي// الأندلس/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

2016

دار دجلة
ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص.ب: 712773 عمان 11171- الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN: 9957-71-483-3

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

القرآن الكريم

سورة الجاثية، آية 13

الإهداء

❁ الى الرحمة المهداة، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

❁ الى الوالدين رحمهم الله وفاءاً وعرفاناً بالفضل العظيم.

المحتويات

الفصل الثالث

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلف في الاندلس

الفصل الرابع

الوصايا والتوجيهات العسكرية للامراء الخلفاء لصد الهجمات الخارجية

المقدمة

ان لقارئ التاريخ الاندلسي يجد فيه عبر وأي عبر، يستفيد منها المتأمل والمعتبر، لاسيما اذا كان ممن بيدهم مقاليد الامور، واذا كنا قد فقدنا الاندلس فهذا لايقلل من بطولة اهلها لان العبرة في معارك التاريخ بالتضحية والعزيمة والثبات، وفي التاريخ هزائم هي امجد من عشرات الانتصارات.

ولان التاريخ الاندلسي له مكانة خاصة لديّ اثرت ان اكتب عن ذلك التاريخ الذي كان البوابة الرئيسة لانتقال حضارة وفكر العرب المسلمين الى اوربا وايقاظهم من سباتهم ونقلها من الظلمات الى النور، ولان هذا التاريخ دليل حي على حيوية الاسلام وعظمته وقدرته على العطاء غير المحدود، وعلى نزعته الانسانية العالمية التي تتجاوز الحدود من اجل العقيدة ونشرها ونشر الحق والعدل بين البشر لاكما يدعي الغرب الان من دعوى فاسدة وظالمة.

من هنا اخترت موضوع الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء والخلفاء في الاندلس، فتاريخ الاندلس ومأساة انهياره له اسى عميق في نفوسنا على ما اصاب العرَب المسلمين هناك وعلى ما اصاب ذلك القطر من اضطهاد وقتل وتشريد وتعذيب، والذي يزيد من ألمنا نحن هذا الموقف المناقض لموقف العرب المسلمين في الاندلس، ومحاولتهم الجادة لاستئصال الاسلام كدين وحضارة من شبه الجزيرة الايبيرية، واستئصال العرب المسلمين كافراد وكمجتمع له شخصيته المتميزة وكيانه في تلك البقعة من الارض.

ونحاول في دراستنا هذه ان نتحدث عن الافكار السياسية والعسكرية من خلال الوصايا والتوجيهات للامراء والخلفاء في الاندلس، فالافكار تعكس دوماً الظروف والاحوال في بيئة الامة التي تنشأ فيها، فهي جزء من شخصيتها وتراثها

الذي تكون لديها عبر السنين والاجيال. ومن هنا نجد ان صلات الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في تلك الحقبة مع الغير قد تحددت بانطلاقها مما سبق لها من احكام عامة، فالسياسة تقوم على توطيد علاقات سلمية طيبة مع الغير من جهة، وعلى نوايا الاخرين من شعوب وافراد ودول من جهة اخرى حسب نواياه، اما اذا كانت النوايا عدوانية فانه لامفر من ان يقابل العدوان بالردع والحرب بالحرب.

والقائمين بامور الاسلام في تلك الحقبة يعرضون لهذه الصلات منذ اول ظهور الدعوة بالتنظيم بما يكفل لمواجهة الاعداء بالحرب وغيرهم بالمسالمة، من هنا فرضت احكامهم على الاخرين تارة بالصفح والصبر والاعراض عنهم، واخذ الامور بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة اخرى بالردع والحرب، ومن الملاحظ ايضاً ان الدبلوماسية العربية الاسلامية في الاندلس مرت بحقبة من النمو والتطور اصبح لها نظام تهتدي به في اقامة العلاقات مع الغير ولقد اسدت الدبلوماسية للدولة العربية الاسلامية خدمة كبيرة في تثبيت اركان الدولة في حينها، او شن الحرب ورد العدوان تارة اخرى.

لذلك كانت الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية الموجهة من الامراء والخلفاء عامة وخاصة، فالاولى تراهم يوجهون عمالهم وقادتهم بالنصح والارشاد والمتابعة للسيطرة على امور الدولة ونهجها من جهة وتارة اخرى يوجهون حملاتهم وتوجيهاتهم وتوصياتهم السياسية والعسكرية لردع المتمردين وسد الثغور واليقظة والاحتراس من الاعداء، واما الخاصة فكانت موجهة لابنائهم لاسيما في مسألة ولاية العهد واعطائهم وصايا ناتجة عن خبرتهم وتجاربهم في مجال الحكم يضعونها امامهم ليستدلوا بها.

وقد قسمت كتابي على مقدمة اربعة فصول وخاتمة، مع تثبيت قائمة

بالمصادر والمراجع. فتناولت في الفصل الاول لمحة تاريخية عن الوصية السياسية وذلك من خلال الوصية لغة واصطلاحاً والتطرق للعهد الذي هو احد اهم اوجه الوصايا، ثم تطرقنا عن الوصية السياسية عبر التاريخ من خلال تاريخ العرب قبل الاسلام، وعصر الرسول الاعظم واهم وصاياه، وعصر الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) وماجاءوا بوصايا العهد بالخلافة من خليفة الى اخر مع وصيته في هذا الامر، والعصر الاموي وماجرى به من الوصايا السياسية وماطرأ عليها من تغير في مفهومها.

اما الفصل الثاني فتطرقت فيه عن الامراء الامويون في الاندلس وذلك من خلال توصياتهم وتوجيهاتهم السياسية والعسكرية، ذاكراً بعض سيرهم لاثرها الكبير في توجيه سياسة الدولة، فاوضحت كيف جرت الامور والاحداث خلال مدة حكمهم من خلال توصياتهم وتوجيهاتم السياسية والعسكرية، وبينت مسألة وصاية ولاية العهد من امير الى اخر وما اوصى به.

اما الفصل الثالث فتناولت فيه الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلفاء في الاندلس، ذاكراً معهم دور الحاجب المنصور العامري الذي كان هو الحاكم الفعلي في مدة الخليفة هشام بن الحكم المؤيد، مبيناً بعض سيرهم لما لها علاقة في توصياتهم وتوجيهاتهم على الصعيد السياسي والعسكري في البلاد، كما واشرت الى وصاية ولاية العهد وكيف جرت الامور بهذا الخوص.

اما الفصل الرابع فقد تناولت فيه اهم الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء والخلفاء في سياستهم الخارجية تجاه اعداء الاسلام من الممالك النصرانية، والخطر النورماني على بلاد الاندلس، موضحاً اهمية الجيش وما دخل عليه من تعديلات فضلاً عن اهم انجازات الامراء والخلفاء في هذا الصدد.

وختمـت الدراسـة بـاهم مـا توصـلت اليـه مـن نتـائج عـن الوصـايا والتوجيهات، واخيراً فان اوفيت امل القبول لا الاطراء، وان قصـرت جهـودي فمن منا يفي امام جلال وعظمة دولة الاسلام في الاندلس...

وأسأل الله تعالى، ان يثبت اقدامنا علـى الايمـان، ويهـدينا سـواء السـبيل، ويلهمنا الهداية والرشاد، ويتقبل اعمالنا بقبول حسن، ومنه التوفيق والسداد.

الفصل الاول
خلفية تاريخية للوصية السياسية

الفصل الاول

خلفية تاريخية للوصية السياسية

اولاً: الوصية لغة واصطلاحا

الوصية: وصي والوصاة كالوصية والوصاية مصدر الوصي والفعل اوصيت، ووصيته توصية في المبالغة والكثرة، واما الوصية بعد الموت فالعالي من كلام العرب اوصى ويجوز وصى، والوصية ما اوصيت به والوصاية فعل الوصي وقد قيل الوصي الوصاية، وفي اللغة بمعنى العهد اي يعهد الى الغير القيام بامر[1].

---

(1) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت175هـ)، العين، تح: د.مهدي المخزومي ود.ابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (بلا. مكان، بلا. ت)، مادة وصى، مادة عهد؛ الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، (القاهرة، 1964)، مادة عهد؛ ابن سيدة، علي بن اسماعيل (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، 1958م)، مادة عهد؛ الزمخشري، ابو القاسم محمد بن عمر (ت258هـ)، اساس البلاغة، (القاهرة، 1960)، مادة عهد؛ ابن منظور، محمد بن مكلام بن منظور الافريقي (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، مادة وصى؛ الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب (ت718هـ)، القاموس المحيط، (بلا. مكان، بلا. ت)، مادة وصى، مادة عهد؛ الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت721)، تح: محمود فاخر، مكتبة لبنان، (بيروت، 1415هـ 1995م)، مادة عهد؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1889م)، مادة وصى؛ البستاني، بطرس، محيط المحيط، (بيروت، 1870م)، مادة وصى.

=

والوصية حين يتم استعمالها في اللغة والشرع، تعني العهد الخاص بالحياة، وذلك من خلال الحث والزجر لامور الحياة، فضلا عن تمليك الموصي الى مابعد الموت[1]. ويشير ابن منظور[2] الى ذلك ايضا ان الوصية وما اوصى به بمعنى ما يعهد اليه بفعل ذلك الشيء الموصى عليه على غيب منه سواء اكان في حياته او بعد وفاته.

وبما ان موضوع دراستنا عن الوصية السياسية ويتعلق الامر هنا بما يوصي الخليفة لبعده بالبيعة لخلافة المسلمين، فقد اجيز له ان يستخلف شرعا، فمن ثبتت له الخلافة على الامة، جاز له ان يوصي بها الى من يراه يصلح لهذا الامر[3]، واشار القلقشندي[4] الى ذلك بقوله: "الاستخلاف ان يجعله خليفة في حياته ثم يخلفه بعده"، ويؤكد الجرجاني[5] على ان ولاية العهد تعني ان يوصى الخليفة في حياته، بالاشارة على الرجل الذي ياتي بعده، والتقدم الى الغير بما يعمل به مقترناً يوعظ، وتواصي للقوم، اذا اوصى بعضهم الى بعض، والعهد =

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ)، نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار في احاديث سيد الاخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (مصر، بلا. ت)، 6/ 37.

(2) لسان العرب، 15/ 359.

(3) الزحيلي، وهبة، الوصايا والوقوف في الفقه الاسلامي، دار الفكر، (دمشق، 1987)، ص131..

(4) ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تح: يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، 6/ 350.

(5) علي بن محمد (ت 816هـ)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، بلا. ت)، ص138.

ومراعاته حالاً بعد حال[1]. وفي تاريخنا الاسلامي على مر عصوره قد لاحظنا ان هناك توصيات لشخص واحد، اوعدة اشخاص، يختارهم الموصي قبل وفاته.

ثانياً: الوصية في القران الكريم[2]:

---

(1) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت425هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، 1412 هـ- 1992م. مادة وصى، ومادة عهد.

(2) وردت الوصية ومشتقاتها في ايات عدة من القران الكريم كقوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ سورة النساء، الاية 12

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء، الاية 11.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة العنكبوت، الاية 8.

=

الوصية مشروعة بالكتاب واذا رجعنا الى القران الكريم وجدنا ان الوصية

=

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ سورة لقمان، الاية 14.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الاحقاف، الاية 15.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة الانعام، الاية 144.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾سورة الانعام، الاية151.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الانعام: 152.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة الانعام، الاية 153.

قد وردت في ايات عدة منها قوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾(1)

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(2)

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(3)

اما العهد فوردت في ايات كثيرة منها:

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾(4)

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(5)

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ

---

(1) سورة البقرة، الاية180.

(2) سورة البقرة، الاية 132.

(3) سورة الشورى، الاية 13.

(4) سورة طـه، الاية 86.

(5) سورة البقرة، الاية 27.

ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(1)

﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾(2)

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾(3)

﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(4)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾(5)

﴿ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴾(6)

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾(7).

---

(1) سورة ال عمران، الاية 183.

(2) سورة الاعراف، الاية 102.

(3) سورة لاعراف، الاية 134.

(4) سورة التوبة، الاية 7.

(5) سورة الرعد، الاية 25.

(6) سورة الاحزاب، الاية 15.

(7) سورة الزخرف، الاية 49.

ان هذه الايات القرانية الكريمة التي اوردناها تدل صراحة على ان الوصية جائزة ومشروعة، ومن الواضح ان الله تعالى اراد في ايات كثيرة على ان المراد بالوصية هو العهد[1]. ومن الملاحظ ان هناك وصايا عامة اراد بها الله عز وجل ان يجتمع عليها المسلمون ولايتفرقون فيها، فان يد الله مع الجماعة[2].

ثالثاً: الوصية السياسية عند العرب قبل الاسلام:

لمعرفة الخصائص للوصية السياسية ومميزاتها في الاندلس- موضوع دراستنا- لابد من الوقوف على الافكار السياسية التي عبرت عن وجهات نظر من سبقوهم في العمل السياسي والاداري للدولة العربية الاسلامية، وما الت تلك السياسية من تاثيرتها على الوضع العام للدولة واستقرارها، ولكي نعطي الصورة الواضحة عن الوصية في الاندلس للامراء والخلفاء دون التطرق الى التوجيهات العسكرية حتى لايطول بنا الامر نقف على هذا الارث الحضاري السياسي والارث العربي الذي تركوه لمدى تاثر الغرب الاسلامي بهذا الارث.

ان الوصية عند العرب بصورتها العامة كانت غالبا مايتركه الاباء من وصاياهم لابنائهم وافراد عشيرتهم، ليقدموا فيها خلاصة تجاربهم

---

(1) ينظر: الصابوني، محمد بن علي، صفوة التفاسير، دار القران الكريم، (بيروت، بلا. ت)، مج 3/ 135

(2) ابن عربي، محي الدين (ت638هـ)، الوصايا، (دمشق، 1956)، ص5.

وخبراتهم في الحياة حيث ينقل لنا القالي[1] والسجستاني[2] وصايا كثيرة من هذا النوع ولمناسبات شتى.

فكانت تلك الوصايا بمثابة تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل[3]، ويروي لنا الاصفهاني[4]، ان الاصبع العدواني لما احتضر دعا ولده فاوصاه قائلا: "... اني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك مابلغته فاحفظ عني، الن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولاتستاثر عليهم بشيء يسودوك، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، واعزز جارك، وان من استعان بك، واكرم ضيفك، واسرع النهضة في الصريخ فان لك اجلالا يعدوك، وصن وجهك عن مسئلة احد شيئا فبذلك يتم سؤددك".

ويروي لنا الجاحظ[5] وصية تعود الى قيس بن عاصم لابنائه حين قال لهم: "يابني احفظوا عني، فلا احد انصح لكم مني، اذا مت فسوّدوا كباركم، ولاتسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، واياكم ومسالة الناس، فانها شر كسب المرء".

---

(1) ينظر تفاصيل عن تلك الوصايا عند: القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت 356هـ)، كتاب الامالي، (دمشق، بلا. ت).

(2) ينظر: السجستاني، ابو حاتم سهل بن عثمان، المعمرون والوصايا، (القاهرة، 1961).

(3) المصدر نفسه، ص119.

(4) ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ)، الاغاني، (بيروت، بلا. ت)، 3/ 6.

(5) ابو عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 1975)، 2/ 79- 80.

رابعاً: الوصية السياسية في عهد الرسول (ﷺ)[1]:

من المهم ان نفهم بان الظهور الاول للوصية في العصر الاسلامي قد تحدد بوصايا الرسول(ﷺ) وهي متعددة الجوانب، لذلك سنتطرق الى اهم الوصايا السياسية بدءاً بوصيته في خطبة حجة الوداع سنة 10هـ/ 622م، اذ احس الرسول(ﷺ) ان مهمته الدنيوية التبليغية تكاد ان تنتهي، وان الامة الاسلامية بحاجة الى وصية ونصيحة تفهمهم الطريق القويم وبطريقة مقتصرة، ففي عرفات وقف(ﷺ) امام الجموع الغفيرة ليعلن لهم اهداف ومبادئ الدولة العربية الاسلامية اذ قال: "ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان مستوضعا في بني سعد فقتله هذيل. وربا الجاهلية موضوع. واول ربا اضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فانكم اخذتموهن بامان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن ان لايوطئن فراشكم احد تكرهونه. فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم

---

(1) الوصية قد ذكرت في السنة النبوية الشريفة وفي احاديث الرسول ﷺ كثيرة، منها قول الرسول الاعظم ﷺ: "من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصا في مرؤته وعقله، قيل يا رسول الله وكيف يوصي الميت؟ قال: اذا حضرته الوفاة، واجتمع الناس اليه قال: اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، اللهم اني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد ان لااله الا انت".

ينظر: مسلم، الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت269هـ)، صحيح مسلم، تح: عبدالله احمد ابو زينة، كتاب الشعب، (القاهرة، بلا. ت)، 4/ 70.

رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسالون عني فما انتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات[1].

وقد كانت هذه الخطبة- الوصية، الموعظة، النصيحة، الاوامر، البلاغ، التوجيه- بمثابة توجيه عام شامل للمسلمين على اختلاف الحقب، لما تضمنته من مبادئ واحكام، فقد جمعت اصول الدين، وقواعد البر، ومنهج السلوك، ونظمت علاقة الانسان بربه اولا ومن ثم ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه، ونستنتج من وصية الرسول(ﷺ) انها قد ركزت على امور عديدة ومهمة حرص على بيانها للناس، الحاضر منهم يبلغ الغائب، خصها(ﷺ) من بين سائر الاحكام، لعظمتها ولاهميتها في حياة الناس جميعا، وهذه الامور هي الدماء، الاموال، النساء، ثم اوصى بالتمسك بكتاب الله، واخيرا اشهدهم على تبليغ الرسالة.

ولنبدا باول الخطبة أن دماءكم واموالكم حرام عليكم وكان الرسول(ﷺ)

---

(1) الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت207هـ)، مغازي رسول الله، مطبعة السعادة، (مصر، 1948)، 3/ 1103؛ ابن هشام ابو محمد عبدالملك (ت 218هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون، دار الفكر، (بيروت، 1986)، 4/ 250- 252؛ ابن حنبل، احمد (ت241هـ)، المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت)، 3/ 80؛ البخاري، ابو عبدالله محمد بن أسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، تح: قاسم الشماع، دار القلم، (بيروت، 1987)، 1/ 37؛ مسلم، صحيح، 2/ 889؛ ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت 275هـ)، سنن، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا. ت)، 2/ 185؛ الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر، 1960)، 3/ 150- 151.

يعرف جيدا ماكان عليه امر العرب في قبل الاسلام من شيوع حالات القتل والسلب والنهب، فلما اراد(ﷺ) ان يبين لهم ان دماءهم واموالهم التي انتهكوها اصبحت حرام عليهم في الاسلام وهي برمتها كحرمة ايام الحج واشهر الحج وكحرمة هذا البلد- مكة-، والعرب تعرف حرمة هذه الشهور وهذا البلد حتى قبل الاسلام.

وحتى يستوعب الناس الامر جيدا بدا الرسول(ﷺ) باهل بيته فوضع دم ربيعة بن الحارث ليكون للناس القدوة في القول والعمل. ثم يتقل الرسول(ﷺ) في خطبته ووصاياه الى موضوع الربا الذي عانى منه الناس كثيرا وشاع التعامل به في بلاد العرب وبدا باهل بيته ايضا ليضع ربا عمه العباس بن عبدالمطلب، ليكون اهل بيت النبي(ﷺ) اول من تطبق عليهم الاحكام الشرعية ليقتدي بهم الناس، ثم اوصى(ﷺ) بالنساء لمكانة المراة واهميتها في المجتمع وبناء الاسرة، فبين رسول الله(ﷺ) حقوقها وواجباتها في المجتمع العربي الاسلامي على عكس ما كانت عليه ايام العرب قبل الاسلام، ثم اوصى(ﷺ) الناس بالتمسك بكتاب الله الذي فيه الهداية والنور لمن تبعه وانهم لن يضلّوا بعده ابدا ماداموا متمسكين به، واخيرا اشهد الناس جميعا على تبليغ الرسالة واداء الامانة التي بعثه الله سبحانه وتعالى بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور.

اشارت المصادر ان الوصية الثانية للرسول(ﷺ) هي اخراج اليهود من شبه جزيرة العرب، وقال ابن اسحق[1] كان اخر عهد رسول الله(ﷺ) ان قال: لايترك بجزيرة العرب دينان، وذكرت كتب الحديث ان الرسول(ﷺ) اوصى المسلمين

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 316.

بثلاث وصايا، فقد ذكر ابن عباس (ﷺ) قال: قال رسول الله(ﷺ): أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ماكنت اجيزهم قال: وسكت عن الثالثة او قال فنسيتها[1]، وعن ابي عبيدة عامر بن الجراح (ﷺ) قال: آخر ماتكلم به النبي(ﷺ): أخرجوا يهود اهل الحجاز، واهل نجران من جزيرة العرب واعلموا ان شرار الناس الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد[2]، واخرج الترمذي[3] ان رسول الله(ﷺ) قال: لئن عشنا ان شاء الله لاخرجت اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وعن عمر بن الخطاب (ﷺ) انه سمع رسول الله(ﷺ) يقول: لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما[4].

---

(1) ابن حنبل، مسند، 1/ 222؛ البخاري، صحيح، 3/ 1111؛ مسلم، صحيح، 3/ 1258؛ ابو داود، السنن، 3/ 165. ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 193.

(2) احمد، مسند، 1/ 195؛ الحميدي، عبدالله بن الزبير ابو بكر (ت219هـ)، المسند، تحقيق: حبيب عبدالرحمن الاعظمي، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا. ت)، 1/ 46.

(3) الترمذي، محمد بن عيسى (279هـ)، سنن الترمذي، تح: احمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي، (بيروت، بلا. ت)، 4/ 134.

(4) المصدر نفسه، ج4/ 134.

أن عمر بن الخطاب (ﷺ) قد اجلى يهود خيبر عندما بلغه ان رسول الله (ﷺ) قد اوصى في مرضه الذي قبضه الله فيه بقوله: لايجتمع بجزيرة العرب دينان فاخرج عمر (ﷺ) يهود خيبر من شبه جزيرة العرب، فعمر (ﷺ) ادرك ان اقرار اليهود بخيبر ليس نهائيا فقوله (ﷺ): أقركم فيما على ذلك ماشئنا هو كما قال العلماء عائد الى مدة العهد.

ينظر: عبد الناظر، محسن بن حمد، حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة، (الكويت 1409هـ- 1989م)، ص136

قد مرمعنا حديث الرسول (ﷺ) عندما قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد ينجو ما كنت اجيزهم ...[1] فهذه هي الوصية الثالثة للرسول (ﷺ) في مجال السياسة فهذا النص يشير بوضوح الى حرص الرسول(ﷺ) على العناية بوفود العرب، كما يؤكد هذا النص ان وفود العرب كانت تتوافد على المدينة دون توقف اثناء حياة الرسول(ﷺ) وبعده، والرسول(ﷺ) يعلم علم اليقين الاهمية الكبيرة لقبائل العرب في الاسلام، والدور الكبير الذي يمكن ان تؤديه هذه القبائل في خدمة الدولة ونشر الاسلام، لذلك اوصى العناية بالوفود العرب وتكريمهم لانه يعلم(ﷺ) ماهذا التكريم وحسن الضيافة من اثر في نفس العربي الذي يقدم احترامه وتقديره الى من يعامله بحسن وتكريم، وان الرسول(ﷺ) يعلم ان العرب مادة الاسلام لذلك اوصى(ﷺ) اصحابه باجازة الوفود، فهي وصية عظيمة لمن جاء بعده وهي اتباع اثر النبي(ﷺ) في التعامل السياسي مع وفود العرب على نحو ماكان(ﷺ) يتعامل معهم.

خامساً: الوصية السياسية في العهد الراشدي:

الوصايا في رؤية تاملية لبعض الوانها نجدها تشبه الخطب لوجود الطرفين في القول، وقصدية الاقناع فهي خاصة لناس مخصوصين ضمن اطر مناسبات لذاتها، كما في خطب الخلفاء وهم يوصون بالخلافة لولي عهدهم، وذلك بان يترك وصية، وتكون ضمن حدود العقيدة السمحاء وتعاليمها، ولهذا فان

---

(1) ابن حنبل، مسند، 1/ 222؛ البخاري، صحيح، 3/ 1111؛ مسلم، صحيح، 3/ 1258؛ ابو داود، السنن، 3/ 165.

مفرداتها يكون فيها اقتباس من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة في الاغلب على مايفطرها بالنفس وتذكرة الاخرة، واذا ما انتقلنا الى العصر الراشدي راينا ان للخليفة ابي بكر الصديق (ﷺ) وصية مهمة عدها العسكري[1] اول وصية سياسية في العصر الاسلامي، اذ لم تكن تولية عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة برأى منفرد من ابي بكر الصديق (ﷺ) بعيداً عن اهل الحل والعقد من الامة وانما كانت مستندة الى نوع من الشورى التي اشار اليها القران الكريم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2]، وقوله جل وعلا ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

ان ترشيح ابي بكر الصديق (ﷺ) لعمر بن الخطاب (ﷺ) لايقدح بعملية الشورى ولا يقلل من اهميتها مطلقاً. لانها اقترنت باستطلاع ومشاورة قادة الامة في هذه المسالة. حين استدعى الخليفة ابو بكر (ﷺ) كبار الصحابة لاستشارتهم فيما يجيش بنفسه ويختلج في صدره وهو، استخلاف عمر بن الخطاب (ﷺ) على الامة بعده، فتذكر المصادر[4]، انه سال عبد الرحمن بن عوف

---

(1) ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، كتاب الاوائل، تح: محمد السيد الوكيل، (بلا. مكان، بلا. ت)، ص120.

(2) سورة الشورى، الاية 38.

(3) سورة ال عمران، الاية 159.

(4) ابن سعد، محمد بن منيع (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، تقديم: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، 3/ 199؛ الطبري، تاريخ، 3/ 48، ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت328 هـ)، العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، =

عن عمر واستدعى عثمان بن عفان، وسعيد بن زيد وكبار الصحابة من المهاجرين والانصار (ﷺ) كان جوابهم اليه واحد هو ان ابا حفص(ﷺ) افضل من فكرت به وشاروت فيه فهو يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولم يلِ احد اقوى عليه منه[1]. ويعزز ذلك قول علي بن ابي طالب (ﷺ)، لانرضى الا ان يكون عمر بن الخطاب[2].

وبعد ان استكمل ابو بكر الصديق (ﷺ) استطلاعه لاراء الصحابة حول استخلاف عمر بن الخطاب استدعاه وقال له: يا عمر: انه قد ابغضك مبغض واحبك محب بما كان الشر يحب والخير يبغض فدونك هذا العهد فخذه اليك فانت خليفتي من بعدي على الامة. فقال عمر: يا خليفة رسول اللهﷺ انه لاحاجة لي فيها، فقال ابو بكر: فان لم يكن لك فيها حاجة فان بها اليك حاجة وبعد فاني ما حبوتك بالخلافة لكني حبوت الخلافة بك[3]

= (بيروت، 1968)، 4/ 276، ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ)، تاريخ عمر، دار الرائد العربي، (بيروت، 1982)، ص 50، المقدسي، ابو عبدالله احمد بن سهيل، البدء والتاريخ، (الطبعة الاوربية، 1916)، 5/ 176، ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ابي كرم (630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965)، 2/ 425؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1952م)، ص 82.

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 199، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص82.

(2) ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، (القاهرة، 1385هـ)، 4/ 169.

(3) ابن اعثم الكوفي، ابو محمد بن اعثم (ت314هـ)، الفتوح، دار الندوة، (بيروت، 1970)، مصور عن دائرة المعارف العثمانية، ج 1/ 153، ينظر: ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، الامامة والسياسة (المنسوب اليه) تح: طه محمد الزيني، مطابع سجل العرب، =

وانه (ﷺ) بهذه انه اوصى عمر بن الخطاب (ﷺ) ببعض الامور قائلاً له اني اوصيك بوصية ان حفظتها لم يكن شيْ احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعتها لم يكن شيْ ابغض اليك من الموت ولن تعجزه. ان لله عليك حقاً في الليل لا يقبله في النهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل، وانها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فيؤت الدنيا. اني انما استخلفك نظرا لما خلفت ورائي وقد صحبت رسول الله (ﷺ) فرأيت من اثرته انفسنا على نفسه واهلنا على اهله حتى كنا نفضل نهدي الى اهله من فضول ما ياتينا منه وقد صحبتني فرايتني انما اتبعت سبيل من كان قبلي والله ما نمت فحلمت ولا توهمت فسهوت واني لعلى السبيل ما زغت وان اول ما احذرك ياعمر نفسك ان لكل نفس شهوة فاذا اعطيتها تمادت في غيها، واعلم انهم لن يزالوا خائفين ما خفت الله ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك هذه وصيتي... واقرا عليك السلام[1].

ويذكر ابن سعد[2] ان ابا بكر كتب في عهده لعمر (رضى الله عنهما)

(القاهرة، 1967)، ص19، اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، 2/ 126، ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص 57.

(1) ابو يوسف، يعقوب بن اسماعيل (ت 182هـ)، الخراج، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1352هـ)، ص11، ابن سعد، الطبقات، 3/ 199، الجاحظ، البيان، 2/ 61؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسية، ص19، ابن الجوزي، تاريخ عمر، 57.

(2) الطبقات، 3/ 274، انظر كذلك ابن عبد ربه، العقد، 4/ 267، ابن الجوزي، تاريخ عمر 57.

بالخلافة: "... اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا واني لم ال الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيراً، فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الاثم والخير أردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله".

ويبرز النص في هذه الوصية رأي ابي بكر (ﷺ) ومدى ثقته بعمر بن الخطاب(ﷺ) وخطورة المهمة التي اختاره لها من جهة وان مشاورات ابي بكر للصحابة في هذه المهمة كانت بمثابة ترشيح للخلافة وهو ما نطلق عليه بالبيعة الخاصة التي لم تكن ملزمة لعموم الامة لان مبدا الترشيح هو كذلك الا ان الامة ايدت واقرت هذا الترشيح ببيعة عامة للخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وبذلك اقترنت البيعة الخاصة بالبيعة العامة وهي الاهم.

تولى عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة بشكل رسمي بعد وفاة ابي بكر الصديق (ﷺ) سنة ثلاث عشرة هجرية باقتران خلافته ببيعة الامة له[1]. وخطب عمر (ﷺ) في الناس بعد ان وارى جثمان ابي بكر الصديق (ﷺ) الثرى فقال:

"أن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم وابقاني فيكم بعد صاحبي والله لا يحضرني شيئاً من امركم احد دوني ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والامانة ولئن احسنوا لاحسنن اليهم ولئن اساؤا لا نكلن بهم"[2].

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 27؛ ابن خياط، خليفة (ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الاداب، (النجف، 1386هـ- 1967م)، 1/ 106؛ ابو حنيفة الدينوري (ت282هـ)، الاخبار الطول، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، (القاهرة، 1960)، ص 113؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 126؛ الطبري، تاريخ، 3/ 428.

(2) ابن سعد، الطبقات، 3/ 275؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 64.

=

=

اما خطبته حين ولي الخلافة يذكرها ابن عبد ربه: قال عمر (ﷺ): أيها الناس اني داع فامنوا، اللهم اني غليظ فليني لاهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الاخرة، وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك واهل الدعارة والنفاق، من غير ظلم مني لهم والاعتداء عليهم، اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدارة الاخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم اني كثيرة الغفلة والنسيان، فالهمني ذكرك، على كل حال. وذكر الموت في كل حين، اللهم اني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وصلاح النيات، والحذر من الشبهات... ثم كان اخر كلام عمر: اللهم لا تدعي في غمره لا تاخذني على غرة ولا تجعلني من المنافقين.

العقد الفريد، 4/ 65. ينظر: ابن سعد، الطبقات، 3/ 274؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، مطبعة الاصيل، (دمشق، 1969)، 1/ 280.

ونستطيع ان نلمس من خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) انه اخذ يتحسس عظم المسؤولية وثقلها، كما انه اخذ في الوقت نفسه يتمنى ان يوفق في سياسته بين القوة والشدة التي لازمته طول حياته وبين المرونة واللين اللذين يتطلبهما منصبه الجديد، لذا نجده يدعو الناس الى مشاركته في المسؤولية وينشد من خلال ذلك تحقيق العدالة والمساواة- الديمقراطية- في الحكم. فهو المسؤول الجريء الذي طلب من مواطنيه تبيان نواقصه في ادارة الدولة العربية الاسلامية لكي يستطيع ان يتجاوزها الى ما هو افضل واصلح للرعية التي شغلت باله كثيراً.

وبعد ان طعن وقبل وفاته لم يكن الخليفة عمر (ﷺ) ليترك شؤون المسلمين بل كعهده دائماً كان دائم التفكير في كل ماهو خير لهم، فكانت مسالة الخلافة من بعده من الامور المهمة وهو يعاني من اثر هذه الطعنة الغادرة. ولعل الخليفة عمر (ﷺ) في هذه الاثناء استحضر

=

لم تكن الشورى التي وضعها عمر (ﷺ) مطلقة بل انها مزجت بين مبدأين مبدأ الشورى ومبدأ اختيار من هو اكثر قدرة لتحمل هذه المسؤولية، فقد تم اختيار ستة رجال[1] من الصحابة اشتهروا بخدامتهم الكبيرة واخلاصهم للاسلام وتفانيهم في سبيله وان لكل منهم دوره واهميته لذلك كان موقف عمر (ﷺ) يجمع بين مبداي الشورى والاختيار المحدد.

ان الخليفة عمر (ﷺ) بهذا العمل اراد ان لا يفرض على المسلمين حكماً وعهداً ورأياً من جهة، ومن جهة اخرى اراد ان تكون الشورى دستوراً للمسلمين، من بعده (ﷺ).

وكانت هذه اول شورى للمسلمين من بعده وذلك لان القران والسنة حثا عليها في مواضع شتى بصيغة الامر كقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]، وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[3].

وقد عرض احد اولاده عليه امراً بانْ يستخلف لو استخلفت، قال من؟ قال: تجتهد فانك لست لهم برب تجتهد، ارايت لو انك بعثت الى قيم ارضك لم

= ما حدث للمسلمين يوم السقيفة وما دار بها لذا راى من واجبه ان يختار للمسلمين خليفة او يجعل للخلافة نظاماً خاصاً بها فكانت الشورى في الحكم.

(1) الستة هم، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب، عبدالرحمن بن عوف، طلحة بن عبيد الله، سعد بن ابي وقاص، الزبير بن العوام (رضي الله عنهم وأرضاهم).

(2) سورة ال عمران، الاية 159.

(3) سورة الشورى، الاية 38.

تكن تحب ان تستخلف مكانه حتى يرجع الى الارض؟ قال: بلى، قال: ارايت لو بعثت الى راعي غنمك الم تكن تحب ان يستخلف رجلاً حتى يرجع؟[1]، يذكر ابن هشام ان جواب عمر (ﷺ) على هذا ان اترك للناس امرهم فقد تركه نبي الله ﷺ وان استخلف من هو خير مني[2].

وعندما اشار عليه رجلاً من الصحابة بان يعهد لابنه عبدالله قال له: قاتلك الله ما اردت الله بهذا[3]. ويضيف الطبري[4] عن عمر (ﷺ) قوله ما حسدتها فارغب فيها لاحد من اهل بيتي، ان كان خيراً فقد اصبنا منه، وان كان شراً فشر عنا ال عمر، يحسب ال عمر ان يحاسب منهم رجل واحد ويسال عن امر امة محمد ﷺ، اما لقد جهدت نفسي وحرمت اهلي...'.

وعلى الرغم من ان الخليفة عمر (ﷺ) ارتاى ان يكون امر الخلافة من بعده لمن بقي من العشرة المبشرة بالجنة والذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. لم يدخل ضمن المرشحين سعيد بن زيد الذي كان احد العشرة المبشرين وذلك لقرابته من عمر (ﷺ)[5]، وحينما اطمأن الفاروق (ﷺ) الى اختياره عدة تدابير لتوفير الاجواء المناسبة لانتخاب خليفة المسلمين ومن هؤلاء الستة ز منها

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343.

(2) ابن هشام، السيرة، 4/ 302؛ ابن سعد، الطبقات، ج3/ 343؛ الطبرى، تاريخ، 4/ 228؛ المسعودي، ابي الحسن على بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين، (بيروت، المكتبة الاسلامية، بلا. ت)، 2/ 330.

(3) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343.

(4) تاريخ، 4/ 228. ينظر: ابن الاثير، الكامل، 3/ 65.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 150.

حصل ابنه عبدالله مشاوراً ومشيراً لاهل الشورى في مسالتهم لكن ليس له من الامر شي[1]. وكذلك فرغهم للتشاور والانتخاب ودعا صهيباً للصلاة بالناس ووضع شروطاً حاسمة لهم يذكرابن سعد[2] فان اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا راسه. ويذكر ابن قتيبة[3] قوله لاهل الشورى ان استقام خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلفوا في ثلاث فاحتكموا الى عبدالله فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخرون فاضربوا اعناقهم، ويقول البلاذري[4] ان عمر (ﵠ) قال ليتبع الاقل الاكثر فمن خالفكم فاضربوا عنقه، كما انه اصدر قرارا بضرب اعناقهم جميعا ان لم يتتخبوا خليفة لهم خلال ثلاثة ايام[5].

ان هذه النصوص وغيرها تؤكد ان عمر (ﵠ) كان حريصا على وحدة المسلمين وعلى الاجماع وانه كان يخشى الفتنة بين المسلمين.

وقد اوصى الخليفة عمر بن الخطاب (ﵠ) الخليفة من بعده ببعض الامور

---

(1) ابن قتيبة، الامامة، ص24؛ الطبري، تاريخ، 4/ 229.

(2) الطبقات، 3/ 342. ينظر الطبري، تاريخ، 4/ 299؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 91.

(3) الامامة والسياسة، ص24؛ الطبري، تاريخ، 4/ 299؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 276، المسعودي، التنبيه والاشراف، صححه وراجعه: عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتاليف، (مصر، 1938)، ص252.

(4) احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1959)، 5/ 18.

(5) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 150.

التي راها بحاجة الى التذكير وهو تقليد سار عليه الخلفاء عند احتضارهم، كما فعل ابو بكر الصديق (ﷺ) معه من قبل، فقد قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، واوصيه بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم وكرامتهم واوصيه بالانصار الذين تبواوا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم، واوصيه باهل الانصار فانهم رده الاسلام وغيظ العدو وحياة الاموال ان لاياخذوا منهم الا فضلهم عن رضى منهم، واوصيه بالاعراب فانهم اصل العرب ومادة الاسلام، ان ياخذ من حواشي اموالهم فيرد على فقرائهم، واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ ان يوفي لهم بعدهم وان يقاتل من ورائهم، ولايكلفوا فوق طاقتهم[1].

اما الوصية السياسية في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) ولعلمه بوجود عناصر تعمل على اثارة الفتن والاضطرابات، وضع تحذيره في كتاب أرسله الى عماله جاء فيه: أما بعد فان الله خلق الخلق فلا يقبل الا بالحق، خذوا الحق واعطوا الحق، ولاتكونوا اول من سلبها، والوفاء الوفاء لاتظلموا، فان الله خصم لمن ظلمهم[2]. ان هذه الوصية رغم انها تضمنت عبارات موجزة لكنها اكدت على الحق الذي هو من اسمى تعاليم الاسلام لما له اثر في الحياة الدنيا[3].

والوصية السياسية في عهد الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (ﷺ) فقد

---

(1) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 3/ 339؛ الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 46؛ الطبري، تاريخ، 4/ 192؛ ابو يوسف، الخراج، ص14؛ ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ)، كتاب الاموال، تح: محمد خليل مراس، دار الفكر ط2، (بيروت، 1395هـ- 1975م)، ص595.

(2) الطبري، التاريخ، 4/ 245.

(3) الفريح، سهام، الوصايا في الادب العربي القديم، (الكويت، 1988)، ص57.

تكون الاضطرابات التي حدثت في عهده (ﷺ) وما اكتنف تلك الايام من تمادي الفتنة واستمراها وتفرق الامة الى شيع وطوائف كل ذلك لم يدع فرصة للخليفة(ﷺ) ليوصي بالخلافة، على الرغم من ان النصوص تشير على ان المسلمين التفوا حوله فسالوه عما اذا كان ياذن لهم بمبايعة ابنه الحسن (ﷺ) فما كان من الامام علي (ﷺ) الا ان يخاطبهم: "ما امركم ولا انهاكم، انتم ابصر باموركم"[1]. ويذكر لنا ابن سعد[2] في هذا الصدد قال الناس للخليفة علي بن ابي طالب(ﷺ): "فاستخلف علينا، قال:لا ولكن اترككم الى ماترككم اليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك اذا اتيته؟ قال: اقول اللهم تركتك فيهم، فان شئت اصلحتهم، وان شئت افسدتهم".

لكن مع ان الخليفة علي(ﷺ) لم يبت في امر الخلافة ويوصى بها، لكن هناك توصيات سياسية قد وجهها الخليفة (ﷺ) الى ابنائه فاوصاهما قائلا: "اوصيكما بتقوى الله، ولاتبغيا الدنيا وان بغتكما، ولاتبكيا على شيء زوى عنكم، وقولا الحق، وارضا اليتيم، واصنعا للاخرة، وكونا للظالم خصيما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في كتاب الله ولا تاخذكما في الله لومة لائم"[3].

---

(1) الطبري، تاريخ، 5/ 146– 147؛ ابن الاثير، الكامل، 4/ 55؛ ابن كثير، ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تح: احمد ابو ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، ط4، (بيروت، 1988)، 7/ 327.

(2) الطبقات الكبرى، 3/ 34.

(3) ابن ابي الحديد، عز الدين ابي عامر المدائني (ت656هـ)، شرح نهم البلاغة، دار الكتب العربية الكبرى، (مصر، بلا. ت)، 1/ 44؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت733هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تح: محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية، (القاهرة، 1975)، 20/ 733.

ويشير ابن الاثير[1] أن الامام علي (ﷺ) خاطب ابنه محمد بن الحنفيه قائلا: هل حفظت ما اوصيت به اخويك؟ قال نعم. قال: فاني اوصيك بمثله، واوصيك بتوقير اخويك، العظيم حقهما عليك وتزين امرهما، ولاتقطع امر دونهما، ويبدو ان الامام علي (ﷺ) اراد بوصيته ان يضيف لولده محمد امورا اخرى اكثر مما ورد في وصيته الى الحسن والحسين (رضى الله عنهما).

سادساً: الوصية السياسية في العصر الاموي:

الوصية السياسية في العصر الاموي حديث ذو مديات شاسعة لايمكن ان يدرك في سطور قليلة لذا ارتايت ان ابرز اهم مميزات الوصية فيه، ذاكرا نماذج او فقرات من وصايا الخلفاء مما يعزز هذه الفكرة حول الوصية في هذا العصر، عصر جديد تبدلت فيه مفاهيم واحوال الحكم، فتشعبت النظرة واختلفت وباتت تتطلي الى امور جديدة لم تكن موجودة في السابق، فصارت السلطة تتمثل في شخص واحد، كذلك ظهور مبدا الوراثة في انتقال السلطة. لكن مبدا الوراثة هذا لم يكن المبدا الوحيد الذي تحكم في وصول هذا الخليفة او ذاك الى الحكم، بمعنى ان ليس جميع خلفاء بني امية وصلوا الى الحكم عن طريق وصية الخليفة الاب الى ابنه[2]، وعليه فان ماتقدم يرشدنا بان الحكم قد تغير وبما ان الوصية السياسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحكم فمن الاولى ان تتغير هي ايضا، فان مفاهيمها وافكارها قد تغيرت تبعا للمنهج والطريقة الجديدة الذي يقود بها

---

(1) الكامل، 3/ 196.

(2) لمزيد من التفصيلات ينظر: الدوري، عبد العزيز، النظم الاسلامية، دار الكتب للطباعة، (بغداد، 1988)، ص40 ومابعدها.

الخليفة دفة الحكم، او وفقا لوجهة نظره السياسية مع الاخذ بنظر الاعتبار الظروف المحيطة بها.

فالخليفة معاوية وصل الى الحكم عن طريق القوة والدهاء في ظل اجواء غير طبيعية وبعد حروب اهلية دامية، وهو الذي رسخ مبدا الوراثة في الحكم بوصيته لابنه الذي لم يالفه المسلمون من قبل واذا ماعلمنا ان الموصى له لم يكن تلك الشخصية التي بمقدورها ملء الفراغ السياسي الذي يتركه غياب معاوية عن السلطة[1]، على اية حال كان من الضروري ان تبقى سياسة القوة ماثلة امام عين معاوية وهو يوصي خلفه، ولهذه الاسباب مجتمعة اتسمت وصية معاوية الاخيرة لابنه يزيد بالقوة والحزم اذ قال: يابني اني كفيتك الرحلة والترحال، ووطات لك الاشياء، وذللت لك الاعداء، واخضعت لك اعناق العرب، واني لاتخوف عليك ان ينازعك في هذا الامر الذي اسندت لك الا اربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن ابي بكر، فاما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق احد غيره بايعك. واما الحسين فان اهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فان له رحما وحقا عظيما، واما ابن ابي بكر فليست له همة الا في النساء واللهو، فان راى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، واما الذي يجثم جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فاذا امكنته فرصة وثب فابن الزبير، فان هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه اربا اربا[2] وتشير الروايات ان يزيد كان

---

(1) بيضون، ابراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري، (بيروت، 1979)، ص149.

(2) اورد الطبري روايتين الاولى لم يذكر رأي معاوية بالامصار العربية كالحجاز والعراق =

غائبا فاذا بمعاوية ابن ابي سفيان يرسل على الضحاك بن قيس الفهري، كان صاحب شرطته فاوصاه ان يبلغ ابنه وصيته التي تقول: أنظر اهل الحجاز فانهم اهلك، فاكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر اهل العراق، فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملا فافعل، فان عزل عامل احب اليّ من ان تشهر عليك مائة الف سيف، وانظر اهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فان رأبك شيء من عدوك فانتصر بهم، فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم[1].

توفي معاوية سنة ستين للهجرة وتسلم يزيد مهام السلطة، ولم يترك يزيد بن معاوية وصية لابنه الذي عهد اليه بالخلافة من بعده، ولا لابناء الاسرة الاموية ولا للامة الاسلامية، ويبدو انه لم يكن يرى ان الموت سيداهمه وهو لم يزل بعد في سن الشباب، ومن ثم فانه لم يلتفت الى هذه الناحية كما التفت اليها ابوه معاوية من قبل. او انه لم يجد شيئا يقوله في وصيته، فهو مجرد من التجارب والخبرات التي يتحتم عليه ان يبرزها للاجيال اللاحقة، كما ان رصيده في الرؤى السياسية لايستاهل اي نوع من التسجيل.

على اية حال فانه بموت يزيد بن معاوية في منتصف شهر ربيع الاول سنة 64هـ يمكن القول بأن دولة الفرع السفياني قد سقطت او انتهت. فقد تولى

= والشام، وذكر رأيه بعبد الرحمن بن ابي بكر، ونجده في الرواية الثانية، يذكر الامصار العربية دون ذكر عبد الرحمن بن ابي بكر، وقد وحدهما ابن الاثير.

تاريخ الملوك، 5/ 322- 323؛ الكامل، 4/ 6. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في اخبار الملوك والامم، حققه وقدم له: الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، (بيروت، 1995)، 4/ 1491

(1) المصدر نفسه، 4/ 1491-1492.

الخلافة بعده وبعهد منه ابنه معاوية الذي كان له من العمر انذاك حوالي عشرين سنة. ولم يعمر معاوية الحفيد في منصبه سوى مدة وجيزة ارتفع بها البعض الى ثلاثة اشهر ونزل بها اخرون الى عشرين يوما[1]. ومات معاوية الحفيد دون ان يعهد بالخلافة الى احد. بل يذكر عنه انه قال بخصوص هذا الموضوع[2]:

"..... اما بعد فاني ضعفت عن امركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم اجده. فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم اجدهم. فانتم اولى بامركم فاختاروا له من احببتم".

وفي منتصف شهر ذي القعدة من السنة نفسها. اخذت تظهر بوادر تحول في مسار التاريخ الاسلامي. وكانت الخطة الاولى في هذا التحول بيعة انصار الدولة الاموية لمروان بن الحكم بالخلافة. وهذه البيعة تعد بداية تاسيس دولة الفرع المرواني. وقد سجل التاريخ لمروان انه استعمل ابنه عبد العزيز على مصر. وقال له موصيا. حين ودعه[3]:

"ارسل حكيماً ولا توصه. اي بني انظر الى عما لك فان كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخره الي عشية. وان كان لهم عشية فلا تؤخره الى غدوة. واعطهم حقوقهم عند محلها. تستوجب الطاعة منهم. واياك ان يظهر لرعيتك منك كذب. فانهم ان ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك واهل العلم. فان لم يستبين لك فاكتب الي ياتك رايي فيه ان شاء الله تعالى. وان كان

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)، سير اعلام النبلاء، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، 1955)، 4/ 139.

(2) ابن الاثير، 4/ 130. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 8/ 237– 238.

(3) ابن عبد ربه. العقد الفريد، 1/ 49.

بك غضب على احد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وانت ساكن الغضب منطفيء الجمرة. فان اول من جعل السجن كان حليما ذا اناة. ثم انظر الى اهل الحسب والدين فليكونوا اصحابك وجلساءك. ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم. على غير استرسال ولا انقباض. اقول هذا واستخلف الله عليك".

خلف مروان بن الحكم بالخلافة ابنه عبدالملك بعهد منه الذي يراه الدارسون بحق مؤسس الدولة المروانية، او المؤسس الثاني للدولة الاموية.

في اطار الزاوية التي نحن بصدد دراستها يبدو ان عبد الملك كان يعمد الى محاكاة او تقليد معاوية في كثير من الامور، فقد سجل التاريخ لعبد الملك افتتاحية ووصية او مجموعة من الوصايا. وهذا امر طبيعي، ولكن الذي يستلفت الانتباه ان عبد الملك على ما يبدو اراد ان يحاكي معاوية في كثير من الجزئيات ذات العلاقة بالافتتاحية. فقد وقت معاوية افتتاحيته بعد مدة من انفراده بالخلافة وكذلك فعل عبد الملك، والقى معاوية خطبته الافتتاحية على المنبر في المسجد النبوي. وكذلك فعل عبد الملك. وجاء القاء معاوية لافتتاحيته عقب ادائه لفريضة الحج. والشيْ نفسه حدث مع عبد الملك بن مروان.

القى عبد الملك خطبته الافتتاحية عقب موسم حج سنة 75هـ. وفيها قال بعد حمد الله والثناء عليه[1]:

أما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء ياكلون المال ويوكلون. واني والله لا اداوي ادواء هذه الامة الا بالسيف. ولست بالخليفة المستضعف- يعني عثمان- ولا الخليفة المداهن- يعني معاوية- ولا الخليفة المافون- يعني يزيد بن معاوية.

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 64.

ايها الناس انا نتحمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية او وثوب على منبر، هذا عمرو بن سعيد- الاشدق- حقه، قرابته وابنه، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا، وان الجامعة التي خلعها من عنقه عندي، وقد اعطيت الله عهداً ان لا اضعها في راس احد الا اخرجها الصعداء.

وفيها يقول ايضاً[1]: الا واني لا اداوي هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، وانكم تحفظوننا اعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل اعمالهم، وانكم تامروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من انفسكم، والله لا يامرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه.

هذا هو الجو العام الذي القيت فيه هذه الخطبة. وبالتالي فان الوعيد والتهديد هما العنصران البارزان فيها.

وسجل التاريخ لعبد الملك انه قبيل وفاته تحدث بمجموعة من الاقوال تبدو للوهلة الاولى وكانها وصايا متعددة، على حين ان المتمعن فيها يرجح انها وصية واحدة شاملة ضمت العديد من الوصايا الجزئية، ومصادرنا التاريخية[2]، تحدثنا عن هذه الوصية فنقلت لنا ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكي عليه عند راسه فقال: يا هذا احنين الحمامة، اذا انا مت فشمر واتزر، والبس جلد نمر،

---

(1) هذا النص منقول من ابن الاثير، الكامل، 4/ 391- 392.

(2) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 1/ 270- 271؛ ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 7/ 201- 202؛ ابن الاثير، الكامل، 4/ 517- 518؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، 3/ 127- 128؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ ص67.

وضع سيفك على عاتقك، فمن ابدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه.

ثم اقبل عبد الملك بذم الدنيا فقال: أن تطويلك لقصير، وان كثيرك لقليل وان كنا فيك لفي غرور. ثم اقبل على جميع ولده فقال: أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية، فالتقوى خير زاد، وافضل في المعاد، وهي احصن كهف. وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، مع سلامة الصدور، والاخذ بجميل الامور، واياكم والبغي والتحاسد فيهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين. يا بني اخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، اصدروا عن رايه، واكرموا الحجاج فانه وطأ لكم هذا الامر[1]، وكونوا اولاداً ابراراً وفي الحروب احراراً وللمعروف مناراً.

وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب، فانهم اصون له واشكر لما يؤتي اليهم منه، وتمغدوا اهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا[2].

من النص السابق يتضح لنا ان وصية عبد الملك في ايامه الاخيرة تتكون، بالنظر الى من وجهت اليهم، من جزءين اساسيين، الجزء الاول موجه الى ابنه وولي عهده الوليد سياسي محض فيبدو انه كان متخوفا من وقوع ثورات

---

(1) نص هذه الجزئية لدى ابن اعثم كالتالي: وانظروا ابني مسلمة حفظه الله اذا قدم من ارض الروم، فاعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله وكذلك فاعرفوا لاخي محمد بن مروان حقه وسنه، واكرموا الحجاج بين يوسف فانه وطا لكم البلاد، واذل لكم العباد ، وعقد لكم القناطر وداس لكم رقاب العرب.

(2) هذه الفقرة من الوصية منقولة عن ابن الاثير، الكامل، 4/ 518.

وحركات تمرد ضد الوليد، والجزء الثاني موجه الى اولاده جميعا وعلى قسمين ديني خالص وسياسي بواجهة اجتماعية.

توفي عبد الملك في منتصف شوال سنة 86هـ، وحل محله في الخلافة ابنه وولي عهده الوليد، وكان انذاك قد ناهز الرابعة والثلاثين، وقد سجل له التاريخ انه استهل عهده بافتتاحية عدد فيها اهم مناقب ابيه عبد الملك، ثم اشار بايجاز شديد الى السياسة التي سيسير عليها، وهي سياسة العنف ضد الخارجين على الطاعة والمنشقين على الجماعة.

قال الوليد في افتتاحيته بعد ان حمد الله واثنى عليه[1]:

أيها الناس، انه لما اخر الله، ولا مؤخر لما قدم الله، وقد كان من مضاء الله وسابق علمه، وما كتب على انبيائه وحملة عرشه الموت، وقد صار الى منازل الابرار ولي هذه الامة بالذي يحق عليه لله من الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل، واقامة ما اقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارة على اعداء الله. فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً. ايها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد. ايها الناس من ابدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي عيناه،ومن سكت مات بدائه.

نجد ان الوليد قد سار بالدولة في نفس المسار الذي رسمه لها ابوه، وانه بدأ من حيث انتهى عبد الملك، وبالتالي كانت انجازاته الرائعة في الميدانين الداخلي

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 14. وقد اورد افتتاحية الوليد كل من اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 283؛ المسعودي، مروج الذهب، 3/ 170. وابن الاثير، الكامل، 4/ 522. وابن خلدون، العبر، 3/ 129.

والخارجي، ويكفي ان نعرف ان جيوش الوليد قد وصلت في فتوحاتها الى اواسط اسيا في الشمال الشرقي، والى قلب القارة الهندية في الجنوب الشرقي، والى مداخل جبال البرانس في القارة الاوربية، كل هذا تحقق في عهد الوليد على الرغم من ان خلافته تجاوزت تسعة اعوام وعدة شهور.

توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت منتصف ربيع الاول، سنة 96هـ، بعد ان امضى في الخلافة حوالي تسعة اعوام وخمسة شهور، وكان عند وفاته في حوالي الخمسين من العمر[1]. وتولى الخلافة بعده بعهد من عبد الملك اخوه سليمان. وقد افتتح الخليفة الجديد عهده بان صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال[2]:

"الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء اعطى، وما شاء منع، وما شاء رفع، وما شاء وضع. ايها الناس، ان الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب باهلها، تضحك باكيها وتبكي ضاحكها، وتخيف امنها وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها وتفقر مثريها، ميالة باهلها. عباد الله، اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما، واجعلوه لكم هاديا ودليلا، فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده، واعلموا عباد الله انه ينفى عنكم كيد الشيطان ومطامعه، كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا اسفر وادبار الليل اذا عسعس".

وقد برزت النزعة الدينية لدى سليمان كاقوى ما يكون في والوصية التي

---

(1) خليفة بن خياط، تاريخ، 1/ 313– 314؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء 4/ 348.

(2) المسعودي، مروج الذهب، 3/ 174. وتوجد هذه الافتتاحية ايضاً لدى ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 179.

تركها عند وفاته، فقد سجل التاريخ له انه ترك وصية مكتوبة[1]، وهي وصية مطولة ومما جاء فيها:

"... وان ولي عهدي فيكم، وصاحب امري بعد موتي في جندي ورعيتي وخاصتي وعامتي، وكل من استخلفني الله عليه واسترعاني النظر في الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز، ابن عمي، لما بلوت من باطن امره وظاهره، ورجوت الله بذلك، واردت رضاه ورحمته ان شاء الله، ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده، فاني ما رايت منه الا خيراً، ولا اطلعت له على مكروه. وصغار ولدي وكبارهم الى عمر، اذ رجوت الا يألوهم رشداً وصلاحاً والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو ارحم الراحمين، واقرا عليكم السلام ورحمة الله، ومن ابى عهدي هذا وخالف امري فالسيف ن ورجوت الا يخالفه احد، ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان اعتب والا فالسيف والله المستعان. ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان".

والتعليق الختامي على سليمان يمكن اجماله في القول: بان هذا الخليفة يقدم نموذجا طيبا للالتقاء التام بين البداية والنهاية، وايضا للتجانس الكامل بين الاقوال والاعمال، فسليمان في افتتاحيته هو سليمان في وصيته، مجموعة من

---

(1) ابن قتيبة. الامامة والسياسة، 2/ 80؛ القلقشندي، صبح الاعشى 9/ 360.

ويوجد لدى ابن خلدون، العبر، 3/ 74. وصية موجزة نصها "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله سليمان امير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، اني قد وليتك الخلافة بعدي، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك. فاسمعوا واطيعوا. واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم".

القيم الدينية البعيدة عن الرياء والمخادعة، وسليمان في حكمه وادارته هو سليمان كما عبرت عنه كلمات افتتاحيته وايضا مضمون وصيته.

في صفر سنة 99هـ توفي سليمان بن عبد الملك بعد خلافة استمرت حوالي اربعة وثلاثين شهرا، وخلفه بعهد منه ابن عمه عمر بن عبد العزيز، فقد سجل التاريخ لعمر بن عبد العزيز انه القى خطبة افتتاحية عقب البيعة الخاصة، وقد قال في هذه الخطبة بعد حمد الله والثناء عليه[1]:

أيها الناس اني لست بفارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، وان من حولكم من الامصار ان اطاعوا كما اطعتم فانا واليكم، وان ابوا فلست لكم بوال.

ومما قاله عمر بن عبد العزيز في افتتاحيته هذه[2]: أن الهارب من الامام الظالم ليس بعاص، ولكن الامام هو العاصي، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

هذه هي الاولى التي القاها عمر على الارجح عقب البيعة الخاصة، اما الافتتاحية التي القاها عقب البيعة العامة فقد قال فيها، كما يذكر ابن الاثير[3]:

أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فلا يقربنا، يرفع الينا حاجة

---

(1) ابن خلدون، العبر، 3/ 74. وتوجد هذه الفقرة لدى المسعودي، مروج الذهب، 3/ ص185. مع شيْ من الحذف والاضافة. ويوجد هذا النص عند ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ ص199.

(2) المسعودي، مروج الذهب، 3/ 185.

(3) الكامل في التاريخ، 5/ 63، وانظر ايضاً ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 198.

من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا من الخير على ما نهتـدي اليه، ولا يغتابن احداً، ولا يعترض فيما لا يعنيه.

وحفظ التاريخ لعمر بن عبد العزيز وصيتين، الاولى وصية خاصة وجهها عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك. ولي عهده والخليفة من بعده. والثانية وصية عامة خاطب فيها المسلمين عامة. وقد اتخذت الوصية الخاصة شكل رسالة وجهها عمر الى ولي عهده يزيد. على حين اتخذت وصيته العامـة شـكل خطبـة كانت اخر ما خاطب به عمـر المسـلمين عامـة مـن علـى منبر الجـامع الامـوي بدمشق، والمصادر بين ايدينا لا تشير الى الترتيب الزمني بين الوصيتين، ولكن من الممكن القول بان الوصية الخاصة، والتي يبدو انه كتبها وهـو في مرضـه الاخـير، جاءت تالية للوصية العامة.

مهما يكن من امر ن ففي الوصية الخاصة قال عمر بن عبد العزيز[1]:

أما بعد، فاني كتبت اليك وانا دنف من وجعي، وقد علمت انـي مسئول عما وليت، يحاسبني عليك مليك الدنيا والاخرة. ولست استطيع ان اخفي عليـه عملي شيئاً ..... فان يرض عني الرحيم فقد افلحت ونجوت من الهوان الطويل، وان سخط علي فيا ويح نفسي الام اصـير؟ اسـال الله الـذي لا الـه الا هـو ان يجيرني من النـار برحمتـه وان يمـن علـي برضـوانه والجنـة. وعليـك بتقـوى الله، والرعية، فانك لن تبقى بعدي الا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير والسلام.

---

(1) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيـز، تـح: السـيد الجميلـي، مكتبـة الهـلال، (القاهرة، 1985) ص 277. وتوجد وصية مـوجزة لـدى كـل مـن ابـن الاثـير، الكامـل، 5/ 67؛ ابن خلدون، العبر، 3/ 199.

اما الوصية العامة، او اخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز، فقد قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه[1]: اما بعد، فانكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى وحرم جنة عرضها السماوات والارض.

الم تعلموا انه لا يامن غداً الا من حذر اليوم الاخر وخافه، وباع فانيا بباق، ونافذا بما لا نفاذ له. وقليلاً بكثير، وخوفاً بامان. الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيكون من بعدكم للباقين، كذلك حتى ترد الى خير الوارثين. ثم انكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً الى الله لا يرجع، قد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع الارض، في بطن صدع غير موسد ولا ممهد، قد فارق الاحباب، وواجه التراب والحساب. فهو مرتهن بعمله غني عما ترك فقير لما قدم، فاتقوا الله قبل القضاء، وراقبوه قبل نزول الموت بكم.

وكما هو واضح فان وصيتي عمر بن عبد العزيز تحملان صبغة دينية قوية، اذ انهما تركزان على العلاقة بين الانسان وربه، والثواب والعقاب، وهذه الصبغة تتفق تمام الاتفاق مع شخصية عمر بن عبد العزيز، وهي الشخصية التي برزت بوضوح ايضا في افتتاحيتيه اللتين تحدثنا عنهما سلفا.

سابعاً: فتح الاندلس سنة 92هـ واول الوصايا والتوجيهات.

لابد من الاشارة الى اهم الوصايا والتوجيهات التي رافقت افتتاح الاندلس التي فتحت في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، فصارت احدى ولايات الدولة

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 199.

العربية الاسلامية، قبل الخوض في تفاصيل الوصايا والتوجيهات في عصري الامارة والخلافة الذي استمر فيها حكم بني امية في الاندلس بعد سقوط خلافتهم في المشرق على يد العباسيين.

فبعد ان صفا شمالي افريقية بكامله لحكم المسلمين، بدأ موسى بن نصير يتطلع الى فتح الاندلس، وكان الوليد بن عبد الملك قد اصبح خليفة دمشق مكان والده عبدالملك بن مروان، فارسل موسى يستشيره بالامر ويهون عليه العملية، وان البحر الفاصل بين الاندلس والمغرب الاقصى انما هو خليج يبين ماوراءه، ولكن الوليد اصر على ضرورة الحذر، وانه لابد من اختبار هذا الخليج بالسرايا قبل اقتحامه واكد بقوله "خضها بالسرايا حتى ترى، وتختبر شانها، ولاتغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال"[1]. وجواب موسى بن نصير الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بانه "ليس ببحر متسع، وانما هو خليج يبين ماوراءه"[2]، وبادر الخليفة الى الرد "وان كان فلابد من اختباره بالسريا قبل اقتحامه"[3].

ولقد تم الامر كما رسم الخليفة الوليد وخطط للعملية بعد درسها واختبار البلاد المزمع فتحها اذ يشير ابن قتيبة[4] الى ان موسى بن نصير يامر مولاه طارق بن زياد بان يتمم السفن بقوله "اتممها سبعا ثم سر بها الى شاطئ البحر، واستعد

---

(1) المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968)، 1/ 237.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 4/ 122

(3) المقري، نفح الطيب، 1/ 237.

(4) الامامة والسياسية، 2/ 115-116.

لشحنها... ووالت الاحداث وذلك بان فتحت الانـدلس مما حـدا بموسـى بـن نصير ان يورد رسالة الى الخليفة يبشره بالفتح اذ قال: انها ليست كالفتوح يـاامير المؤمنين، ولكنه الحشر[1].

وتشير النصـوص ان طـارق بـن زيـاد تـلا خطبـة تعـد مـن اول الخطـب والتوجيهات والوصايا للعرب المسلمين الفاتحين للاندلس بقوله: قام في اصحابه، فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو اهله، ثم حث المسلمين على الجهـاد ورغبهم في الشهادة ثم قال: ايها الناس، اين المفر؟ البحـر مـن ورائكـم والعـدو امامكم وليس لكم والله الا الصـدق والصـبر، واعلمـوا انكـم في هـذه الجزيـرة اضيع من الايتام في مادبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته، واقواته موفورة، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم، ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم، وان امتدت لكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم، وتقوضت القلوب من رعبها منكم الجراة عليكم، فادفعوا عـن انفسـكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذه الطاغية، فقد القت به الـيكم مدينتـه الحصينة، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحـتم لانفسـكم بـالموت، وانـي لم احذركم امرا انا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا وانا ابدا بنفسي، واعلموا انكم صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالـذ طويلا، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه باوفى من حظي...[2].

---

(1) الامامة والسياسية، 2/ 123.

(2) المقري، نفح، 1/ 240–241. ينظر: ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمـد (ت681هـ)، وفيات الاعيان، تح: محـي الـدين عبدالحميـد، (بـيروت، 1978)، 5/ 321–322 يكـاد يكـون مطابقـا للـنص اعـلاه. كمـا اورد الخطبـة: ابـن حبيـب، عبـدالملك =

ويمكن ايراد الاستنتاجات التاريخية التي ظهرت في الخطبة[1]، براعة القائد طارق باللغة العربية على الرغم من كونه بربريا، حث المقاتلين على مواصلة الجهاد حتى الاستشهاد في سبيل الله. والتوصية والتاكيد على المقاتلين بالحذر واليقظة والاستعداد لمقاتلة العدو. واغراء جنده بالخيرات الغزيرة والنساء الجميلات في بلاد الاندلس. ورغبهم بالشهادة والجنة واكد عليهم بالصدق والصبر في القتال. وحذرهم من كثرة جيش العدو الكافر ووفرة اقواته وذخيرته.واعلمهم بثقة الخلافة الاموية بزعامة الوليد بن عبد الملك وحسن اختياره لهم وثقته بهم. واجبرهم على قتل الملك الاسباني لذريق حتى لو استشهد القائد طارق في المعركة.

= (ت238هـ)، افتتاح الاندلس، تح: محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، العدد 1-2 (مدريد، 1957)، ص222 ذكرها باختصار. وانظر: ابن هذيل الغرناطي، تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس، مصور لويس مرسي، (باريس، 1932)، ص70-71 مقارب لنص ابن حبيب، وعند ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 2/ 117- 118 فيه اختلافا واقصر؛ ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعين، (بيروت، 1957)، ص 138-139.

(1) شكك بعض الباحثين المحدثين من الخطبة فضلا عن قيام طارق بحرق السفن. للتفاصيل حول هذه الشكوك ينظر: عنان، محمد عبدالله، دولة االاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)، 1/ 46- 49؛ العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1982)، ص63- 68؛ بدر، احمد، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها، (دمشق، 1972)، ص21-23؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي، دار القلم، (دمشق، 1976)، ص57- 62.

الفصل الثاني
الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء في الاندلس

الفصل الثاني

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء في الاندلس

تمهيد: قيام الامارة الاموية في الاندلس

كان لنجاح الثورة العباسية سنة 132هـ/ 750م، ودخول قواتها وسيطرتها على الشام، كانت ايذاناً بانهاء الحكم الاموي في المشرق، اذ لم يكتف العباسيون بما حققوه من انتصار على الحكم الاموي بل اخذوا يتعقبون فلول بني امية، والقاء القبض على بعضهم، والتنكيل بالبعض الاخر بمنتهى العنف والتعسف والقسوة[1]. الامر الذي دفع بكثير من ابناء بني امية من الهرب خارج الشام، ومن بين هؤلاء الناجين عبدالرحمن بن معاوية احد احفاد هشام بن عبدالملك الذي توجه نحو شمال افريقيا ومنه كان عبوره الى الاندلس[2].

---

(1) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 3/ 236؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، (القاهرة، 1325هـ)، 2/ 2؛ فوزي، فاروق عمر، العباسيون الاوائل، دار الارشاد، بيروت، (1390هـ/ 1970م)، 1/ 323؛ الجومرد، عبدالجبار، هارون الرشيد، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، مطبعة دار الكتب، (بيروت، 1956)، 2/ 30.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 60؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص7؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 121؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 54؛ ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبدالحق، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت، بغداد، بلا. ت)، 1/ 187.

وقد قام الداخل بالاتصال بموالي بني امية في الاندلس ويسألهم في امكانية قيام الدولة الاموية في الاندلس[1]، مما سهل نشر دعوته هناك موالي المروانيين

---

(1) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، 67؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 28.

تحدث لنا ابن عذاري عن قصة نجاة عبد الرحمن الداخل والطريق الذي سلكه بقوله "فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفيا من موضع الى موضع، وهمه الاندلس، لما كان في نفسه من امرها ومن الاثر المروي عنه منها، فوصل الى مصر، ثم سار منها الى برقة، فبقى فيها مستترا مدة، ثم رحل عنها، فاوغل في المغرب". ينظر: البيان، ج2، ص40-41. ويقول مؤلف مجهول "فوصل الى مصر ثم الى برقة فبقى فيها مستترا خمس سنين ثم رحل عنها". ينظر: فتح الاندلس، ص44- 45.

وقص لنا عبد الرحمن بن معاوية الداخل طريقه هروبه بعد مذبحة القلعة حيث تحدث بها الى جماعة من البدو استقر عندهم وقال لما امنا وشاع ذلك ركبت متنزها فوقع بهم، وانا غائب فرجعت الى منزلي فنظرت فيما يصلح اهلي ويصلحني وخرجت حتى صرت في قرية على الفرات ذات شجر وغياض وانا والله ما اريد الا المغرب... فاخذت دنانير معي ونجوت بنفسي واخي ماعلمت اخواتي بمتوجهي فامرتهن ان يلحقني مولاي بدر، واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا اليّ اثرا، فاتيت رجلا من معارفي وامرته فاشترى لي دواب وما يصلحني". ينظر: مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص51؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص8؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص361-362. وبذلك نجح عبد الرحمن بن معاوية من عبور نهر الفرات سباحة مع اخيه يحيى الذي وثق بنداء العباسيين بالامان والعودة الى البر بعدما عجز عن اكمال سباحة النهر كما ورد بالنص: "عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان فاخذوه..." ينظر: ابن الاثير، الكامل، 4/ 362؛ ابن القوطية، افتتاح، ص23؛ مؤلف مجهول، فتح الاندلس، ص44". وعلى ضوء الاحداث التاريخية التي مرت بهروب عبد الرحمن بن معاوية ووصوله الى المغرب يروي لنا ابن خلدون صورة عن ذلك بقوله: "فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزه من برابرة =

وانصارهم[1]، فضلاً عن الاضطرابات الموجودة في الانـدلس ابـان ايـام الـوالي يوسف الفهري، والصراع الدامي على الحكم، وتأجج روح العصبية القبلية بـين قبائل مضر واليمن[2]، كل هذا سهل على نشـر دعوتـه. ومـن ثـم قيـام الدولـة الاموية فيما بعد بالاندلس.

عهد الامير عبد الرحمن الداخل 138 - 172هـ

لقد كان في وسع التاريخ ان يمر بهذا الرجل[3] كما مرّ بملايين العرب مـن

= طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب... ويقال نزل على قوم من زناتة فاحسنوا قبولـه واطمان منهم ثم لحق بمليله وبعث بدرا مولاه الى مـن بالانـدلس مـن مـوالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له بالاندلس دعوة ونشروا لـه ذكـراً ابـن خلـدون، العـبر، 4/ 131.

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص47؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 121؛ مؤلـف مجهـول، اخبـار مجموعة، ص74.

(2) للاطلاع ينظر: المراكشي، المعجب، ص39؛ ابن الخطيـب الغرنـاطي، الاحاطـة في اخبـار غرناطة، 1/ 452؛ عنان، دولة الاسـلام، 1/ 112ومابعـدها؛ بـول، سـتانلي لـين، طبقـات سلاطين الاسلام، ترجمه للفارسية عباس لقبال، وترجمه عن الفارسية مكي مـاهر الكعـبي، حققه وقابله على البصري، دار منشورات البصرى، (1388هـ- 1968م)، ص24.

(3) وصف المؤرخون الامير عبد الرحمن الداخل باوصاف حميدة واشادوا بسيرته ننقـل نخـب تاريخية من تلك النصوص الاتية:

ان الداخل شخصية ذات استقلال وملامح خاصـة، فقـد وصـف بانـه كـان صـبوح الوجـه، طويل القامة، اشقر الشعر، خفيف العارضين، بوجهه خال، رشيق الجسم، ولايعيبه سوى فقدان احدى عينيه. =

=

ينظر: المقري، نفح الطيب، 1/ ص311.

اذ كان فحلاً من فحول بني امية فيه رهبة وحزم "كان عبدالرحمن عظيم الهيبة مخوف البادرة، لايقدم على رد مايصدر عنه"

ابن الآبار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، اعتاب الكتاب، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور صالح الاشقر، المطبعة الهاشمية، (دمشق، 1380هـ/ 1961م)، ص72

واتصف بأنه كان "حليماً عالماً وحازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لايخلد الى راحة ولايسكن الى دعة ولايكل أموره إلى غيره ولايتفرد في ابرامها برأيه وكان يشبه ابا جعفر المنصور في حزمه وشدته وضبطه لملكه".

النويري، نهاية الارب في فنون الادب، 22/ 5.

تفاخر الأمير الداخل بسيرته وأفعاله الطيبة ويفخر بنفسه في أبيات شعرية تمجد مواقفه الانسانية والى علو الهمة والاستعداد للحرب

بالقفر والايطان بالسرادق فقل لمن نام على النمارق

ان العلا شدت بهم مطارق فاركب اليها ثبج المضائق

ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 42؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 117؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 42.

كما وصف مؤلف مجهول بقوله: "كان عبد الرحمن راجح العقل، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد الى راحة، ولا يسكن الى دعة، ولا يكلُ الامور الى غيره، ثم لا ينفرد في ابرامها برايه، شجاعا مقداما..."

ذكر بلاد الاندلس، 1/ 109.

وقال عنه المقري "كان الامام عبدالرحمن الداخل راجح العقل راسخ العلم واسع الحلم كثير

=

=

الحزم نافذا لعزم، لم يرفع له لـواء قـط علـى عـدو الا هزمـه، ولابلـد الا فتحـه، شـجاعاً مقداماً شديد الجد وقليل الطمأنينة، لايخلد الى راحة ولايسكن الى دعة، لايكل الامـور الى غيره، كثير الكرم عظيم السياسة، يلبس البياض ويعتم به، وكان في خلافته يعـود المرضـى ويشهد الجنائز ويصلي بالناس في الجمع والاعياد ويخلص في الاستسقاء ويبكي ويتضـرع".
نفح الطيب، 3/ 37.

اما عن صفاته الادبية فان الـداخل معروف مـن ناحيـة انـه سـليل اسـرة ذات نباهـة وعلـم ورياسة، اذ نشأ في بيت عريق في العلم والمعرفة، لذلك كان واسع الثقافة، بصيراً في فنـون عدة عرف بالفصاحة والبلاغة. وقد ذكرنا في صفاته انه كان فاسح العلم، طلـق اللسـان، لذلك لانستغرب اذا كان للداخل اثار ادبية وشـعرية ذات قيمـة ادبيـة كمـا أنّ لهـا قيمـة تاريخيـة. فقـد كـان "يكلـم رؤسـاء النـاس ووجـوهم بكـلام يسـرهم ويطيـب نفوسـهم، فينصرفون عنه مغتبطين مسرورين، يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره".

المقري، نفح الطيب، 4/ 38.

"كان فصيحا بليغا كاتبا مرسلا جيد الفصول حسن التوقيع، مطبوع الشعر، وكان شاعرا مجيـدا وكان من البلاغة بالمكان العالي، الذي يرتد عنه اكثر بني مروان حسيراً".

مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 109 مشابه لنص ابـن الخطيـب الغرنـاطي، اعمـال الاعـلام، ص10.

وهناك نصاً اخر حول امكانية الداخل الادبية ورده على ثائر قاتله في الطريق ثم نظر الـداخل اليه وهو مكبل فوق البغل وكان الداخل يركب فرساً، ضرب رأس البغل بالسوط وقـال: "يابغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق! فقال الثائر: يافرس ماذ تحمل من العفو والاشفاق. فقال: والله لاذقت موتاً على يدي، واطلقه.

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 87

ان الامثلة التي ذكرناها تدل على طـول باعـه في عـالم الادب، فاضـافت الى شخصـيته صـفة اخرى تميز بها عن غيره، وقد اعانته ملكة الخطابة من التأثير علـى الغـير وحـين تتعـرض
=

قبله دون ان يأبه لهم او يحظروا له بال فهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن مناف[1]، فهو شامي الوطن، عربي الأرومة، اموي القبيلة، وكانت ولادته في سنة 113هـ/ 731م، في دير حنين او دير حسينه من اعمال دمشق[2]، وقد نشأ عبد الرحمن يتيماً فقد مات ابوه سنة 118هـ/ 736م وهو لايزال طفلاً صغيراً، فكفله جده هشام بن عبد الملك الى ان مات الاخير، ثم كفله سليمان بن هشام

= لسياسته وتوجيهاته سنعرف هذه الحس الادبي من خلال مخاطبته لجنوده من الوهلة الاولى وهو يقاتل الفهري، وبفضل ما اوتي به من قوة العود، وصلابة الرأي ان يتمكن من تصفية خصومه السياسين الواحد تلو الاخر، فصفا له الجو، ومهد له حكم الامارة فدانت له الاندلس.

(1) ابن حزم الاندلسي (ت456هـ)، جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت)، ص92.

(2) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية، طبع بمطبعة نهضة مصر، (القاهرة، 1981)، ص50؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963)، ص40؛ ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 658هـ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التاليف والترجمة النشر، (القاهرة، 1963)، 1/ 35؛ ابن الاثير، الكامل، 6/ 110؛ ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ)، البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980)، 2/ 71.

الى ان قتل[1].

اما امه فكانت ام ولد[2] من قبيلة نفزة من عرب المغرب تدعى راح[3]، ويكنى عبدالرحمن بـ (ابو المطرف) و(ابو زيد) و(ابو سليمان)[4].

تمكن عبد الرحمن الداخل من فرض سيطرته على الاندلس بعد ان اجرى عدة اتصالات مع مواليه واستغلاله للظروف المواتية هناك[5]، ولما عبر الداخل

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، حققه وترجمه للاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983)، 1/ 109.

(2) هي الجارية التي يطؤها سيدها بملك اليمين فتلد منه، ومن احكامها انها تبقى على ملك سيدها ولايجوز له بيعها حتى يموت، فاذا مات سيدها صارت حرة سواء اكانت قيمتها ثلث مال سيدها ام اقل من الثلث ام اكثر منه.

ينظر: الامام محمد بن احمد بدر الدين الدمشقي، الدرة البهية، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح، (مصر، بلا. ت)، ص 23.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 71.

(4) ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 35؛ ابن الاثير، الكامل، 6/ 110.

(5) ويمكن حصر الظروف التي ساعدته هي: اشتداد الفوضى والاضطرابات والفتن الداخلية بالاندلس عند وصوله المغرب. وانشغال الوالي يوسف الفهري والصميل بن حاتم الكلابي بتجهيز حملة عسكرية على سرقسطة بعد هجمات الممالك الاسبانية وتحركاتها على الثغور الاندلسية.

ينظر: ابن القوطية، افتتاح، ص23.

يتبين لنا ان نجاح عبد الرحمن الاموي من الحصول على تايد وعطف الامويين في الاندلس وكسبهم الى حركته. تقريب البربر ودعمهم وتاييدهم ووقوفهم الى جانب عبد الرحمن بن معاوية لان امه (راح) بربرية من نفزة. كذلك بث عبد الرحمن الاموي الوعود والامال =

الى الاندلس ارسل رسولين الى الصميل حاكم الاندلس الفعلي الى جانب يوسف الفهري يدعوهم الى نصرته. فوعدوه بذلك[1]، ثم رجعوا عن رأيهم هذا وقالوا للرسولين: "-تأملنا- الامر- فوجدناه- صعب المرام. فبارك الله لكما في

= بتحسين اوضاع الاندلس واحواله. مع نجاح المفاوضات والاتصالات التي اجراها مولاه (خادمه) بدر في الاندلس. الفتنة القبلية بين المضرية (الحاكمة في الاندلسن) واليمنية التي ينتمي لها عبد الرحمن بن معاوية حيث حصل على عطفهم واجرى اتصالات سرية مكثفة معهم. وقوع الوالي يوسف الفهري تحت ضغط وتاثير الصميل الذي اشاد اليه بالتودد والتقرب الى عبد الرحمن الاموي حيث ارسل اليه وفدا وهدايا ثمينة تعبيرا عن الاحترام.

ينظر: ابن القوطية، افتتاح، ص23.

"فدخلا إلى الصميل بن حاتم وسألاه ان يخلي نفسه لهما ففعل وذكراه ببني امية عنده وعند سلفه وقالا له ان عبد الرحمن بن معاوية نجا الى بلد البربر وهو مستتر فيه خايف على نفسه وينتظر وصيته بسبل الامان في نفسه ويتوسل اليك بما قد علمته وانت ذاكراً له فقال نعم وكرامة واكد يوسف هذا الا ان يزوجه ابنته وشركه في سلطانه".

ينظر: مجهول، اخبار مجموعة، ص13؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 46.

"....ان عبد الرحمن، لما اتاه كتاب الفهري بما فيه وبتزويجه ابنته، اشار عليه كل من اتاه من العرب والامويين الا يقبل ذلك منه "فضلاً عن المجاعات التي اصابت الاندلس والنكبات التي حلت به من عام 131-136هـ/ 748-753م، فقد ازهقت ارواح ابرياء واتعبت النفوس وسئمت الرعية من سياسة الوالي عبد الرحمن الفهري، وكان ينتظر اهل الاندلس الفرج بعد الشدة وقد وجدوا ضالتهم في عبد الرحمن الاموي وبوعوده وآماله للاندلسيين.

ينظر: مجهول، اخبار مجموعة، ص55ـ56.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 44.

رأيكما ومولاكما، فان احب غير السلطان فله عندي ان يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه، انطلقا راشدين[1]. وهذا يدل على ان المفاوضات التى ارادها الداخل مع الصميل والفهري بائت بالفشل، وهذا بمثابة اعلان الحرب. مما حدا بالداخل ان ينزل المنكب في شهر ربيع الثاني سنة 138هـ/ ايلول 755م[2] ويتقدم الى طرش[3] وانضم اليه بنو امية واليمانية ووصل الخبر الى يوسف الفهري الذي كان غائباً عن قرطبة في شمال البلاد بان ابن معاوية قد دخل، ونزل طرش عند عبيدالله بن عثمان واصفقت معه بنو امية، وان خليفتك على البيرة زحف اليه بمن خف من اهل الطاعة ليخرجه فهزم وضرب اتباعه. ولم يقع قتل فالرأي رأيك[4].

قام يوسف الفهري بارسال رسالة الى عبد الرحمن الداخل قبل الحرب بينهما يعرض عليه الرعاية ويحاول خداعه اذ قال له أما بعد، فقد انتهى الينا

---

(1) المصدر نفسه، 2/ 67.

(2) ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 35؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، 76؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 121؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 31. بينما يذكر بعض المؤرخين ان وصول الامير الداخل الى الاندلس كان سنة 139هـ/ 756م. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/ 500؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 5/ 244.

(3) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص49؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، 75، ابن الاثير، الكامل، 5/ 494؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 3.

(4) الشعراوي، احمد ابراهيم، الامويون امراء الاندلس الاول، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1969)، ص75، دوزي، رينهارد، تاريخ مسلمي اسبانيا، تعريب: حسن حبشي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (القاهرة، 1963)، ص200.

نزولك بساحل المنكب، وتأبش[1] من تأبش اليك ونزع نحوك من السراق واهل الختر والغدر ونقض الايمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا وبه جلا وعلا نستعين عليهم، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش حتى غمصوا ذلك واستبدلوا بالامن خوفاً وجنحوا الى النقض، والله من ورائهم محيط، فان كنت تريد المال وسعة الجناب فانا اولى لك ممن لجأت اليه، اكنفك واصل رحمك وانزلك معي ان اردت وبحيث تريد. ثم لك عهد الله وذمته في الا اغدر لك، ولا امكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره.[2]

لكن عبد الرحمن الداخل سار يريد قرطبة، بينما الفهري هيأ نفسه لملاقاته والتقى الطرفان في موضع يقال له المصارة[3] على نهر الوادي الكبير بقرطبة،

---

(1) أبش: الجمع ويقال تأبش القوم وتهبشوا إذا تجيشوا وتجمعوا، ابن منظور، لسان، 6/ 263.

(2) ابن عذاري، البيان، 2/ 45-46؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 153؛ سالم، تاريخ المسلمين في الاندلس، 184- 185.

(3) المصارة وتعني بالاسبانية المعصرة محل وموقع لعصر الزيتون والاعناب وكانت تقع خارج مراكز المدن وبالقرب من الانهار في المغرب والاندلس، كما كانت تقام فيها العاب الفروسية ومراسيم الاحتفالات والعروض العسكرية والصلوات العامة كالاستسقاء. انظر العبادي في تاريخ المغرب والاندلس، ص59.

وحدث اللقاء العسكري الحاسم عند المصارة على نهر الوادي الكبير بقرطبة واتخذ كل من الوالي الفهري وجنده والثائر عبد الرحمن الاموي ضفه او جهة من النهر وقد تجمعت عند كل منها اعداد من المتطوعين، وقد وضح ابن الكردبوس تلك الحالة بقوله: "ومن كان يجد على يوسف الفهري موجدة لمظلمة جرت عليه او تقصير قصر به او لعطاء حرمه قال الى عبد الرحمن فاجتمع عنده جمع كبير وقصد بهم قرطبة دار امره الفهري فبرز =

وذلك في صباح يوم الخميس من شهر ذي الحجة سنة 138هـ/ 756م[1]، فقام الداخل بتوجيه جنوده وهذا هو اول توجيه عسكري يقوم به، فخطب امام جنده وقد بدأ اول مابدء به تناول الجند قبل الدخول في المعركة وحمل قسماً كبيراً من توجيهه ووصيته يدور حوله وحول اعداءهم وذلك لما للجند من شأن كبير في حسم المعركة، قائلاً "هذا يوم هو امسى ما يبنى عليه: اما ذل الدهر، واما عز الدهر، فاصبروا ساعة فيما لاتشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون" وانا لنستنتج من هذا التوجيه ان الداخل ينفخ الهمة وروح العزيمة التي تزيد البعض قوة، فياله من توجيه سياسي صائب، وانا لنقف باكبار واجلال امام هذا القائد العظيم الذي يجعل من الكلمات والتوجيهات التي يملي بها على مسامع الجند اكبر من قوة السلاح، نلمس هذا من خلال قوله "هذا يوم هو امسى مايبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر" ويدعوهم الى الصبر.

فينتقل بالجند الى قول اخر يثبت به وصاياه للجند ويدعم انفسهم بالصبر

= اليه الفهري في جيش لا يحصى كثرة فاقتتلا وتحاربا مدة من عام الى ان هزم الفهري وقتل واستبيح عسكره وقتل اكثره ودخل عبد الرحمن قرطبة، وطاعت له الاندلس باسرها" واستجاب الناس الى دعوته، ولما اكملت لديه الجيوش، عقد اللواء، ونهض نحو قرطبة، وكان الامير يوسف الفهري يومئذ غائباً عنها،محاصر مدينة سرقسطة".

ينظر: ابن الكردبوس، عبد الملك (من علماء القرن السادس الهجري)، قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط) تحقيق: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، 1971)، ص56؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص8.

(1) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص86؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 113-114.

على المكاره التي سوف تلاقيهم في المعركة وهذا واضح من خلال قوله وتوجيه جيشه قبل المعركة الحاسمة مع الفهري امام قرطبة بقوله أنا لم نجيء للمقام، وقد دعانا هذا الرجل الى ماعلمتم وعرض ماسمعتم، ورأي لرأيكم تبع[1]، فان كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافحة فاعلموني، وان يكن فيكم جنوح[2] الى السلم فاعلموني، ولايخفى على الفطن بما في هذا التوجيه من معالجة لنفس الجند ودفعهم الى نصرة الحق الذي يرى انه صاحبه، وكان نتاج هذا التوجيه اتفاق القوم على القتال.

---

(1) تبع: التابع التالي ومنه التتبع والمتابعة والاتباع يتبعه يتلوه تبعه يتبعه تبعا والتتبع فعلك شيئا بعد شيء تقول تتبعت علمه أي اتبعت آثاره تقول هؤلاء تبع وأتباع أي متبعوك ومتابعوك على هواك، الفراهيدي، العين، ج2/ 78؛ بن المطرز، ابو الفتح ناصر الدين بن السيد بن علي (ت610هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود الفاخوري وعبد الحميد المختار، مكتبة اسامة بن زيد، (حلب، 1979)، 1/ 101.

وقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات منها:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة الآية: 38.

(2) جنح: مال واجتنحته أي أملته فجنح أي مال واجتنح مال على أحد شقيه وجنوح الليل إقباله وجنح الظلام أقبل الليل وجنح الظلام وجنح الطريق جانبه.

ينظر: الفراهيدي، العين، 3/ 83- 84؛ ابن منظور، لسان العرب 2/ 428؛ المقري، احمد بن محمد بن علي (ت770 هـ) المصباح المنير، المكتبة العلمية، (بيروت، بلا. ت)، 1/ 111.

وقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات منها: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة الأنفال: 61.

ومن المعالجات النفسية التي امتاز بها هذا القائد الحكيم انه بدأ بتطمين الجند بأن النصر حليفهم لامحالة وجاء بأمر ترتاح له النفس في مثل هذا الموضع وذلك حينما قال الداخل: أي يوم هذا؛ قالوا يوم الخميس يوم عرفة، فقال، لنعبر اليوم، فالاضحى غداً الجمعة، وهو يوم فأل[1] طيب لعائلتي فيه سيقت الخلافة لها، والمتزاحفان اموي وفهري، والجندان قيس ويمن، قد تقابل الاشكال جدد، ارجو انه اخو مرج راهط[2] فابشروا وجدوا[3]، فهو يبشرهم بتوجيه نفسي رائع يزيدهم قوة واصراراً، وبالجملة نتاج هذا التوجيه السياسي والعسكري الفذ ان الداخل قد استطاع من خلال هذه التوجيهات الرائعة

---

(1) الفأل: ضد الطيرة والجمع فؤول والطيرة ضد الفأل يقال لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك ولا طير عليك ولا شر عليك أن من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 11/ 513.

قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سورة يس: الاية 18.

(2) معركة مرج راهط حدثت في محرم 65 هـ وقيل 64هـ بين مروان بن الحكم الاموي ومعه اليمنية والضحاك ابن قيس الفهري ومعه القيسية، انتقل بعدها الحاكم الاموي من الفرع السفياني الى المرواني وانتصر العنصر اليمني على القيسي.

ينظر: ابن القوطية، افتتاح، ص52، ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 47؛ المقري، نفح الطيب، 3/ 52.

(3) دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص210.

والوصايا القيمة ان يحفز جيشه، والتقى الجيشان، وانتهت المعركة بهزيمة يوسف الفهري والصميل بن حاتم بشكل سريع وفرارهما من ميدان المعركة[1].

وقال عبد الرحمن الداخل لانصاره يكفهم عن الاثخان[2] في قتل اصحاب الفهري بعد انتصارهم عليهم يوم قرطبة، "لاتستأصلوا شأفة[3] اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لاشد عدوة منهم"[4]

لقد اثمرت توجيهات الامير عبدالرحمن الداخل ووصاياه العسكرية والسياسية النجاح والانتصار على العدو، ومن البديهي ان يقوم الامير الداخل

---

(1) ابن الابار،الحلة السيراء، 1/ 35؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 14؛ المراكشي، المعجب، ص40.

(2) ثخن: ثخن الشيء فهو ثخين كثف وغلظ وصلب ورجل ثخين حليم رزين ثقيل في مجلسه ورجل ثخين السلاح أي شاك وأثخن في العدو بالغ وأثخنته الجراحة أوهنته والإثخان في كل شيء قوته وشدته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 13/ 77.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ سورة محمد: الاية 4، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة الأنفال: **الاية67.**

(3) شافة الرجل أهله وماله الشأفة الأصل واستأصل الله شأفته اي أصله وفي حديث علي عليه السلام قال له أصحابه لقد استأصلنا شأفتهم يعني الخوارج والشأفة العداوة، شئفت الرجل شآفة بالمد أبغضته ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 9/ 168.

(4) المقري، نفح الطيب، 4/ 41.

بعد حسم المعركة بتوجيهات سياسية وعسكرية لاتقل اهمية عن توجيهاته قبل المعركة، ويمكن ان نطلق على هذه التوجيهات بالاصطلاح الذي يتعامل به قادة هذا الزمان وهو اعادة التنظيم لما له من اهمية في وضع اللبنة الاولى لانشاء الدولة، وهذا واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار من خلال توجيهات وتوصيات الامير الداخل التي اثبتناها في الخطبة اعلاه، فالتوجيه للجند بعدم الاثخان في قتل اصحاب الفهري سياسة بعيدة الغور ولها نتائج ايجابية فيما بعد لعل اوضحها كسب العدو المتبقي الى صف الجنود الاوائل، ويعكس لنا ايضاً هذا التوجيه خلق الداخل فكأنه قد استفاد من التأريخ الذي قبله فكم قد حصل بين المسلمين من نزاعات سابقة اثخنت الجراح.

ودخل عبد الرحمن قرطبة بجيشه منتصراً[1]، واستولى على دار الامارة وصلى بالناس وخطب فيهم، ثم اعلن نفسه اميراً على البلاد فبايعه الناس. فقد قام مواليه وانصاره بنشاط كبير من اجل اخذ البيعة له، فاتجه يوسف بن بخت الى جند الاردن لاخذ البيعة منهم، وتكلف باخذ بيعة جند حمص عبدالله بن خالد، وجند فلسطين من قبل تمام بن علقمة[2].

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 14؛ المراكشي، المعجب، ص41. .

(2) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 66؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 4؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 113.

والبيعة عهد من قبل الحاكم على تطبيق الاسلام ورعاية شؤون الامة على اساسه، والبيعة من قبل الامة طاعة هذا الحاكم في غير معصية وتنفيذ امره فيما لايخالف الاسلام واساس ذلك قول سيدنا الرسول الاعظم ﷺ "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

=

اما يوسف الفهري والصميل، قد حاولا فيما بعد بمحاولة اعادة السلطة اليهما لكن محاولتهم بائت بالفشل، فاصبحت حياتهم السياسية ان ادت الى مقتل يوسف الفهري، وتوفى الصميل مخنوقاً بالسجن(1).

اتخذ الداخل لقب "الأمير" و"ابن الخلائف"(2) و"الإمام" ولم يتلقب بالخليفة تطبيقاً لتعاليم الإسلام وذلك لوجود الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ببغداد دلالة على التواضع والحكمة والثقة العالية بالنفس والعزة والاحترام، وخطب للعباسيين اول ولايته كما أكد النص الآتي "وخطب لابي جعفر المنصور امام الجمعة بسنتين، ثم قطع الدعاء له في الخطبة وخطب لنفسه وكتب بذلك إلى جميع بلاد الأندلس"(3).

= ينظر تفاصيل عن ذلك: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، المقدمة، دار احياء التراث العربي، (بيروت، بلا. ت)، ص 209.

(1) المقري، نفح الطيب، 4/ 54-55.

(2) ينظر: ابن خرداذبة، ابي القاسم عبيدالله، المسالك والممالك، (بريل، 1889)، ص90؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص288؛ ابن تغري بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة، بلا. ت)، 2/ 70.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 114؛ يذكر المسعودي، "لم يكن خطب لاحد من بني العباس بالاندلس" التنبيه والاشراف، ص287. ينظر: العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ)، ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبدالعزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969)، ص11. الذي اضاف لقب لعبد الرحمن الداخل الإمام.
=

ويؤكد ذلك ابن خلدون الى عدم اتخاذ لقب الخلافة بقوله "القصور عن ملك الحجاز اصل العرب والملة" ويؤكد مرة اخرى في موضع اخر لم يتخذ سمة الخلافة تأدباً مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب[1].

ولقب بـ (الداخل)[2] لانه اول من دخل الاندلس من الامويين وحكمها وبه قد ابتدأ عهد جديد اطلق عليه عهد الامارة، اذ لم تتبع الاندلس الخلافة العباسية بل اصبحت امارة مستقلة سياسياً استمرت لمدة قرنين وثلاثة ارباع القرن[3]، حكمت من قبل الداخل واسرته من الامويين فيما بعد، اذ اطلق على كل واحد منهم لقب الامير[4]، كذلك اطلق عليه الاول تمييزاً عن اثنين من الامراء حملوا نفس الاسم، ولقبته بعض الروايات بالامام وبعضها بصاحب

=

مزيداً للتفاصيل عن الداخل ينظر: الدوري، ابراهيم ياس خضر، عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الداخلية والخارجية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1984).

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص288؛ العبر، 4/ 122؛ العبادي، احمد، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971)، ص309.

(2) ابن خلدون، العبر، 4/ 112.

(3) الحجي، التاريخ الاندلسي، ص218- 219؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، 1968)، ص287.

(4) ابن ابي الدينار، ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق وتعليق: محمد شمام، مطبعة 20 مارس، (تونس، 1387هـ- 1967م)، ص98.

الاندلس[1].

لم يكن وصول الداخل الى السلطة بالامر الهين والسهل فقد صادفته احداث جسيمة وتمردات كثيرة، فتمكن بفضل ما اوتي به من حزم وقوة وصواب رأي وحسن التدبير من القضاء على كل المشاكل التي كانت تواجهه، وبالتالي بناء دولة ذات قوة ومتانة قدر لها ان يستمر سلطانها قرنين وثلاثة ارباع القرن[2].

وتتمثل قوة واتزان التوجيهات العسكرية والسياسية للامير الداخل من اهتمامه بجنده وقيادتهم الى اعلى ذرى المجد بالاكراميات الوفيرة التي كان للداخل فيها فلسفة خاصة فهو يوجههم في بداية المعركة بالاشارة الى عز الدهر ثم يأمرهم بالصبر- كما حصل في معركته مع الفهري- ولذلك مقتضيات يفرضها واقع الحال، ثم يرى ان الكلام بعد البداية في انشاء الدولة لايكون له كبيرة اثر، وان عليه ان يغير اسلوب القيادة الى اكرام الفرسان ومنح الاشراف الدنانير التي تحسس الجند بان انسياقهم تحت لواء الداخل له ثمر فقد روى صاحب اخبار مجموعة ان الداخل يُطوف بعسكره ويشرف على احوال رجاله في معتركهم فنظر الى رجل من الفرسان وقد نزل عن فرسه وظهرت منه كفاية في مقامه... فقال لفتى له انظر هذا الرجل فان كان من اشراف الناس فاعطه الف دينار وان كان

(1) العذري، ترصيع الاخبار، ص11؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 108؛ ابن الاثير، الكامل، 6/ 9؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 324.

(2) للاطلاع ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 72وما بعدها؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص218- 219؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص287.

من افناء الناس فاعطه شطرها فلما ذهب اليه اذ به رجل من العرب يقال له القعقاع بن زينم من اهل ريه فاعطاه الالف دينار فلحق بالشرف"[1].

وبهذا المنهج السياسي والعسكري تربع الامير الداخل في قلوب الجند، فضلاً ان تهيأة الجند الى المرحلة القادمة التي سنأتي على ذكرها لاسيما في قضية ابن المغيث والاعرابي.

وبخصوص قضائه على الفتن والاضطرابات تذكر الروايات ان العلاء بن مغيث اليحصبي قد قام بثورة سنة 146هـ/ 763م ضد الداخل بعد ان نال الاول دعم العباسيين له ونال من الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور الدعم المادي والتعليمات المناسبة للقيام بثورته وبعث له بامر توليته على الاندلس وباللواء الاسود[2] والتف حوله خلق كثيرون كان على رأسهم جند مصر[3]، وشعر العلاء بان جمعه قوي وكادت دولة الامير ان تنصرم، وخلافته ان تنخرم[4]. مما حدا بالداخل ان قام بجمع رجاله ووجه لهم اوامره بان توقد النار ثم امر باعمدة

---

(1) مؤلف مجهول، ص119.

(2) ابن القوطية، افتتاح، ص57؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 122. يستبعد الدكتور عبد الواحد ذنون طه، ان تكون حركة العلاء بن مغيث بتحريض من ابي جعفر المنصور لانشغال الاخير بمشاكله الداخليه، ولم يكن لديه الوقت الكافي للتدخل في شؤون الاندلس.

ينظر: الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982)، ص267.

(3) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص 53.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 77.

سيوف اصحابه فاحرقت وقال لهم: اخرجوا معي لهذه الجموع، خروج من لايحدث نفسه بالرجوع[1]، فدارت رحى معركة عنيفة لم يحدد المؤرخون ايامها، رجحت كفة الامير الداخل بعدها وقتل العلاء بن مغيث مع سبعة الاف من اصحابه وانهزم الباقون[2].

---

(1) المصدر نفسه، 2/ 77.

(2) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص54؛ ؛ ابن الاثير، الكامل، 5/ 575؛ ابن عذاري، 2/ 77؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 122؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 11.

يذكر ان رأس العلاء مع اللواء المعقود له قد بعث مع رجل من قرطبة في قافلة الحجاج الى مكة ترافق مع قدوم المنصور الى الحج، فوضع على باب سرادقة فلما وصل المنصور نظر اليه وقال: عرضنا هذا المسكين الى القتل ثم اضاف قائلاً الحمد لله الذي جعل بيننا وبين مثل هذا- عبدالرحمن الداخل- من عدونا بحراً.

ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص9.

ووصفه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور "بصقر قريش" وقد سأل اصحابه بعد فشل مؤامرته على الامير عبد الرحمن الداخل والتي قادها العلاء بن مغيث الجذامي الحضرمي من هو صقر قريش؟ " قالوا ياامير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء واقاد بالا قال: ما صنعتم شيئا، قالوا افمعاوية قال: ولا هذا قالوا فعبد الملك بن مروان، قال: لا قالوا: فمن يا امير المؤمنين قال: عبد الرحمن بن معاوية الذي تخلص بكيده عن سنن الاسنة وظباة السيوف يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً اعجمياً فمصر الامصار وجند الاجناد واقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبير وشدة عزمه".

ينظر: ابن القوطية، افتتاح، ص118-119؛ ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تح: د. محمود علي مكي، (مدريد 1404هـ 1984م)، الزهرة 82، ص127.

=

وللامير الداخل وصايا وتوجيهات ورسائل سياسية وعسكرية سديدة، ومن تلك الوصايا الى المتمرد سليمان بن يقظان الاعرابي بعد تغلبه على الفهري وتلقبه بالامارة، وبعد ان راوغ سليمان في البيعة للداخل جاء فيها: اما بعد فدعني من معاريض[1] المعاذير، والتعسف[2] على جادة الطريق لتمدن يد الطاعة، والاعتصام[3] بحبل الجماعة، او لالقين ببابها على رصف المعصية

=

وان القضاء على هذه الحركة جعل العباسيين ينظرون الى الاندلس بعين العظمة وصاروا يجدون من الصعوبة تحقيق ما كان يروادهم من امل السيطرة على الاندلس.

ينظر: النصولي، انيس زكريا، الدولة الاموية في قرطبة، (بغداد، 1926)، ص52.

(1) أراد به معاريض الكلام الذي هو كذب من حيث يظنه السامع وصدق من حيث يقول القائل كقوله إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 709 معاريض وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة منها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سورة الحاقة (18) وقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ سورة الشورى: الاية 48، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ سورة فصلت: سورة 51.

(2) عسف: السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق وكذلك التعسف والاعتساف والتعسيف السير على غير علم ولا أثر و العسف ركوب الأمر بلا تدبير ولا روية.

ينظر: الفراهيدي: العين 1/ 339، ابن منظور، لسان العرب، 9/ 245؛ الرازي، مختار الصحاح، 1/ 180.

(3) الاعتصام: واعتصم فلان با إذا امتنع به والعصمة الحفظ يقال عصمته فانعصم

=

نكالاً[1] بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد[2].

= واعتصمت با إذا امتنعت بلطفه من المعصية واستعصم امتنع وأبى تقول أعصمت بمعنى اعتصمت والعاصم المانع الحامي والاعتصام الامتساك بالشيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 12/ 404.

وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ سورة ال عمران: الاية 103.

(1) نكل: ويجمع أيضا على أنكال وسميت القيود أنكالا لأنها ينكل بها أي يمنع والناكل الجبان والنكال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب والنكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد ومنه النكول في اليمين وهو الإمتناع منها وترك الإقدام عليها.

ينظر: الفراهيدي، العين، 5/ 371؛ ابن منظور، لسان العرب، 11/ 678؛ الرازي، مختار الصحاح1/ 283.

وردت في القرآن الكريم في آيات عديد منها: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة: الاية 66، وقوله تعالى ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ سورة النساء: الاية 84.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 86؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمالي افريقية 'دراسة ونصوص' منشورات مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1980)، ص129. =

وفي هذا النص توجيه لكل من تمرد او يحاول ان يتمرد فيدعوهم بطريقة سياسية حكيمة تمثلت بعبارات تميل الى الايجاز المركز والشدة في لهجة الخطاب الرسمي، لاسيما مع اولئك الخارجين على الحكومة المركزية كما هو واضح من الخطاب المار الذكر.

الا ان سليمان بن يقظان الأعرابي وأبنائه والحسين الأنصاري تحالفوا مع الإسبان، فتصدى لهم الداخل بقوة وعزيمة واصرار كما ورد بالنص أنهى الداخل تمرد سرقسطة وقفل الأمير الى قرطبة سامي اللواء، ثم ان الحسين خز الذمة، وكفر النعمة، واعلن بالنفاق إعلاناً، وأرسل في الشقاق عناناً[1].

وقد تابع عبد الرحمن الداخل عماله واوصاهم بالعدل وحسن معاملة الرعية، وقد ورد في احدى وصاياه الى احد عماله النص الآتي: أما بعد، فان التقصير لك مقدماه فعند الاكتفاء يكون لك مؤخراً، فقد عملت بما تقدمت فاعتمد على ايهما احببت[2].

= تم تضمين تهديده باستدلال من القرآن الكريم حول ظلام للعبيد، من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ سورة آل عمران: الاية 182، وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (الأنفال:51)، وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ سورة الحج: الاية 10، وقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ سورة فصلت: الاية 46، وقوله تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾سورة قٓ: الاية 29.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 56؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص201–204.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 58.

ربما يستنتج من هذه الوصية ان الامير الداخل يوصي عماله الى عدم التقصير والعدالة وحسن معاملة الرعية حتى لايجد العدو والمتمرد فجوة فيدخلون بها الى الناس ليهوؤهم الى القيام بثورات ونزاعات تؤثر على سلطة الدولة، ففى هذه الوصية توجيه الى سد النقص الذي تبين للداخل من التمردات الانفة الذكر وغيرها.

ومن منهجه في هذا المجال، انه كان دائم المراقبة لرجال دولته وعماله، فكان شديد السياسة لهم لايتوانى في عزل واحد يشتبه بامره، او انه انحرف عما ينبغي، فتذكر المصادر انه عزل مولاه بدراً لانه قصر، وقد تبادل الطرفان عدة رسائل يتوسل فيها بدر للداخل فيها، لكن الداخل كان حازماً بسياسته، وهذا مايؤكد منهجه وتوجيهاته السياسية لعماله، فقد ارسل مولاه بدر يطلب من الداخل اطلاق ماله الذي صادره الداخل فاجابه قائلاً: ان لك من الذنوب المترادفة مالو سلب معها روحك لكان بعض مااستوجبته، ولاسبيل الى رد مالك، فان تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد، والتخلي من شغل السلطان، اشبه بالنعمة منه بالنقمة، فايأس من ذلك فان اليأس مريح[1]، لكن الامر لم ينفع مع بدر مما ادى الى ان امر بنفيه الى الثغر الاعلى وكتب على رقعته بعد ان امتلأ غيظاً وغضباً منه: لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك، ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك، ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك، وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر، فبالله الا ما اقصرت، ولايبلغ بك زائد المقت الى تضيق معي الدنيا. ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من

(1) المقري، نفح الطيب، 4/ 40.

فلان، وما تقولوه عليك. ومالك عدو اكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك[1].

مما تقدم ان عبدالرحمن الداخل قد عاش حياة شاقة ومتعبة، جميعها ذات جهد متواصل، وكفاح مستمر، ومن المعروف انه كحاكم لابد وان يكون الحال يتطلب منه اليقظة والحذر والعمل الدؤوب والمثابر لذلك كانت توجيهاته السياسية والعسكرية ذات نجاح مما حافظ على دولته فانصرافه الى تدبير شؤون دولته ومباشرته الحكم بنفسه، وكانت جميع السلطات بيده، فكان لايترك امراً الا ويده فيه، فضلاً عن ذلك يستشير اهل المشورة والعلم والدراية والتجربة [2] في الامور التي يحتاج، كما كان لديه مجلس شورى ذات صفة رسمية يستعين بهم في امور دولته ويسمع اراءهم[3]، لذلك كانت سياسته تجاه الناس عادلة مما جعل ذلك السمة البارزة لنظام حكمه[4]، فقد شغل في سدة الحكم معه قادة موالون له واسند لهم المناصب الحساسة في البلاد[5]. حتى وافاه الاجل في سنة

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 73؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، 1/ 453؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 40.

(2) ابن الابار، اعتاب الكتاب، تح: صالح الاشتر، (دمشق، 1961)، ص 72.

(3) المقري، نفح الطيب، 4/ 45؛ سالم، تاريخ المسلمين واثارهم، ص206.

(4) ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص9؛ الضبي، بغية الملتمس، ص12؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص11؛ المراكشي، المعجب، ص41

(5) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 71- 72؛ المقري، نفح الطيب، 4/ 45.

172هـ/ 788م[1]، ودام حكمه ثلاثة وثلاثين عاماً واربعة اشهر[2]، ففي وفاته ختمت مرحلة من اهم مراحل بناء الدولة الاموية في الاندلس، مما سهل لاحفاده قيادة الدولة على خطاه.

وصيته وولاية العهد

كنا قد بينا في مستهل حديثنا عن الوصية لغة واصطلاحاً- في فصلنا الاول- ولما للعهد من كونه احد وجوه الوصايا وما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما جاء به الخلفاء الراشدين في هذا السياق.

فحين استقر الامر لعبد الرحمن الداخل في الاندلس واصبح مطمئناً الى امكانية تأسيس عائلة مالكة في عقبه من الامويين فارسل على ولده سليمان الذي تركه في بلاد الشام فقدم هذا ليقف الى جانب ابيه الذي مالبث ان ولاه على طليطلة كما ولى ابنه الآخر هشاماً على مارده.[3].

مرض الداخل مرض الموت، وكان ابناه هشام وسليمان غائبين فاوصى

---

(1) ابن عبد ربة الاندلسي، العقد الفريد، 4/ 488؛ المراكشي، المعجب، ص40؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 124.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ ص71؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص11؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 118.

(3) عدد النويري اولاد عبدالرحمن الذكور فقال انهم: سليمان الذي ولد بالشام وهشام ولي عهده والوالي بعده ولد بالاندلس وعبد الله ولد ببلنسية وعرف بالبلنسي، ومسلمة المعروف بكليب وامية ويحيى والمنذر وسعيد ومحمد والمغيرة ومعاوية.

ينظر: نهاية الارب، 22/ 18.

ابنه عبد الله بمايلي: "من سبق اليك من اخويك، فابرأ اليه بالخاتم والامر، فان سبق اليك هشام فله فضل دينه وعفافه(1) واجتماع الكلمة عليه. وان سبق اليك سليمان فله فضل سنه ونجدته(2) وحب الناس له(3).

في حين يذكر ابن خلدون ان هشام تولى الامارة بعهد من ابيه بقوله: "ولما هلك عبدالرحمن كان ابنه الاكبر سليمان والياً على طليطلة وكان ابنه هشام على

---

(1) عف: العف عن الحرام يعف بالكسر عفة وعفا وعفافة أي كف وأعفه الله واستعف عن المسألة أي عف وتعفف تكلف العفة، والعفة الكف عما لا يحل ينظر: الفراهيدي، العين 1/ 92؛ الرازي، الصحاح، 1/ 185

وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة، الاية 273.

(2) أنجادا جمع نجد واستنجد الرجل إذا قوي بعد ضعف أو مرض والمناجد المقاتل ويقال ناجدت فلانا إذا بارزته لقتال والمنجد الذي قد جرب الأمور وقاسها ورجل نجد في الحاجة إذا كان ناجحا فيها ناجيا ورجل ذو نجدة أي ذو بأس ولاقى فلان نجدة أي شدة والبلوغ في الأمر الذي يعجز عنه واستنجد فلان صار منجادا نجدا واستنجدتهم فأنجدوني أي استعنتهم فأعانوني

ينظر: الفراهيدي، العين 6/ 58؛ ابن منظور، لسان العرب 3/ 418.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعلام، ص11. في حين يورد النص ابن عذاري في نهاية الفقرة "حب الشاميين له "بدل حب الناس له. ينظر ابن عذاري، البيان، 2/ 92.

مارده وقد عهد له بالامر، وكان ابنه عبدالله المسكين حاضراً بقرطبة فاخذ البيعة لاخيه هشام وبعث اليه بالخبر فسار الى قرطبة وقام بالدولة[1].

ونحن نرجح رواية ابن خلدون اذ من غير المعقول ان يترك الداخل ولاية العهد بالصورة التي اوردناها حول وصيته لابنه، وهو الذي وطد اركان الدولة بكفاح مرير وجهد كبير.

ولو تتبعنا المواقف التي كانت ايام الداخل قبل وفاته كيف ترك ولده هشاماً ليتولى المسؤولية اثناء غيابه عن قرطبة لقمع تمرد حركة شقنا بن عبدالواحد المكناسي[2]، كذلك ما ذكره ابن الابار[3] من ان الداخل قد استوزر اولاده هشام وسليمان وقد الزمهما الحضور الى مجلس الشورى في قصر الامارة بقرطبة، ويذكر بان حضورهما يكون بالتناوب، فكان حضور هشام يتطرق المجلس الى ابواب المعرفة من شعر وادب وسياسة، اما حضور سليمان في المجلس انشغل الحاضرون باحاديث لامعنى لها، وان دل على شيء فان الفرق بين الاثنين كان شاسعاً اذ كان هشام اكثر نضجاً وعقلاً وادراكاً من اخيه.

يذكر المؤرخون ان هشاماً منذ ذلك الوقت كان يتمتع بسمعة حسنة، وفضله الناس على اخيه سليمان، اذ عدوا الاخير متعجرفاً، بعيداً عن المعرفة والعلم، غير مكترث بتحصيلها بينما اخوه هشام اكثر تواضعاً واكثر اهتماماً ومعرفة بالعلوم والاداب. اذ كان الداخل في اغلب الاحيان يستفسر ويسأل

---

(1) العبر، 4/ 124.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 81.

(3) الحلة السيراء، 1/ 42.

الناس عن سيرة ولديه اذ كانت الاجابة ان هشاماً اذ حضر مجلساً امتلأ ادباً وتاريخاً وذكراً لامور الحرب... واذا حضر سليمان امتلأ هذياناً، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان[1].

واراد الداخل يوماً ان يقوم بنوع من الامتحان العلمي والاخلاقي لولديه هشام وسليمان، فنادى الاول وقال له: لمن هذا الشعر:

وتعرف فيه من ابيه شمائلا ومن خاله او من يزيد ومن حجر

سماحة ذا، مع برّذا، ووفاء ذا ونائل ذا، اذا صحا واذا سكر

قال له هشام: يا سيدي، لامرئ القيس، وكأنه قال في الامير اعزه الله فسر منه الى ابعد حدّ وامر له باحسان كثير وزاد شأنه في نظره.

ثم سأل سليمان على انفراد عن البيتين ذاتهما فاجابه: لعلهما لاحد اجلاف العرب، أليس لي شغل غير حفظ اقوال بعض الاعراب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر مابين الاثنين من المزية[2]

ويذكر ابن الابار[3] ان الامير عبدالرحمن الداخل عندما اثنى على جهود عبد الملك بن عمر المرواني لموقفه البطولي في سحق تمرد اشبيلية، فقال الامير الداخل له يا ابن عم، قد انكحت ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك. وهذا دليل واضح ان هشام كان ولي العهد.

---

(1) المقري، نفح الطيب، 1/ 313.

(2) المصدر نفسه، 1/ 313-314.

(3) الحلة السيراء، 1/ 57. ينظر: المقري، نفح الطيب، 4/ 59.

واكد بعض المؤرخين بشكل جلي ان الداخل كان معجباً بابنه هشام ويفضله على غيره من ابنائه، لعلمه وادبه وشجاعته، اذ يقول ابن الاثير[1] كان عبدالرحمن قد عهد الى ابنه هشام، ولم يكن اكبر اولاده، فان سليمان كان اكبر منه، وانما كان ابوه يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع لهذا الامر فلهذا عهد اليه في حين يؤكد النويري[2] كان ابوه قد عهد اليه قبل وفاته وقدمه على سليمان وهو اكبر منه لانه كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع لهذا الامر فلذلك عهد اليه، ويذكر المقري[3] انه تولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه.

وعلى اية حال فان الامر اصبح لهشام بعد ابيه اميراً على البلاد، فلما توفي كان اول القادمين هو هشام فسلم اليه اخوه مقاليد الحكم بموجب الوصية. فبايعه الخاصة والعامة يوم الاحد اول جمادي الاولى عام 172هـ/ 788م. اما سليمان، فانه لم يعترف بولاية هشام، واظهر العصيان عليه في طليطلة وقامت الحرب بين الاخوين، وانضم الى سليمان اخوه عبدالله البلنسي، وقد انتهت هذه الازمة بهزيمة سليمان واخيه عبدالله، وعفا هشام عن عبدالله، كما وقد صالح سليمان على ان يرحل عن الاندلس نظير مبلغ كبير من المال نصيباً له من تركة ابيه[4].

ويبادر الى ذهني- والله اعلم- ان هذه النصوص لاتخلو من تناقض والا

---

(1) الكامل، 6/ 112.

(2) نهاية الارب، 22/ 19

(3) نفح الطيب، 1/ 313.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص11.

فما هو التعليل لعبدالله الذي اوصل الامارة الى هشام ثم قام عليه مع اخيه سليمان ليت شعري.

عهد الامير هاشام بن عبد الرحمن: 172- 180هـ

ولد بقرطبة عام 139هـ/ 756م، وكانت امه ام ولد تدعى حُلَل[1]، وكنيته ابو الوليد، فالحديث عن هذا الامير ذو شجون فانت لاتكاد تلم بخصلة من خصاله الفذة حتى تسلمك الى اخرى اكثر بهاءً واغنى رواءً وابعد تأثيراً فقد لقب بالرضي، نظراً لحسن سمعته ولتمسكه بتعاليم الدين، [2] تولى السلطة بعد وفاة والده الداخل[3]، تولى الامارة بعد وفاة ابيه الداخل، اذ كان في ماردة عندما

---

(1) ذكر اسمها بهذا الشكل المقري، نفح الطيب، 1/ 313؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 19، بينما ذكرها ابن عذاري، ان اسمها جمال، وذكرها عبد الواحد المراكشي ان سماها حوراء. ينظر: البيان المغرب، 2/ 91؛ المعجب، ص19.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 118؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، (لبنان، 1962)، ص213 .

(3) قال عنه ابن عذاري اُمتاز بأنه كان حاكماً اعتمد على السنة والكتاب وقبض الزكوات من طرقها، ووضعها في حقها، لم يأخذه في الله لوم، ولاتعلق به ظلم. ذكره ابن عذاري بصفة اخرى اذ قال كان: كُريماً، عادلاً، فاضلاً، متواضعاً، عاقلاً، لم تعرف عنه هفوة في حداثته، ولازلة في ايام صباه ًوكان ً بسيط اللسان، فصيح الجنان، وسيع الجناب، حاكماً بالسنة والكتابً. لذلك يروى ان كان يهتم بتعاليم مالك بن انس وان الذاهبون الى مكة من الاندلس بتشجيع منه حتى قيل ان مالك قال فيهً وددت لو ان الله زين موسمنا بهً. البيان المغرب، 2/ 65، 91.

=

=

اتصف هشام الرضى بحرصه وإخلاصه في متابعة الولاة والعمال ومدى التزامهم بالعدل والمساواة" وكان هشام يبعث إلى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال" مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص63.

فيذكر المراكشي عنه بقوله "كان حسن السيرة متحرياً للعدل، يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويتصدق بالصدقات الكثيرة، وربما كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء". المعجب، ص33؛ عنان، دولة الإسلام، 1/ 226.

فضلاً عن انه كان "يتصدق بالصدقات الكثيرة".

ينظر: ابن حزم، نقط العروس، تح: شوقي ضيف، مجلة كلية الاداب، (جامعة القاهرة، 1951)، 2/ 192؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 25؛ الحميدي، ابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله (ت 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966)، ص10؛ الضبي، احمد بن يحيى (ت 599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، مطبعة روخس، (مدريد، 1884)، ص13؛ ابن الاثير، الكامل، 6/ 184؛ الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه: مكي السيد جاسم، ط2، (بغداد، 1964)، ص53.

وقال عنه صاحب كتاب اخبار مجموعة "حسن سيرته في رعيته وتحصينه لثغوره اوصى رجل في زمان هشام بمال في فك سبيه من أرض العدو فطلبت فلم توجد احتراساً منه بثغره واستنقاذاً لمن سبى وضعفاً من عدوه عنه ولم يقتل احد من جنده في شيء من ثغوره او جيوشه الا الحق ولده في ديوان ارزاقه". مؤلف مجهول، ص 12.

يقول عنه ابن عبد ربه "هو احسن الناس وجهاً واشرفهم نفساً، الكامل المروّة، الحاكم بالكتاب والسنة الذي اخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقها. العقد الفريد، 4/ 490

وكان يختلط مع الناس في قرطبة وينظر في مظالمهم وينصف الصغير من الكبير والفقير من

=

بلغه نبأ وفاته فاسرع في التوجه الى قرطبه ووصلها وتسلم مقاليد الحكم هناك بعد ان سلمه اخيه عبدالله البلنسي الخلافة ودفع اليه بالخاتم كما اوصاه ابوه.

كان حكمه ثمان سنوات قد ساد الهدوء نسبياً انحاء الاندلس التي امتد عبرها حكم الامير هشام، اذ لم يأخذه في الله لومة لائم، ولا تعلق به ظلم[1]، لذلك كانت التوجيهات والنصائح التي تخرج عنه مبنية على حق وعدل وكان في الوقت ذاته من اشد الناس قمعاً للمسلط من عماله وموظفيه، وشاهدي ما ذكر انه تعرض لموكبه رجل متظلم من بعض عماله، فاستمع اليه ثم قال له: أنك اذا حلفت على أي شيء صنعه بك، فاني ساجعلك تنتقم منه بمثله، فان كان ضربك فاضربه، او هتك لك ستراً فاهتك ستره، او اخذ لك مالاً، فخذ من ماله مثله، الا ان يكون اصاب منك حداً من حدود الله. فجعل الرجل لايحلف على

=

الغني والضعيف من القوي وينصف من نفسه وقرابته، منقاداً الى الحق عارفاً باقدار الناس. واذا علم ان احد عماله اساء للناس اشتد في عقابه وعزله عن عمله.

ينظر: مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص 55؛ احسان، عباس، تاريخ الادب الاندلسي- عصر سيادة قرطبة-، دار الثقافة، (بيروت، 1960)، ص16.

فتحصل مما ذكرنا عنه ان الامير هشام كان عادلاً فاضلاً شديد التدين، ولكن مع تواضعه هذا كان حازماً في امور دولته وسياسته تجاه رعيته، صارماً في الحق، شديد القسوة على من تطول يداه في العبث على الدولة وعدم احترام قوانينها، اذ تذكر الروايات انه لم يتوان في حبس ابنه عبدالملك في السجن بعد ان تكشفت نواياه السيئة بالتآمر عليه. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص95؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 121.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 97.

شيء الا بلغ مثله من خصمه. فكان زجره هذا لعمّاله ابلغ فيهم من أي عقاب[1].

يتضح لنا هنا ان عدالة هشام فكان لايؤخره شيء عن الاستماع الى شكاوى الرعية فنحن نلاحظ في هذا النص انه كان في موكبه فوقف واستمع واعدل وادب، ولا يخفى الجانب التوجيهي في حسن سياسية الرعية والعمال باختيار الامر الذي يكون اكثر تأثيراً فيهم وابلغ من غيره، فتارة يعزر وتارة يوبخ واخرى يزجر.

هذا ويذكر انه كان يحاول ان يقلد بسيرته الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز، اذ كان كثير ما يبعث بقوم من ثقاته الى الكور يسألون الرعية عن احوالهم، وعن سير عماله، ويخبرونه بالحقيقية، فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يعد الى توليته [2].

وفي هذه النصوص التي اوردناها عن هشام اشارة الى حسن وصية وتوجيه الداخل بالامارة دون غيره من اخوته، وهذا دعم لما رجحناه من القطع بان الداخل قد اختار هشاماً.

وكان هشام يبعث بقوم يثق بهم من أهل العدل الى البلاد سراً يسألون الناس عن سير عمالهم ثم ينصرفون إليه بحقائق ما عندهم فيقع نظره فيهم بقدر ما يكشفه الامتحان له منهم[3].

---

(1) اخبار مجموعة، ص63، ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 98.

(2) المقري، نفح الطيب، 1/ 316.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 122.

وفي هذا دليل اخر على حسن توجيهاته فان من العدل التحقق باحوال الرعية بارسال المتخفين ثم بناء توجيهات وتوصيات حكيمة تساعد على حسن التدبير للرعية، وهذا ما دأب عليه الخلفاء الراشدين فمن يقرأ من سيرة عمر بن الخطاب (ﷺ) انه كان يذهب بنفسه متخفياً ليتحقق من احوال الرعية.

احترم الأمير هشام الرضي سنوات حكمه في الأندلس وقضاها بتطبيق تعاليم الإسلام وتنفيذ الوصايا، وصرح الأمير عن حياته بالحكم بقوله "حسبي الله! فو الله! لو كانت في سجدة لله، لكانت قليلة قصيرة"[1]. وبذلك بذل الأمير حياته بالجهاد وإرضاء الرعية لما فيه الخير والبركة.

وصيته وولاية العهد

كان من الامور البديهية ان يضع الامير هشام مسألة ولاية العهد ضمن الاولويات الاساسية لبرنامجه السياسي، ولكي يجنب الدولة الصراعات بين الابناء على دفة الحكم في حالة ترك الامر دون وصية او ولاية عهد، وهو الذي لاقى من اخويه سليمان وعبدالله البلنسي تمرداً على السلطة في مستهل عهده اذ لم تستتب الامور بيده بعد، لذلك بدأ الامير هشام بتهيأة ولده الحكم ولياً للعهد متجاوزاً اخاه الاكبر عبدالملك، ومن الملاحظ ان الامر يعيد نفسه مرة اخرى اذ كان عبد الرحمن الداخل يهيأ ابنه هشام لدفة الحكم في حين ان اخيه الاكبر سليمان كان بعيداً بعض الشي عنها. ومن المعروف ان احدى سمات ولاية العهد في الدولة العربية الاسلامية بالاندلس ان تتجاوز الابن الاكبر فقد حدث لمرتين متتاليتين، وان الامر لم يكن في حقيقته المفاضلة والتحيز بين الابناء، لكن

---

(1) المصدر نفسه، 1/ 122.

كان مبنياً على اساس الكفاءة والمؤهلات التي يتمتع بها الابن الذي سيتولى الامر بعد ابيه. وذلك حرصاً من الامير على سلامة الدولة بعده، وكما بينا ان الداخل قدم هشاماً على سليمان فعل هشام بان قدم ولده الاصغر على الاكبر[1].

بدأ الامير هشام بتهيئة ولده الحكم للقيام بالامر بعده اذ اوكل له مهمة ان يكون والياً على طليطلة[2]، وهذا ان دل على شيء انما يدل على تهيئته لفنون السياسة والحرب، وربما كان اختيار طليطلة دون غيرها ليتمكن من كشف انصار اخيه سليمان الذي كان والياً عليها، واظهر تمرده على هشام- كما مر بنا- ومن الطبيعي ان يؤازره ابناء طليطلة، وهذا الشيء سيسهل المهمة على الامير الحكم فيما بعد استلامه السلطة.

ومن الملاحظ ايضاً ان الامير هشاماً هيأ ولده الحكم في ميدان المعرفة والثقافة اذ اعطاه عناية خاصة واهتماماً في هذا المجال لتتسع مداركه وثقافته، وقد كلف واتخذ له مؤدبين مشهورين بالعلم لهذه المهمة[3].

لذلك ترك لنا الامير هشام وصية ذات توجيه واراشاد ونصائح لولده، ليعده اعداداً كاملاً للامارة اذ كانت وصيته كالتالي:

'يابني يجب ان لاتنسى ان الملك لله يعطيه من يشاء ويأخذه ممن يشاء وقد

---

(1) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 93. اذ يؤكد ايضاً ان خلافاً حدث بين الابن وابيه حين كلفه ببعض المهام الحربية قبل ان يسخط عليه ويسجنه.

(2) ابن خلدون، العبر، 4/ 125؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 2/ 121.

(3) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 198- 199.

منحنا الله السلطة، ووضع في ايدينا صولجان[1] الملك برحمته الواسعة، فعلينا ان نقدم له الحمد والشكر على نعمائه، وان ننفذ ارادته بالمعاملة الطيبة لكل الناس، خاصة اولئك الذين يلجأون الينا طالبين حمايتنا. كن عادلاً سوياً على الفقراء والاغنياء، ولاتترك للظلم سبيلاً الى دولتك، فالظلم طريق الضياع، وكن في ذات الوقت رحيماً عطوفاً على من يعتمد عليك فكلهم خلق الله. امنح حكم اقاليمك ومدنك لاناس طيبي الاخلاق ذوي تجربة. انزل العقاب بالوزراء والحكام ممن يميلون مع الهوى[2] ولا يعدلون في شعبك، وكن معهم حازماً قوياً.

---

(1) الصولجة الفضة الخالصة والصولج والصولجان والصولجانة العود المعوج فارسي معرب الأخيرة عن سيبويه والصولجان عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب.

ينظر: الفراهيدي، العين، 6/ 46؛ ابن منظور، لسان 2/ 310.

(2) هوى: الهواء ممدود ما بين السماء والأرض والجمع الأهوية وكل خال هواء وقوله تعالى وأفئدتهم هواء يقال إنه لا عقول لهم والهوى مقصور هوى النفس والجمع الأهواء وهوي أحب واستهواه الشيطان استهامه وهاوية اسم من أسماء النار. ويقال للإنسان الجبان إنه لهواء وقلبه هواء.

ينظر: الفراهيدي، العين 4/ 104؛ الرازي، الصحاح/ 1/ 293.

لقد وردت ايات كثيرة وعديدة عن الهوى منها قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة: الاية 120، وقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة: سورة 145 =

كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك[1] الضرورة الى وضع السلاح في ايديهم، واجعلهم حماة الدولة لامخربيها، وادفع اليهم رواتبهم واجعلهم واثقين دائماً من وفائك بوعودك. لاتتوان عن كسب ارادة شعبك ففي تعاطفهم يكمن امان الدولة، وفي خوفهم يكمن الخطر، وفي كرههم يكمن الانهيار المحقق. كن عطوفاً على الفلاحين الذين يعملون ليوفروا لنا القوت الضروري ولا تسمح بتخريب زروعهم.

وختم هشام وصيته ونصائحه لابنه الحكم بقوله:

وعلى الجملة فاحكم بطريقة تجعل السنة شعبك تلهج[2] بشكرك وهم يعيشون في ظل حمايتك وعطفك، يجنون مباهج الحياة في ثقة وهدوء، ففي كل

= وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ سورة النساء: الاية 135.

(1) العوز أن يعوزك الشيء وأنت إليه محتاج وإذا لم تجد الشيء قلت عازني ويقال أعوزني هذا الأمر إذا اشتد عليك وعسر وأعوزني الشيء يعوزني أي قل عندي مع حاجتي إليه ورجل معوز قليل الشيء وأعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه العوز ضيق الشيء والإعواز الفقر

ينظر: الفراهيدي، العين 2/ 206؛ ابن منظور، لسان العرب، 5/ 385.

(2) لهج بالأمر لهجا و لهوج و ألهج كلاهما أولع به واعتاده و ألهجته به ويقال فلان ملهج بهذا الأمر أي مولع به واللهجة طرف اللسان

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 2/ 359.

هذا يكون الحكم الصالح، فاذا استطعت تحقيق ذلك كنت سعيدا وجنيت الشهرة كاعظم امير في العالم[1].

والملاحظ عند قراءتنا الوصية وتحليلنا لها، انها عبرت بوضوح عن سمة تجربة الامير هشام وخبرته السياسية والادارية للبلاد، والتي اكتسبها طيلة حقبة حكمه او ماتعلمه من حياته مع والده الداخل، فجاءت هذه التجربة والخبرة العملية تأخذ طريقها الى ولده عبر وصية مهمة وذات قيمة عالية وكأساس للحكم من بعده.

تظهر الوصية مدى اهتمام الامير هشام بسلامة وتحصين الدولة العربية الاسلامية واستمرارها من بعده، فقد لفت نظر ولده الى ان من اهم الواجبات المحافظة على كيانها، وذلك بالعمل الصالح بما يرضى الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يعطي[2] وهو الذي يأخذ الملك وان هذا الملك نعمة من نعم الله علينا

---

(1) الشعراوي، الامويون امراء الاندلس الاول، ص 204-205، نقلاً عن كوندي، ص15؛ حمادة، الوثائق السياسية، 135-136.

(2) فقد ابتدأ بامر وجوبي يتعلق بذات الله وتعالى وصفاته حتى يزرع في ابنه عقيدة صحيحة قبل ان يشرع في امر بنيه وبين الرعية وهكذا كانت دعوة النبي ﷺ فاول شيء جاء به هو تثبيت العقائد عند المسلمين فاول مانزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ سورة العلق، وبعد ان ثبت النبي ﷺ العقائد الصحيحة عند المسلمين وازال عنهم ادران الجاهلية من عبادة الاحجار وغيرها نزلت الاوامر والنواهي تافقهية وهذا هو اسلوب القرآن فلننظر قليلاً الى سورة لقمان نرى ان سيدنا لقمان اول مابدء بوصية ابنه بان لايشرك بالله واخبره بان الشرك لظلم عظيم، ثم امره باقة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الخ من الاوامر. (ينظر: سورة لقمان: الآيات 12، 17، 18، 19).

فيجب علينا شكر هذه النعمة حتى يستقر ويتثبت وقد قال الله تعالى في محكم آياته ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1] .كذلك اكد له ان ارادة الله هي التي تنفذ وذلك من خلال المعاملة الحسنة للرعية والى كل من يريد الاستجارة بنا ويطلب الحماية منا[2].

اكد الامير هشام لولده الحكم على ضرورة اختيار طريق العدل سواء مع الفقراء او الاغنياء لافرق بينهما فالظلم طريق الضياع [3].

---

(1) سورة ابراهيم، الآية 7.

(2) لقد حدثنا شرعنا الشريف على نصرة المظلوم ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: "وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله. ولانتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر ان ينصره فلم ينصره"، وقال رسول الله ﷺ "لعن الله من رأى مظلوماً فلم ينصره" رواه الديلمي، وقال العسقلاني في باب نصر المظلوم: "هو فرض كفاية وهو عام في المظلومين وكذلك في الناصرين بناء عللا ان فرض الكفاية يخاطب به الجميع وشرط الناصر ان يكون عالماً بكون الفعل ظلماً ويقع المصر مع وقوع الظلم وهو حينئذ حقيقة وقد يقع قبل وقوعه كمن انقذ انساناً من يد انسان طالبه ظلماً وهدّده ان لم يبذله وقد يقع بعد".

ينظر: ابي شجاع الديلمي(ت509 هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1986)، 3/ 463؛ العسقلاني، احمد بن حجر (ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، (بيروت، 1379هـ)، 5/ 99.

(3) لقد اوصانا رسول الله ﷺ بوصية حذرنا فيها من الظلم بقوله: "اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة" رواه مسلم، صحيح مسلم، 4/ 1996.

فقد علل ﷺ تحذيرنا منه: "...فان الظلم ظلمات يوم القيامة" أي انه يحيط الظالمين بسبب ظلمهم ظلمات يوم القيامة أي تجعلهم في حيرة حينما يسعى المؤمنون في انوارهم فرحين =

اكد الامير في وصيته على ضرورة اختيار رجال الدولة من الوزراء وحكام الاقاليم الذين لديهم حسن الدراية والكفاءة والعدل[1]. على ان لايتركهم دون

=

مستبشرين قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ سورة ابراهيم: الاية42، اي ان الله يرجيء عقابهم الى يوم تتفتح فيه الابصار بدون اغماض لعظم هوله والعدل ان دام عمّر والظلم ان دام دمّر هذا فضلاً الى ما اعده الله تعالى للظالمين من عذاب اليم في الدنيا والاخرة كما يشير الى هذا قوله تعالى عن عذاب الدنيا ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ سورة البقرة: الاية 59، وقوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ سورة الأعراف: الاية 162 وقوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ سورة العنكبوت: الاية 37 وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ سورة هود: الاية 94 وقوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ سورة الكهف: الاية 59.

ينظر: العفيفي، طه عبد الله، من وصايا الرسول، دار التراث العربي، (القاهرة ،1401هـ-1981م)، 2/ 99.

(1) وهذا مقتبس من وصية النبي ﷺ لسيدنا ابي ذر التي رواها الامام احمد بن حنبل، المسند، 5/ 181. وكان نهايتها "ولاتقبض امانة" أي مالم تكن اهلاً لحفظ الامانات او تحمل المسئوليات التي هي مجموعها امانة وحسبك مافعله النبي بابي ذر عندما طلب منه ان يستعمله في ولاية فضرب الرسول بيده على منكبه ثم قال له: يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانهايوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها اما اذا كنت

=

مراقبة ولا عقوبة بمن يخالف حدود العدل ويحكمه هواه. واكد كذلك ان يكون حازماً معهم وقوياً.

بين الامير هشام لولده الطريقة المثلى للتعامل مع الجيش والشعب فقال كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك الضرورة الى وضع السلاح في ايديهم أي ان يتعامل معهم بالشدة واللين والوفاء بالوعد وصولاً الى زرع الثقة المتبادلة في القول والفعل، لانهم هم حماة البلاد ففي تعاطفهم يكمن امان الدولة، وفي خوفهم يكمن الخطر.

اكد الامير في وصيته على اهمية التعامل بعناية مع الفلاحين وذلك لكونهم هم عمود الوضع الاقتصادي للبلد والمحافظين على مزارعهم، ومن اجل بناء دولة ذات اقتصاد متين فلابد ان يكن عطوفاً معهم لان توفير القوت من خلالهم يأتي لابناء الشعب[1].

= ترى انك كفء لتحمل اعباء حفظ الامانات دون كمع فيها او نقصان منها فلا مانع من هذا وحسبك ان تعلم ان يوسف عليه السلام لم يرشح نفسه لادارة شئون المال الا لعلمه بانه كفء لهذا الى جانب علمه وتقواه ولهذا قال ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف: الآية 55.

ينظر: العفيفي، من وصايا الرسول، 1/ 44.

(1) الناحية الاقتصادية للحكومة الاسلامية تبرز في مسألتين الاولى كيفية اخذ الدولة للمال من الامة، والثانية كيفية انفاق هذا المال، اما من حيث اخذه فكانت الدولة العربية الاسلامية تأخذ الزكاة على الاموال والاراضي وعروض التجارة والمواشي والزروع والثمار باعتبار الزكاة عبادة لنقوم بتوزيعها على الذين لهم حق بها من الاصناف الثمانية المقررة شرعاً كما تأخذ الخراج والجزية وضرائب الكمارك بحكم اشرافها على التجارة في الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت تقوم على ادارة ماهو داخل في الملكية العامة او =

وختم الامير هشام وصيته لابنه بان ألسنة الناس تلهج بالشكر والثناء عليك في حالة تأمين الحماية لهم وتأمين الحياة الهنيئة المستقرة وهذا اساس الحاكم الناجح لانه حكم الناس بالصالح[1].

= ملكية الدولة كالمعادن وغيرها من موارد بيت المال اما من حيث انفاق هذه الاموال فانها كانت توزعها حسب الاحكام الشرعية وقد طبقت النفقة على العاجز وحجرت على السفيه والمبذر واوجدت اماكن لاحكام الفقراء والمعسرين ونفذت احكام العمل والعمال ومنعت الاحتكار والغش والاستقلال وكل وسائل الكسب غير المشروع.

ينظر: البدري، عبد العزيز، الاسلام بين العلماء والحكام، منشورات المكتبة العلمية، (المدينة المنورة، بلا. ت)، ص18.

(1) لم ترفل الامة العربية الاسلامية بالسعادة الحقة والرفاهية والامن ولم تشعر بالعزة والسيادة الكاملتين في الارض الا في ظل حكم الاسلام- ليس في ذلك شك- ولم ترتح هذه الامة من حكام بمثل ما ارتاحت حين تولى امرها حكام مسلمون آمنوا بالله واليوم الاخر وحافظوا على كتاب الله وسنة رسوله ووقفوا عند حدودهما والتزموا باحكامهما حضروا المساجد مع الرعية وفتحوا لهم الابواب يكرمون الزائر ويحترمون العالم ويجلون الفقيه يسمعون منهما النصح والارشاد وينقلبون المحاسبة والانكار اما الجهاد في سبيل الله فقد كان رائدهم لم يتخلوا عنه في احلك الظروف التي مرت بهم لانهم آمنوا بقول الصديق الاعظم سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه "ماترك قوم الجهاد الاّ زلوا" لذلك كثرت الفتوحات الاسلامية في زمانهم وكانوا قادة الفتح الاسلامي العظيم تلك الفتوحات التي انقذت البلاد المفتوحة من جور الاديان وظلم الحكام وفساد المجتمع ولازالت آثار تلك الفتوحات العظيمة قائمة في العالم وتلك حقائق ثابتة لاينكرها الا من فسد عقله وكان ذيلاً لاعداء الاسلام يردد مايقولون ويصدق مايفترون كل ذلك من اجل الاساءة الى الاسلام والطعن بحكمة العادل الذي ارتضاه المولى الكريم سبحانه وتعالى لعبادة المسلمين.

=

بعدها وفي سنة 180هـ/ 796م بعد ان استمر حكمه مدة سبع سنوات وعشرة اشهر[1] توفي الامير هشام بن عبدالرحمن في شهر صفر. فقد دفن الامير هشام في قصر الامارة بعد ان صلى عليه ابنه وولي عهده الحكم[2]، ثم تمت بعد الانتهاء من هذه المراسيم البيعة العامة للامير الحكم[3].

عهد الامير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (180- 206هـ)

ولد الحكم سنة 154هـ/ 771م وقد تولى الامارة وعمره حينذاك ستة وعشرون سنة[4]، امه ام ولد اسمها زخرف[5]. ويكنى ابو العاصي، وقد نقل عنه المؤرخون ما يتمتع به من خصال في سيرته مابين مدح وذم[6].

---------- =

ينظر: البدري، عبدالعزيز، الاسلام بين العلماء والحكام، ص15.

(1) ينظر: ابن عبد ربة، العقد الفريد، 4/ 490؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 4-5؛ المراكشي، المعجب، ص43؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 97؛ ابن الاثير، الكامل، 6/ 148؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص14.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 124.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 94؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 26.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 490؛ ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، 1/ 38؛ ابن الفرضي، عبدالله (ت403هـ)، تاريخ علماء الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، 1966)، 2/ 5.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 124.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 102.

فقد اجتمع له مجد التقى فكان من اهل الخير والصلاح ومجد الجهاد فكان كثير الغزو وعظيم =

=
الصولة وشديد الحزم، كان من فحول امراء بني امية هيبة واقداماً وانفة وصرامة وعزة، فكان مبسوط اليد بالعطاء، سخياً كريماً.

ينظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 39؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 490؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (1384هـ- 1964م)، 1/ 545.

ويشير المقري انه: "أول من جعل للملك بارض الاندلس ابهة" نفح الطيب، 1/ 319.

وفيما يذكر صاحب كتاب اخبار مجموعة انه: "كان مع نجدته وعزة نفسه متواضعاً للحق، منقاداً للانصاف من نفسه، فضلاً عن ولديه وسائر خاصته"، فيذكر انه كان قد اعلن الجهاد لصرخة امرأة وافوى الحكم لنخوتها فردت المرأة على ذلك قائلة: "والله لقد شفى الصدور ونكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله واعز نصره" مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 119.

ويذكر عنه صاحب أخبار مجموعة بقوله: "شجاعاً حازماً مظفراً في حروبه أطفأ نيران الفتن بالأندلس وكسر فروق النفاق وأذل أهل الكفر في كل أفق وكان مع نجدته وعزة نفسه متواضعاً للحق منقاداً للإنصاف من نفسه مؤلف مجهول، ص 124.

ووصفه ابن القوطية بانه كان جميل السيرة في رعيته متخيراً لحكامه وعماله مؤمناً للسبل متكرراً بالجهاد. تاريخ افتتاح الأندلس، ص 45.

واشاد ابن سعيد بسيرة وخصال الأمير الحكم واعتبره مثال الحاكم والأمير الأموي معجباً به بوصفه "وكان افحل بني امية بالأندلس وأشدهم إقداماً وانفة وعزة، الى ماجمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وايثار النصفة وكان يشبه بالمنصور العباسي في شد الملك وقهر الاعداء، وتوطيد الدولة". المغرب في حلى المغرب، 1/ 38.

امتدح المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي سيرة الأمير الحكم الأول وأكد على جودة حكمه وعدله وشجاعته وحسن اختياره وكرمه بقوله "كان الحكم شديد الحزم، ماضي العزم، ذا صولة تتقى، وكان حسن التدبير في سلطانه وتولية أهل الفضل، والعدل في رعيته،
=

تولى الامير الحكم في شهر صفر سنة 180هـ/ 769م مقاليد الامارة بعد وفاة ابيه وبعهد منه[1]. وقد واجهته المشكلة ذاتها التي واجهة قبله حول مقاليد الحكم، وهذه المرة جاءت من اعمامه سليمان وعبد الله البلنسي، فقد ثار الاثنين عليه مطالبين بالسلطة وتقلد الحكم وذلك عام 182هـ/ 798م، مما حدا بهما الى الزحف الى قرطبة فخرج اليهم الحكم، فقتل عمه سليمان وانتهت حركته، اما

= مبسوط اليد بالعطاء الكثير. الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973)، 1/ 48.

أكد مؤلف مجهول على عطف الأمير الحكم الربضي وحبه للرعية وقارنه مع غيره من الحكام وامتدح اصلاحاته بقوله كان الحكم يباشر امور مملكته بنفسه ويتفقد مصالح الرعية حيث كانت من قرب او بعد. وكان يتشبه في اموره بعبد الملك بن مروان، وهو اول من رفع الاعشار للمخازن، وكانت قبله تصرف في اعطاء الجند. ذكر بلاد الأندلس، 1/ 126.

بينما تحدث عنه بعض المؤرخين بغير هذه الاوصاف التي ذكرناها فقال المراكشي(6) انه "كان طاغية مسرفاً، وله اثار سوء قبيحة، وهو الذي اوقع باهل الربض" المعجب، ص19.

بينما قال عنه ابن حزم أنه كان من الجاهرين بالمعاصي، السافكين للدماء، ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء" ثم قال عليه بعد ذلك غير: أنه تنصل اخيراً وتاب" نقلاً عن المقري، نفح الطيب، 1/ 320.

لقد لقي الامير الحكم رعاية من والده الامير هشام فقد اسلمه الى العلماء واوصاهم بان يحسنوا تعليمه واستدعى له المؤدبين وحضهم على ان يحكموا تأديبه فما لبث كثيراً حتى اتقن القراءة والكتابة. وقد اشاد المؤرخون بثقافته وتعدد انواع معرفته ذكر لنا مؤلف مجهول انه كان خطيباً شاعراً جزلاً، ووصفه ابن عذاري "وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً"، اما ابن الخطيب الغرناطي فقال عنه: انه كان على فظاظته شاعراً مطبوعاً، اثر عنه قول الشعر" ذكر بلاد الاندلس، 1/ 128؛ البيان المغرب، 2/ 118؛ اعمال الاعلام، ص17.

(1) ابن عبد ربة، العقد الفريد، 4/ 490؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، 1/ 38.

عمه البلنسي فقد اضطر الى الصلح مع ابن اخيه الحكم بعد ان عفا عنه، واشترط عليه ان تكون بلنسية مقراً له، وقد استمر عبدالله محافظاً على العهد حتى وفاة الامير الحكم[1]. فلما توفى عاد من جديد كما سنرى الى الفتنة.

كان الامير الحكم يباشر امور مملكته بنفسه ويتفقد مصالح الرعية حيث كانت من قرب او بعد[2]. ومن المعروف عنه انه كان بالرغم من تقربه للفقهاء والقضاة [3]، لكنها لم تكن كعهد ابيه وذلك بسبب غيرته الشديدة على السلطة، وهذا ما يفسر رد الفعل العنيف من جانب الحكم وانتقامه بقسوة من الخارجين عليه من الفقهاء[4]. لحركة قاموا بها كادت ان تطيح بحكمه سنة 202 هـ/ 818م. وقد اطلق المؤرخون على هذه الحركة اسم موقعة الربض[5]، كما ان اسمه اقترن

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 363؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص15.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 126.

(3) ابن الاثير، الكامل، 6/ 338؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 41؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 127.

(4) ينظر للتفاصيل : ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 113؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 126.

(5) وهي انتفاضتان الربض الاولى عام 189هـ/ 805م. واسبابها يمكن حصرها، اولها عدم سير الحكم على خطة ابيه في الاعتماد على الفقهاء في تسيير امور الدولة، وثانيهما ماعرف عن الحكم بتظاهره بشرب الخمر والانهماك على اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء اهل علم وورع، وسبباً اخر كان قاسياً في تصرفاته واحكامه "كان طاغية مسرفاً" فضلاً عن ذلك ان الناس انكرت عليه اموراً منها "اطلاق يد ربيع القومس متولي المعاهدين بالاندلس من النصارى" وقد فرض مغارم جديدة استاء منها الناس. لهذه الاسباب جعل له عدد كبير من الاعداء فانضم الكثير منهم مع الفقهاء ورجال الدين في محاولة للتخلص منه. ينظر: النويري، نهاية الارب، 22/ 31. المقري، نفح الطيب، =

=

1/ 318؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص19؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص15؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 113. فضلاً عن وجود رأي اخر مفاده انه "حدث بقرطبة حادثة الهيج وذلك ان قوماً من اعلام قرطبة انكروا عليه اشياء رابتهم فاردوا خلعه وقصدوا الى ابن عم له يعرف بابن الشماس من ولد منذر بن عبد الرحمن بن معاوية واردوا تقديمه، وخلع الحكم فاظهر لهم الاجابة". ابن القوطية، القرطبي، افتتاح، ص50؛ عنان، دولة الاسلام، ج1، 243- 245.

اما انتفاضة الربض الثانية فكانت في رمضان سنة 202 هـ/ 818م. اسبابها كثيرة منها ذهاب احد مماليك الحكم الى صيقلي ودفع له سيفه ليشحذه فماطاله الصيقلي مما ادى الى نشوب نقاش حاد ادى الى قيام المملوك الى قتل الصيقلي، ومنها ايضاً سبب قيام الحكم الة زيادة الضرائب فكره الناس ذلك، وهنالك سبباً اخر انه اعترض بعض الناس الحكم اثناء عودته من رحلة صيد، فامر الحكم بالقبض عليهم وصلبهم.

ينظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص15؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 37؛ اخبار مجموعة، ص68، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص20.

اما نتائج حادثة الربض نوجزها بالآتي.

1. حرق حي الربض وتهديمه بالكامل ويقال ان الامير الحكم الاول استشار معاونيه كل من حاجبه وقاضيه حول الهدم حيث رفضوا العمل اما كاتبه فطيس فاشار عليه بالهدم وحثه على ذلك كما جاء بالنص الاتي: "فاشار عليه فطيس بن سليمان بالاثخان في القتل واستباحة العامة وهدم الربض وتعقيبه اثره وتحريم البناء فيه ما كان لهم سلطان بالاندلس.
2. مقتل اعداد كبيرة من عامة الناس وعدد من العلماء والفقهاء.
3. هجرة اعداد كبيرة من العلماء والفقهاء والادباء من قرطبة الى داخل الاندلس وخارجه كما وضح النص الاتي: "وخرجت منهم ثلاث طوائف كبار الطائفة الواحدة منهم فروا الى طليطلة... والطائفة الثانية توجهت الى العدوة لبلاد البرابر، ونزلوا بعدوة الاندلسيين

=

بها، فاصبح يلقب بالحكم الربضي[1]. ولقد ترك هذا التمرد اثاره على سياسة الحكم، مما جعله يحتجب عن العامة محاولة منه للحفاظ على سلامته [2].

واورد عنان [3] خطاب وجهه الحكم الربضي الى جميع عماله في جميع نواحي الاندلس وكورها يشرح فيه واقعة الربض وظروفها. والملاحظ ايضاً من قراءة الاحداث حول هذه الهيجة انه لم يعمل بما اوصاه ووجهه اباه هشام في الوصية الرائعة التي ذكرت اثناء حديثنا عن الامير هشام- اذ لم يكن كأبيه من خلال تقدرينا لشخصيته وسياسته-.

لقد كان للحكم توجيهات ونصائح سياسية وعسكرية كثيرة واذا تتبعنا الحوادث والتمردات التي حدثت اثناء حقبة حكمه فهي كثيرة نذكر منها ان طليطلة كانت من المدن الثائرة في شبه جزيرة الاندلس، نظراً لمناعتها ووقوعها

= من مدينة فاس، ومن حين نزولهم بها نسبت اليهم، فقيل عدوة الاندلسيين وبهم عمرت تلك العدوة وكثر اهلها وتمدنت، وكان ذلك سنة اثنتين ومائتين، ...والطائفة الثالثة وكانت طائفة عظيمة ذات عدة وجَلَدَ بلغت خمسة عشر الفا ركبوا البحر من مرسى بجانة واصعدوا نحو الشرق حتى اتوا الى الاسكندرية وقام اهلها عليهم فسقطوا بهم سطوة منكرة هزموهم فيها وبذلوا السيف فيهم فقتلوا منهم وملكوها..فاختاروا جزيرة قريطش أبن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المثورة، الزهرة 75، ص115-118؛ ابن خلدون، العبر، ج4،ص126؛ عنان، دولة الاسلام، ج1، ص 245- 247.

4. وقد احدثت هذه الهجرات الاندلسية اثرا فعالا في انتقال الحضارة الاندلسية في العمارة والعلوم والتقاليد الاجتماعية والدم العربي الاندلسي وبناء احياء نسبت للاندلسيين.

(1) المراكشي، المعجب، ص44. واطلق عليه ابن الاثير: الحكم المنتصر، الكامل، 6/ 149.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 128.

(3) دولة الاسلام في الاندلس، 1/ 245- 246. ينظر ملحق رقم (1) نص الخطاب.

على هضبة عالية تطل على نهر التاج، وان النسبة العالية من سكانها ليسوا من العرب بل من المولدين- أي من الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام- فضلاً عن وجود نصارى من الاسبان يقطنون هذه المنطقة، وهذا مايعلق عليه ابن خلدون بقوله كان اهل طليطلة يكثرون الخلاف ونفوسهم قوية لحصانة بلدهم، فكانت طاعتهم ملتاثة، فأعيا الحكم امرهم[1]، فقد حدثت عدة ثورات[2] فيها مما حدا

---

(1) العبر، 4/ 126.

(2) الخروج على الحاكم بالثورة المسلحة قضية شدد الاسلام فيها واحاطها العلماء اللازمة من البحث والدراسة لما يحدث من نتائج سيئة بالغة الخطورة على كيان الدولة ووحدة الامة وصفوة القول فيها ان الاسلام لم يجز الخروج على الحاكم لمجرد اساءة يرتكبها او مظالم يفعلها في البلاد فمعالجة هذه الناحية تكون بالموعظة والمناقشة والانكار لاثارة روح الامتعاظ عند الامة ضد مظالمه وسيئاته اذا اصر على تلك المظالم والاساءات بحيث لاتبلغ حد الخروج عليه. اما اذا تعدى الحاكم فعل السيئات وارتكاب المظالم فنشر الكفر البواح وقام بافعال الكافرين فاحل ماحرم الله وحرم ما احل الله فمعالجة هذه تكون بطرقتين تنفذ بالتتابع:

الاولى: مناقشته من قبل علماء الامة وذوي الرأي فيها لعل شبهة رفعته الى عمل ما وان اصر بعد ازالة الشبهة واستكبر ولم تكن له اذن واعية فهنا تنفذ الطريقة الثانية وهي وجوب الخروج عليه ومنابذته بالسيف لانه يصبح حينئذ مرتداً خارج عن حظيرة الاسلام ومثله لا يصح شرعاً ان يكون حاكماً على الامة الاسلامية والدليل الشرعي على ذلك فقد روي البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا فقال فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لاتنازع الامر اهله الا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: "هذا الحديث اخرجه مسلم من المغازي عن احمد بن عبد الرحمن... وقوله الا ان تروا كفراً بواحاً اذا اذاعه واظهره قوله برهان أي نص

=

بالحكم ان يرسل احد قواده وهو ايضاً من المولدين يدعى عمروس بن يوسف للقضاء على تمرد احد الثائرين في طليطلة يدعى عبيد بن حميد، فالتقى به في عدة معارك تمكن منه في النهاية[1]. وقام بعدها الحكم بتوجيه خطاب له الى اهل طليطلة مفاده أني قد اخترت لكم فلاناً- عمروس بن يوسف- وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه واعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومواليننا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم[2]. وهذا يدل على سياسة الحكم الفذة في السيطرة على البلاد مما ادى الى الوثوق به ورضوا بحكمه.[3]

=

اخر او خبر صحيح لايحتمل التأويل "والذي عليه جمهور العلماء ان حكام الجور من الذين فعلوا الكفر البواح وهو الفعل او الرأي المخالف لنصوص الكتاب والسنة ان قدر المسلمون على خلعهم بغير قتال ومنازعة حربية كان هذا السبيل هو الافضل حفظاً من اراقة دم معصوم او سلب مال او انتهاك عرض واذا لم يقدروا من التخلص من هؤلاء الحكام الا بالقتال فيجب القتال والخروج عليهم ولو ادى الى قتله ونحوه، وقالوا يجب الخروج على الحاكم الكافر لان ظهور الكفر اعز عند الله واكرم من الدماء والاموال اذ بازالته وتنصيب غيره من الرجال العدول يقام الشرع وتنفذ احكام الاسلام ولان الحاكم اذا عمل الكفر واصر عليه كان مرتداً ومن اصبح مرتداً لايجوز ان يبقى لحظة واحدة بحكم المسلمين ولان ظهور الكفر في البلاد وطغيانها على احكام الاسلام تجعل هذه البلاد دار كفر ومتى اصبحت ذلك يحرم على المسلمين ان يبيتوا فيها ليقين قوله ﷺ: "لايحل لمؤمن ان يبيت ليلتين في دار الكفر".

ينظر: البدري، عبد العزيز، الاسلام بين العلماء والحكام، ص181-182.

(1) ابن عذاري، البيان، 2/ 104.

(2) النويري، نهاية الارب، 22/ 33.

(3) تشير بعض مصادرنا التاريخية ان الحكم قد وجه لقائده عمروس ان يقوم ببناء قصر

=

وما اريد ان ابينه هنا هو الاشارة الى مقدرة الحكم على التوجيه السياسي والعسكري الصائب هذه المرة فهو يختار لاهل طليطلة رجلاً منهم يسودهم، وفي هذا كبح لنفوسهم ولذرائعهم.

وتشير النصوص الى ان الحكم قد وجه عدة خطابات الى قائده الفرج بن كنانة واليه على سرقسطة، حين اخبره الاخير ان شخصاً اسمه عمارة استمال قوماً من البربر وهاجم سرقسطة فملكوها، ثم تداعى العرب والبربر الى معونة فرج الوالي، فهزموا عمارة ومن معه وعادوا الى طاعة الحكم وارسل فرج الى الحكم يخبره بما تم، فكتب اليه الحكم: أما بعد: فقد بلغنا كتابك تذكر الذي زاولت من صلاح ماقبلك وشغلك عن الكتاب الينا بأمر عمارة، وما كان من

= يحكم اسواره ويتقن امره في طليطلة، الغاية منه التخلص فيما بعد من وجوه طليطلة، فقام بتحرك سياسي وعسكري رائع اذ اعلم انه ذاهب الى الثغر الاعلى لنجدة عسكرية هناك، اخذاً معه ولده عبدالرحمن ولي عهده ماراً بمدينة طليطلة دون دخولها، فلما قطع مسافة اعلن ان الامر قد انتهى بعد ان تلقى خبراً من عامله هناك ان الازمة قد انتهت ولاداعي لمتابعة السير، وباتفاق مع عمروس دعا الاخير وجهاء طليطلة للخروج الى موكب الامير لاستقباله دون اجبار، مما حدا بهم ان يخرجوا معه والدعوة لزيارة طليطلة، واذا به ان يدخل طليطلة ويقيم وليمة في القصر الانف الذكر، ودعا الوجهاء لها وكتوجيه سياسي اعلن ان الزائرين يدخلون من باب ويخرجون من باب اخر منعاً للزحام، واذا امر باقامة حفرة يقبض على الداخلين ويرمونهم بها للتخلص من زعماء طليطلة وقد نجح في خطته، اذ بلغ من لقى حتفهم السبعمائة رجل وبعضهم بالغ اوصله الى الخمسة الاف وثلثمائة رجل من وجوه المدينة، وقد سميت تلك الحادثة بوقعة الحفرة.

ينظر النويري، نهاية الارب، 22/ 33؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 104؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص15.

امره، وامر من خرج معه، الذي اختلف عليك من امر اهل المدينة، بدخول من داخلهم من البربر، وما كان من نفير من نفر اليك من خيارهم، ووجوهم، واهل الدعة والصلاح منهم، نصرة لك ومعرفة بما فيه الطاعة من العافية والسعادة، ووثوب من وثب عليك من شرارهم، واهل السفه[1] منهم، وحسن مراجعتهم بعد الذي كان منهم، وممن تذممهم على مافرط من فعلهم وزل عن رأيهم. وقد كان من استجماع كلمة خيارهم ووجوهم، وصالحيهم على نصرتك ومدافعة من وثب[2] عليك من سوادهم، ماعفا من ماركب من رعاعهم ومن شذ من سفائهم، ودعا ذلك الى العفو عنهم، والصفح عن زللهم[3]، وانا لكاتبون الى عامتهم مع رسلك الينا بما سألته ومعجل ذلك اليهم، اصبت رأيك فيما جمعت

---

(1) السفه ضد الحلم وأصله الخفة والحركة و تسفه عليه إذا أسمعه وقيل الجهل وهو قريب بعضه من بعض وقد سفه حلمه ورأيه ونفسه سفها سفاها سفاهة حمله على السفه.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب 13/ 497؛ الرازي، الصحاح، 1/ 127.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ سورة البقرة(130) ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الاعراف(67).

(2) وثب الوثب الطفر والموثب المكان الذي تثب منه.

ينظر: الفراهيدي العين 8/ 247؛ ابن منظور، لسان العرب، 1/ 79.

(3) زلل زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة يزل ويزل زلا وزليلا ومزلة زلق أزله عنها زللت يا فلان تزل زليلا إذا زل في طين أو منطق قيل زل وإذا زل في مقال أو نحوه قيل زل زلة وفي الخطيئة ونحوها.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 11/ 306.

من كلمة الفريقين، واصلحت من امرهم. وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك فيما حملناك من امانتهم وعصبنا بك امرهم، ووقع لك منا موقع المعرفة والسلام".

وهذا مايدلل على ان الامير وعماله يتبادلون الرسائل، ولايخطو عامل الامير الى اتخاذ بعض القرارات دون توجيه وتوصية وارشاد من اميره لاسيما في المواضيع الحساسة ومنها الفتن والاضطرابات، ولكي يحيط الامارة عما يجري على ارض الواقع محاولة من العامل الى اميره الاطلاع على كافة الامور، فضلاً عن ايصال مايجري هناك، وعلى هذا الاساس يبدأ الامير بتوصية العامل وتوجيهه وهذا ما قد يساعده على اتخاذ القرار المناسب. لكن هذا لايعني ان عمال الثغور والكور كانوا يتخذون قراراتهم بناءاً على تصورهم للحال وكل هذا ينصب في مصلحة الدولة وشأنها السياسي والعسكري.

ثم اعقبه بتوجيه ونصيحة اذ قال له: "قد كان من امر عمارة وابنه واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما اليك ماقد عرفت ثقة بك وبنصيحتك ومابلوا من طاعتك فاحتفظ بهما في ليلك ونهارك واحذر الضيعة[1] فيها والغفلة[2] عنهما الى قدوم المغيرة ذلك الثغر ان شاء الله. واعلم انك ضامن

---

(1) ضاع الشيء يضيع ضياعا و ضياعا بكسر الضاد وفتحها أي هلك وفلان بدار مضيعة بوزن معيشة والإضاعة و التضييع بمعنى والضيعة العقار والجمع ضياع وضيعة الرجل حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب 8/ 231؛ الرازي، الصحاح، 1/ 162

(2) غفل يغفل غفلقة وغفولا والتغافل التعمد ولتغفل ختل عن غفلة وأغفلت الشيء تركته غفلا وأنت له ذاكر والمغفل من لا فطنة له والغفل المقيد لا يرجى خيره ولا يخشى شره وقد اغتفل والجميع الأغفال.

=

لهما ان فاتا[1] من يديك، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهما ابلغ التحفظ ان كانت لك بما قبلنا حاجة. ولاتلومن الا نفسك ان ضيعت. والسلام[2].

ووجه خطاباً اخر الى وجهاء العرب الذين قاموا بمساعدة الفرج بن كنانة اثر حركة عمارة قال لهم: اما بعد: فقد بلغنا كتابكم تذكرون ان الذي كان من صنع الله لنا في ذلك الثغر بما قمتم فيه، وحاولتم من صلاح ما فسد منه واخطرتم من دمائكم وانفسكم في نصرة عاملكم وعزه، ومجاهدة من نزع عنه ودفع امره حتى اصلح الله الامر وجمع الكلمة وقوم الطاعة، وكل الذي كتبتم تذكرونه وتمنون به قد وقع من بافضل موقع في معرفته وحسن الجزاء به، وجميل المكافأة عليه. وقد ولينا المغيرة بن الحكم امر ثغركم، وعهدنا اليه ان يعرف حق بلائكم، وحسن طاعتكم، وغنائكم، وان يتسع لكم فيما جعلته اليه بما انتم اهله

ينظر: الفراهيدي، العين، 4/ 419.

قال تعالى ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ سورة ق:الاية 22، وقوله تعالى ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ سورة الانبياء: الاية 97.

(1) الفوات فاتني كذا أي سبقني وفت أنا وقال أعرابي الحمد الذي لا يفات وفاتني الأمر فوتا وفواتا ذهب عني وفاته الشيء وافاته إياه غيره لسان 2/ 69.

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سورة الحديد، الاية 23.

(2) الخشني، ابو عبدالله (ت 361هـ)، قضاة قرطبة، دار المصرية، (القاهرة، 1966)، 42- 43.

من طاعتكم وصبركم ومناصحتكم، وفضل ماقـدمتم مـن ذلـك والله المسـتعان، والسلام[1].

وهنا اشارة الى ان الحكم كان يشرك اولاده في امور دولته وذلك باعطائهم ولايـة الثغـور كأسـلوب اعتـاده الامويـون في الانـدلس للتمـرس علـى الادارة والسياسة واعطاءهم المكانة البارزة في المجتمـع لكـي يمارسـوا دورهـم السياسـي والعسكري ليتبنوا فيما بعد زمام امور الدولة، فضلاً هم اهتمامـه بـالعرب دون غيرهم.

وصيته وولاية العهد

اصيب الحكم بعلة بعد فتنة الربض واحتجب اربعة سنوات، مما جعـل ان يستنيب ابنه الاكبر عبد الرحمن لتدبير شؤون الامارة والحكم نيابة عنه[2]، وحـين اشتد المرض عليه واحس وشعر بان اجله قد دنا فلابد مـن اختيـار وليـاً للعهـد فاختار ولده عبد الرحمن اكبر ابنائه، واخذ البيعة له، وشرك معه اخاه المغيرة مـن بعده[3].

والملاحظ هذهَ المرة ان حدثاً جديداً ظهر على ولاية العهد اولهما انه اختار اثنين لولاية العهد بشكل تتابعي، والامر الاخر ان البيعة اخذت لولي العهـد في حياته، وان انتقال الامارة هذه المرة لم تحدث بها معارضة او ضجة، وان دل على

---

(1) الخشنى، قضاة قرطبة، ص43.

(2) ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 46.

(3) المقري، نفح الطيب، 1/ 322؛ الشعراوي، الامويون امراء الاندلس الاول، ص267.

شيء انما يدل على ان نظام الحكم في عهد الحكم كان مستقراً، ويذكر ان المغيرة تنازل عن حقه فيما بعد واكتفى ان يبقى في كنف اخيه عبدالرحمن معززاً على الرغم من ان لديه عقب[1]. ولما احس الامير الحكم باقتراب اجله لابد وان يترك وصية لابنه وارشادات ونصائح وتوجيهات، مما ترك له وصية كانت بمثابة برنامج سياسي وكخطوط اساسية يرتكز بها ولده على نظام الحكم، واذا نظرنا بتفحص على هذه الوصية لنجدها انها عصارة تجارب الامير الحكم خلال سنين حكمه. قال فيها: يٰابني اني قد وطدت[2] لك الدنيا وذللت[3] لك الاعداء

(1) ابن سعيد، المغرب، 1/ 43.

(2) وطد الشيء يطده وطدا أثبته وثقله والتوطيد مثله والواطد الثابت وطدت الأرض أطدها طدة إذا أثبتها بالوطء أو بالردس حتى تتصلب والميطدة خشبة يوطد بها المكان فيصلب لأساس بناء أو غيره ومنه اشتق توطيد السلطان والملك ونحوه. ينظر: الفراهيدي، العين 7/ 443؛ ابن منظور، لسان العرب، 3/ 461.

(3) الذل مصدر الذلول أي المنقاد من الدواب ذل يذل ودابة ذلول بينة الذل ومن كل شيء أيضا وذللته تذليلا ويقال للكرم إذا دليت عناقيده قد ذلل تذليلا والذل مصدر الذليل والذل نقيض العز.

ينظر: الفراهيدي، العين، 8/ 176؛ ابن منظور، لسان العرب، 11/ 256.

قال تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ سورة ال عمران: الاية 26، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾سورة ال عمران: الاية 123.

واقمت اود[1] الخلافة وافتت[2] عليك الخلاف والمنازعة[3]، فاجر على مانهجت لـك مـن الطريقـة. واعلـم ان اولى الامـور بـك واوجهـا عليـك حفـظ اهلـك وعشيرتك ثم الذين يلونهم من مواليك وشيعتك، فهم انصارك واهـل دعوتـك ومشاركوك في حلـوك ومـرك، فـيهم انـزل ثقتـك وايـاهم واسـي مـن نعمتـك وعصابتهم، واستشعر دون المتوثبين الى مراتبهم من عوام رعيتك الذين لايزالون ناقمين على الملوك افعالهم، مستقلين لاعبـائهم، فاحسـم عللـهم ببسـط العـدل لكافتهم، واحسام اولي الفضل والسـداد لاحكـامهم وعمـالاتهم دون ان ترفـع

---

(1) أود ويقال ودأته فتوداً أي سويته فاستوى وودأت الأرض إذا كانت محفورة فسويتها. ينظر: الفراهيدي، العين 8/ 96؛ ابن منظور، لسان العرب، 3/ 453.

(2) أفت: أفته عن كذا كأفكه أي صرفه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 2/ 4.

(3) الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل الخلاف المخالفة وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله أي مخالفة رسول الله عليه السلام. والتنازع المنازعة في الخصومات ونحوها وهي الجاذبة أيضا كما ينازع الفرس فارسه العنان.

ينظر: الفراهيدي، العين، 1/ 359؛ ابن منظور، لسان العرب، 4/ 396؛ الرازي، الصحاح 1/ 78.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ سورة الانفال: الاية 43 وقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الانفال: الاية 46.

عنهم ثقة الهيبة. وان رأيت فيمن يرضى من صنعائك رجلاً لم تنهض به سابقة ويشف[1] بخصلة، وتطمع نفسه وهمته، فاعنه واختبره وقدمه واصطنعه، ولايريبنك[2] خمول[3] اوله فان اول كل شرف خارجيته، ولاتذعن[4] مجازاة المحسن باحسانه، ومعاقبة المسيء باساءته، فان عند التزامك هذين ووضعها يرغب فيك ويرهب منك، وملاك امرك كله بالمال وحفظه، يأخذه من حله

---

(1) الشف الستر الرقيق يري ما خلفه واستشففت ما وراءه أي أبصرت والشف الربح وهو الزيادة والفضل ينظر: الفراهيدي، العين 6/ 221.

(2) الريب ما رابك من أمر أريت الرجل جعلت فيه ريبة وأرابني أوهمني والريب صرف الدهر وعرضه وحدثه والريب ما رابك من أمر تخوفت عاقبته.

ينظر: الفراهيدي، العين8/ 287؛ ابن منظور، لسان العرب 1/ 42.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ سورة الكهف: الاية21.

(3) الخامل الخفي الساقط الذي لا نباهة له يقال هو خامل الذكر والصوت خمل.

ينظر: الفراهيدي، العين4/ 273؛ ابن منظور، لسان، 11/ 122

(4) ذعن: مذعنين مقرين خاضعين والإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة تقول أذعن لي بحقي معناه طاوعني لما كنت ألتمسه منه وصار يسرع إليه وقال الفراء مذعنين مطيعين غير مستكرهين وقيل مذعنين منقادين وأذعن لي بحقي أقر مستكره والإذعان الانقياد وأذعن الرجل انقاد وسلس وأذعن له أي خضع وذل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 13/ 172

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ سورة النور، الاية 49.

وصرفه على حقه فانه روح الملك المدبر بجثمانه، فلا تجعل بينك وبينه احداً في الاشراف على اجتنابه وادخاره والتثقيف لانفاقه وعطائه، وختام وصيتي اياك باحكامك في احكامك فاتق الله ما استطعت والى الله اكلك- واياه استحفظك- فقد هان على الموت اذ خلفني مثلك[1].

ويلاحظ من الوصية جملة من الامور اكد عليها الحكم لولده ولي عهده عبد الرحمن واراد منها ان تكون بين عينيه وهو يسير دولته التي وطأها له والده وذلل اعداءها، فاكد له ان يسير على نهجه في سياسته مع الرعية، والزمه ان

---

(1) الشعراوي، الامويون امراء الاندلس الاول، ص267- 268. وقد ذكر الشعراوي انه نقلها عن مخطوط الاحاطة. في حين يذكر نفس النص عنان في كتابه دولة الاسلام في الاندلس، 1/ 248، ويقول تم نقله عن مخطوط ابن حيان المقتبس.

في حين يورد مؤلف مجهول النص على النحو الاتي:

"يابني اني قد وطأت لك الدنيا وذللت لك الاعداء واقمت لك اود الخلافة فاجر على مانهجت لك من الطريقة وابسط العدل في رعيتك وولي امورهم اهل الدين والسداد ولا ترفع عنهم ثقل الهيبة ولا تدع تعجيل مكافأة المحسن باحسانه، وتنكيل المسيء باساءته فهما يحسبان عليك الرغبة والرهبة وعليك بحفظ المال فانه روح الملك واتق الله ما استطعت والله خليفتي عليك". ذكر بلاد الاندلس، 1/ 133.

يلاحظ في الوصية هذه انها تؤكد على عدة امور منها:

يؤكد الحكم لابنه ان اوصل له الخلافة سالمة من الاعداء واكد له ان يسير على نهجه.

تأكيد الحكم لابنه المحافظة على هيبة الملك وابهة الخلافة، وان يبقى عزيزاً مصاناً.

اكد على اقامة العدل بين الناس رائده الاسمى بالحكم.

اكد على اهمية المال وضرورة الحرص عليه وعدم التبذير فيه.

يحافظ على اهله ولاسيما عشيرته وان يوليهم اولى الامور[1]، ومن ثم يأتي

---

(1) هذا مناف للصفات الواجبة والمفروضة للحكام والولاة في الدولة العربية الاسلامية التي سنذكرها لانه جعل التفاضل بالقرابة والنسب مما يؤدي الى جعل ابناء الشعب طبقات غير متساوية فلا يسود العدل بين قريب النسب وبعيده كيف لا وخصوصاً اذا وجد اشخاص اكفاء وعدول صالحون لان يمسكوا زمام المدن والامصار لكن ليس بينهم صلة وقرابة بالسلطان أي انهم ليسوا من ابناء عشيرته وتلك الشروط نجملها بالآتي:

1. ان يكون الحكام مسلمين لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ سورة النساء: الاية.141
2. ان يكون الحكام ممن بلغوا الحلم لقوله ﷺ: "تعوذوا من امارة الصبيان".
3. أن يكون الحكام من العقلاء فلا يصح ان يكونوا مجانين لقوله ﷺ "رفع القلم عن المجنون حتى يفيق".
4. ان يكون الحكام عدولاً وهؤلاء الحكام ان يكونون عقلاء وذو مسؤولية سياسية وبما يرضى الله.
5. ان يكون الحكام احراراً غير عبيد لان العبيد ملك لاسيادهم فلا يملكون التصرف بانفسهم.
6. وجوب توفر شروط الامامة في المعهود اليه.

للتفاصيل حول الوصية وشروطها ينظر: الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي، النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1970)، ص 611؛ ابن عابدين، محمد بن عمر بن عبدالعزيز، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار في فقه ابي حنيفة المعروف بحاشية ابن عابدين ،طبع مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، 1966، ج5/ 496؛ الكاساني، علاء الدين ابي بكر بن مسعود الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب =

بعدهم من مواليه وشيعته، فالاخرين اكد لـه بـانهم هـم ناصـروه، وهـم الـذين يشاركونه في حلاوة الايام ومرارتها.

اكد له ان اقامة العدل بين الرعيـة يخفـف مـن نقمـتهم علـى الملـوك وان سلاح العدل واقامته أي الحق والمساواة بين الناس لايجعل من الناس من يتوثب عليك، ثم اكد على ان يختبر الرجال حـين تـوليتهم لامـور الرعيـة، كمـا تشـير الوصية على انه اوصى بالمال وحفظه لانه اساس له في تدبير شؤون دولته أي ان تكون هنالك موازنة تامة في توزيعها وكأن اراد تأكيد قولـه تعـالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1]. كمـا واوصـاه ان لايطلـق

=

الشـرائع، دار الكتـاب، (بـيروت، 1982)، ج7/ 394؛ المـاوردي، علـي بـن محمـد (ت 405هـ)، الاحكام السلطانية والولايـات الدينيـة، طبعـة الحلـبي، (القـاهرة، 1966)، ص367؛ ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والاهواء والنحل، طبعة مؤسسـة الخـانجي، (القاهرة، بلا. ت)، ج4/ 169؛ ابو يعلى، محمد بن الحسين الحنبلي (ت458هـ)، الاحكـام السلطانية، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البـابي الحلـبي، (مصـر، 1966)، ص5؛ ابن قدامة، ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمد، المغني على مختصر ابي القاسـم عمـر بن الحسين بن عبدالله، تحقيق: طه محمد الزيني، (القاهرة، 1966)، ج6/ ص2.

وقد ذكر البدري وصية لسيدنا الامام علي بن ابي طالب (ﷺ) الى واليه على مصر مالك بن الاشتر النخعي قال فيها " انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصـة اهلـك ومـن لك فيه هوى من رعيتك فان لاتفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبـاده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع او يتوب وليس شيء ادعـى الى تفسير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامه على ظلم فان الله سميع دعوة المضـطهدين وهـو للظالمين بالمرصاد". الاسلام بين العلماء والحكام، ص45.

(1) سورة الاسراء: الاية 29.

احكام تعسفية في حق رعيته وان يتق الله في ذلك.

توفى الامير الحكم في الرابع من شهر ذي الحجة سنة 206هـ، 822م، فصلى عليه ولي عهده الامير عبدالرحمن بن الحكم، ودفن في المقبرة الخاصة بالامراء في داخل القصر المعروفة بالروضة، وقد دام حكمه ستة وعشرين سنة وعشرة اشهر[1].

عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم (206- 238هـ)

ولد الامير عبد الرحمن بن الحكم بطليطلة عام 176هـ/ 793م[2] ولى الحكم في الحادية والثلاثين من عمره[3]، امه تدعى حلاوة وكان يكنى ابو المطرف وقيل ابو المظفر[4]، وعرف بعبدالرحمن الثاني والاوسط، كان ثاني ثلاثة من امراء بني امية بالاندلس سموا بهذا الاسم.[5]

تولى الإمارة بالأندلس وامتاز بخصال عربية اسلامية متميزة وكان يحفظ

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 133؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص18.

(2) المقري، نفح الطيب، 1/ 325.

(3) ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف، المقتبس من انباء اهل الاندلس، تح: الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1393هـ- 1973م)، 2/ 17؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 137؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 254.

(4) النويري: نهاية الارب، 22/ 51؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 122.

(5) المراكشي، المعجب، ص48؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 324.

القرآن بالروايات السبع ويحفظ أزيد من ثلاثة الاف حديث مسندة[1] الى النبيﷺ، وكان عارفاً بالتعديل والعلم بالافلاك والفلسفة[2]

---

(1) الحديث المسند هو مرفوع صحابي بسند ظاهر الاتصال، والمسند هو ماروواه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه وكذا شيخه عن شيخه متصلاً الى صحابي الى رسول الله (ﷺ).

ينظر: ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، شرح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر، مصححاً بمعرفة لجنة من علماء الازهر برئاسة الاستاذ الشيخ احمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، (مصر، 1934م/ 1352هـ)، ص512.

(2) ينظر: عنان، دولة الإسلام، 1/ 251؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص152-155؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص228.

وقد وصفه المؤرخون بقولهم:

ذكره صاحب أخبار مجموعة بأنه "حليمٌ جودٌ وكان له حظٌ من ادب وفقه وحفظ للقرآن ورواية للحديث". مؤلف مجهول، ص135

وصفه ابن القوطية بالعدل والإنصاف وحبه للرعية، بقوله "فسار بخير سيرة والتزم إكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر في دولته وأسعافهم في مطالبهم كلها فعاش بخير، وكانت رعيته معه بخير وله في دار الحرب غزوات... وكان لايولي القضاء احداً الا عن رأيه". تاريخ افتتاح الأندلس، ص 58

اعجب النويري بسيرة الأمير عبد الرحمن الثاني ووصف أيام حكمه بعطفه على الناس بالأندلس وبالخير بقوله: "وكانت أيام عافية وسكون وكثرت الأموال عنده واقام ابهة المملكة ورتب رسومها وكان يشبه بالوليد بن عبدالملك في ابهته، وهو اول من اجتلب الماء العذب إلى قرطبة". نهاية الارب في فنون الادب، 22/ 57.

وهذا ماجعل المؤرخ الاندلسي ابن الخطيب يصفه بقوله: "وفي ايامه احتفلت دولة بني امية بالاندلس، وعظمت الالقاب، وشيدت القصور، وجلبت اليها المياه، وجلبت اليه من =

ولي عبد الرحمن الامارة بعد وفاة والده الامير الحكم بيوم واحد، وبعهد منه دون ان يحدث انشقاق بينه وبين اخوته. ولذلك بعث الى اخوته واهله وكبار

= المشرق بعد ان عاثت الفتنة في قصور الامير وخزائن بغداد، الذخيرة الرفيعة، كعقد الشفاء ومثله اعلاق زبيدة بنت جعفر، وفي ايامه، اتخذ الطراز، الذي كان حديث الرفاق وطرفة اهل الافاق. اعمال الاعلام، ص20.

اشاد ابن سعيد على عدالة الأمير عبد الرحمن الثاني ومحاربته لمظاهر الفساد التي تنافي الشريعة الإسلامية وسعيه الى إقرار الأمن والحق والمساواة ووصف أيام حكمه بقوله: وكان يقال لأيامه أيام العروس واستفتح دولته بهدم فندق الخمر وإظهار البر وتملى الناس معه العيش، وكان مكرماً لأصناف العلماء محسناً لهم، وكان يخلو بكبير الفقهاء يحيى بن يحيى كثيراً ويشاوره. المغرب في حلى المغرب، 1/ 46.

أكد ابن الخطيب الغرناطي على قوة حكم الأمير عبدالرحمن الثاني وضبطه لامارته: وكان ملكاً كبيراً، قارع الثوار، وهزم الكفار، وأبعد الآثار. اعمال الاعلام، ص 18.

وكان الامير مهتماً بالثقافة والعلوم وتشجيع العلماء والادباء، يقول ابن القوطية: فسار بالناس بخير سيرة والتزم اكرام اهل العلم واهل الادب والشعر في دولته، واسعافهم في مطلبهم كلها فعاش بخير، وكانت رعيته معه بخير. تاريخ افتتاح، ص80.

اما الجوانب الادبية فقد كان نفسه اديباً رفيع الثقافة مجيداً للنظم، ذا حظ في البلاغة، اتصف الأمير عبد الرحمن الثاني بالإيمان ورجاحة العقل وحسن اللسان وبلاغة التعبير، وصدق العبارة، والثقة بالنفس، والذكاء والعلم والثقة بالنفس واليقين بالمصير، يظهر ذلك من خلال خطبته التأبينية التي القاها بعد وفاة والده الحكم في خاصته وجاء فيها: الحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه، وعزماً من امره، واجرى الامور على مشيئته، فأستأثر بالمكوث والبقاء وإذل خلقه بالفناء وتبارك اسمه وتعالى جده. ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 90. وهي تدل على ملكته الادبية.

رجال دولته فبايعوه، ثم بايعه القضاة والفقهاء ثم قواد الجيش والاجناد[1]، وبعد ان تمت له البيعة الخاصة، اعقبتها البيعة العامة[2]، ولما انتهت مراسيم البيعة، خرج برفاة ابيه وصلى عليه ووقف على قبره حتى فرغ الناس من دفنه[3]. جلس على الارض مطأطئاً ثم افتتح القول :

الحمد لله الذي جعل الموت حتماً[4] من قضائه وعزماً[5] من امره، واجرى

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 135؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 138.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 135

(3) مؤلف مجهول، كر بلاد الاندلس، 1/ 138.

(4) الحتم: القضاء والحتم إيجاب القضاء وفي التنزيل العزيز كان على ربك حتما مقضيا وحتمت عليه الشيء أوجبت وحتم الله الأمر يحتمه قضاه والحاتم القاضي.

ينظر: الفراهيدي، العين 3/ 195؛ ابن منظور، لسان العرب، 13/ 113.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ سورة مريم: الاية 71.

(5) عزم: العزم ما عقد عليه القلب أنك فاعله أو من أمر تيقنته وما لفلان عزيمة أي ما يثبت على أمر يعزم عليه وما وجدنا له عزما وإن رأيه لذو عزم والعزيمة الرقى ويجمع عزائم وعزائم القرآن الآيات التي يقرأ بها على ذوي الآفات لما يرجى من البرء بها العين وعزمت عليك بمعنى أقسمت.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 1/ 363؛ الرازي، الصحاح، 1/ 181.

قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ سورة لقمان: الاية 17، وقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة آل عمران: الاية 159.

الامور على مشيئته فاستأثر بالملكوت والبقاء واذل خلقه بالفناء تبارك اسمه وتعالى جدّه، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليما. وكان مصابنا بالامام رحمه الله مما جلّت به المصيبة، وعظمت به الرزية[1]. فعند الله نحتسبه واياه نسأل الهام الصبر، واليه نرغب في كمال الاجر والذخر.ولقد عهد الينا فيكم بما فيه صلاح احوالكم، ولسنا ممن يخالف عهده، بل لكم لدينا المزيد ان شاء الله[2].

والملاحظ ان الامير عبر بهذه الخطبة عن اتجاه واهداف سياسته المستقبلية التي سينهجها مع رعيته، وهي على اقتضاب عباراتها تنم عن معانٍ كبيرة في طياتها، فالمصاب ليس مصاب بني امية بل مصاب الاندلس كلها وان المصيبة عظيمة لان وجود الحكام للناس امر لازم لهم لزوم الماء للحياة اذ لاعدل قائم الا بهم ولا سعادة للبشر الا بهم ولا رد الاعداء الا بهم ولا رد المظالم الا بهم والناس بدونهم فوضى ولقد عبر الرسول الكريم عن ذلك بقوله الجامع انما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به[3]، والعهد في اصلاح احوالهم ورعايتهم

---

(1) الرزء والمرزئة والرزيئة بالمد والرزية المصيبة والجمع الرزايا وقد رزأته رزيئة أي أصابته مصيبة. ينظر: الرازي، الصحاح، 1/ 101.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 190. ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص 18؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 138.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ج3/ 1080؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3/ 1471.

ولله در الامام الشافعي ﷺ حين قال:

اذا شئت ان تحيا سليماً من الردى	ودينك موفور وعرضك صينُ
فلاينطقن منك اللسان بسوأة	فكلك سوءات وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك مساوياً	لقوم فقل ياعين للناس اعين

=

بالمزيد انما كان وصية من والده الحكم وهذا مستفاد من قول الامير عبدالرحمن "ولقد عهد الينا فيكم بما فيه اصلاح احوالكم" فاذا كانت وصية من والده وهو سائر على نهجه قَوِيَ ولاء اهل الاندلس لبني امية لان الامير الراحل يوصي ويرشد الامير القادم باهلها الخير والصلاح وهذا من الاساسيات المهمة للحاكم ولاي نظام حكم سليم وهو ان يسعى لخدمة الرعية ويحقق لهم الرفاهية والهناء وان يذكر محاسن من سبقه وان لايذكر المساوئ.

كان عهد الامير عبد الرحمن عهد سلام نسبي كما عد عهد رخاء في المستويين الثقافي والعلمي اذ لم تكن هنالك فتن كبرى في عهده ولم تكلفه تلك عناء كبير. فنهاية ثورة عبدالله البلنسي الذي ركن من ايام الامير الحكم، عاد من جديد بثورته مما امر ووجه عبد الرحمن توجيه جيش ولكنه فضل العودة الى بلنسية ومات هناك في سنة 208هـ/ 823م فامر الامير عبد الرحمن بنقل اولاده وعائلته الى قرطبة[1] حتى لايفكر احد منهم بالخروج عن طاعته فيما بعد اذ بقي عبدالله البلنسي طيلة حياته يطالب بدفة الحكم.

للامراء والسلاطين سياسية لامجال لنا في تقيمها من حيث انها سلبية او ايجابية، وهي سياسة الارهاب وتدمير المدن لاخماد الفتن التي تحدث بين القبائل، فهذه الفتن اذا استمرت بين القبائل المتنازعة قد تضعف السلطة، وانني في

= وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي احسن الشافعي، ابو عبدالله محمد بن ادريس (ت 204هـ)، ديوان الامام الشافعي، جمعه وعلق عليه، محمد عفيف الزعبي، الناشر، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، ومكتبة الشرق الجديد، بغداد، العراق، 1985، ص84.

(1) النويري، نهاية الارب، 22/ 41؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 127.

الاشارة هنا الى ما حدث في بين القيسية واليمنية ولاني لااقحم هذا الموضوع في موضوع بحثي الا لان للامراء سياسية وتوجيه وتوصيات احياناً لاخماد هذه الفتن نرى ذلك واضحاً ونلمسع في الفتنة بين القيسية واليمنية في ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم اذ كان الفريقان في انتظار دائم لارتكاب اية هفوة فالقلوب كانت مليئة بالحقد بطبيعتها[1]، لما علم الامير عبد الرحمن بذلك اسرع بتجهيز جيش وامر ان يبعث الى منطقة تدمير لتهدئة الفتنة، مما ادى الى اشتباكه معهم، مما حدا بالامير ان يرسل جيشاً اخر لان الفتنة بين القيسيين واليمنيين لازالت قائمة، وجرت عدة مناوشات بينهم. فامر الامير عبدالرحمن ممثليه في المنطقة ان يتخذوا مدينة مرسية قاعدة لهم وان يهدموا مدينتهم إلّه في مقاطعة تدمير تلك المدينة التي ثارت الفتنة بها بادئ الامر ونفذ ذلك فعلاً في عام 210هـ/ 825م[2].

وهذا توجيه سياسي فمن التوجيهات السياسية ماجبر الامير بقيادة حملات عسكرية قاتلة، ولقد راى الامير ان تهديم المدينة سيؤدي الى اخماد الفتنة وان هذا الاجراء السياسي والعسكري في ان واحد هو اخماد تلك الفتن لذلك نراه ان يامر عامله ان ينتقل من تدمير الى مرسيه ويجعلها قاعدة لتلك البلاد. والملاحظ ايضاً انه اراد ان يصلح بينهما فالواجب في كتاب الله ان يصلح بالعدل كما في

---

(1) كانت انبعاث هذه الفتنة وسببها على ورقة دالية قطفها احد المضريين من بستان يماني فقتله اليماني فكان ذلك سبب في القتال بين الفريقين. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 142.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ص123؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 128؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 42.

قوله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

واضافة الى ماذكرناه واستنتجناه فان في سياسة القمع التي تمثلت باحراق المدن وتهديمها نظرة اخرى، وهي قد تكون هذه السياسية ناجحة في الحفاظ على السلطة وذلك لان التنازع والتناحر بين ابناء الدولة الواحدة يثلج صدور الاعداء ويجعلهم يفكرون في الدخول الى المدن والثغور القريبة، وبالتالي فان شقاق القبائل والعشائر يساعد على هدم الدولة مما جعلنا نأخذ بعين الاعتبار هذه السياسية وهذا التوجيه وان لاندعه جانباً.

وللامراء سياسة وتوجيه يتمثل في اختيار العمال لما فيه من المحافظة على النظام وحسن مقومات الحكم السليم، فضلاً عن حسن الاختيار ومما اشار الله عز وجل اليه ذلك بقوله ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾[2]، فكان من السياسة الحكيمة والتوجيهات والتوصيات القيمة تلك التي اشارت اليها الروايات التاريخية وهي تتحدث عن الامير بد الرحمن حين يختار رجال دولته من ذوي الكفاءة والخبرة والتجربة، وان اختيار رجال دولته كان يشغل حرصاً منه في اختياره في الموقع المناسب، اذ تذكر الروايات التاريخية ان رجلاً طلب منه ان يعينه في عملاً رفيعاً لايتناسب مع مستواه، مما حدا بالامير عبد الرحمن ان يوقع على طلبه من لم

(1) سورة الحجرات، الآيتان 9، 10.

(2) سورة الاعراف، الآية 155.

يصب وجه مطلبه كان الحرمان اولى به[1] وهذا يبين لنا ان سياسة الامير عبدالرحمن في اختيار رجال دولته بدقة متناهية.

كما تشير الروايات التاريخية ايضاً ان الامير عبدالرحمن الثاني كان حريصاً ايضاً في المحافظة على النظام والتصرف السليم وهو من مقومات الحكم السليم ايضاً اذ يذكر ان ابن الامير المنذر كتب لوالده يسأله الاذن في اعتلاء المنبر في البلد الذي كان يقيم على ولايته، واراد الخطابة ليوم الجمعة ليحي رسوم اجداده، واراد اتباع سيرتهم، فوقع الامير على ظهر الكتاب قالت الحكماء: لو كان الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب، واني لاشفق عليك، فكيف مما توهم عليك بعض التقصير فيه[2].

وهكذا نرى ان الامير عبدالرحمن الاوسط لم يكتف في اختيار عماله ومحافظيه فحسب، بل انه كان يعلمهم السكوت والكلام وفي ذلك توجيه وتوصيه للعمال لاظهار شخصيتهم على التمام والكمال.

وصيته وولاية العهد:

مال الامير عبد الرحمن الثاني في اواخر ايامه الى تسمية ابنه محمد ولياً للعهد، واولى اهتماماً بالغاً من جانبه لولاية العهد، حيث اوعز بذلك الى وزرائه واهل خدمته، ويقول ابن حيان بصدد ذلك: كان الامير عبد الرحمن قد كشف

---

(1) ابن عبد ربة، العقد الفريد، 4/ 493؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، 139؛ ابن سعيد المغرب، 1/ 46؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص19؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 325.

(2) ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الاندلس، 2/ 89– 90.

مذاهب ولده، ولدا ولدا، وعجم اخلاقهم اختبارا فوجد محمدا منهم راجحا لهم بجلاله، فاضلاً باعتدال احواله، فاظهر تفضيله عليهم، بعد علم منه بهم، واوعز الى وزرائه واهل خدمته انه مكان ولاية عهده المفوض اليه الامر من بعده[1].

والواقع ان الامير عبد الرحمن كان يعد ابنه محمداً لهذا الامر لكي يتولى الحكم، فقد اخذ يدربه على هذه المهمة وهذا من بعض توجياته ووصايه السياسية والعسكرية، لذا نراه يستخلفه بالقصر عندما قاد الجيش بنفسه للجهاد في سنة 226هـ/ 841م الى البه وبنبلونه، وقد انابه في الحكم وكان محمد عمره انذاك احدى وعشرين عاماً، ولما تحقق النصر للامير عبد الرحمن النصر في حملته هذه، وجه كتاب الفتح الى ابنه محمد، ثم ولاه سرقسطة، فضلاً عن تكليفه ببعض المهام العسكرية فيها، ففي سنة 228هـ/ 843م اشركه معه في حملته الثانية على بنبلونه، ولما تحقق النصر للامير اثنى على ابنه محمد في كتاب الفتح لما ابداه من تفاني ومقدرة فائقة وشجاعة، مما شاع خبره في انحاء البلاد [2].

لذلك نجد الامير عبدالرحمن يعهد الى ابنه محمد ببعض المهام الرسمية الخاصة بامور القصر، وهذا التدريب يضاف الى تدريبه في شؤون الحرب والسياسة، فقد كلف بمقابلة رسل ملك الافرنج شارلمان عند قدومهم الى قرطبة، كذلك اعطاه مهمة الاطلاع على الكتب المرفوعة الى القصر، ثم يوضع خلاصة لها[3]. ويرفعها الى الامير لينظر بها، كل هذه الامور والممارسات من جانب

---

(1) ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الاندلس، 2/ 104.

(2) المصدر نفسه، 2/ 103.

(3) المصدر نفسه، 2/ 104.

الامير عبد الرحمن تشير بشكل واضح على ترشيحه لابنه محمد لولاية العهد وتولية الامر من بعده.

يذكر ابن حيان[1] ان الامير عبد الرحمن امر رجال دولته بالركوب الى محمد وغشيان مجلسه ايام الجمع عند صدورهم عن المسجد ففعلوا ذلك، وزاد امره بياناً باحضاره اياه في عليته من قصره، وايثاره على جميع ولده، بتفرده دونهم بوصيته في ملكه، وتحليته بما يطلعوا عليه، يتقدم اليهم بامره، ويرسم لهم بما يحتاج اليه، فبدلائل ذلك تم له الملك عند مهلك والده.

ويبدو ان الامير محمداً كان قد ابتعد عن القصر في الايام الاخيرة من حياة ابيه، وذلك بسبب الدسائس التي كان يحيكها فتيان القصر وخدمه ضده، وفي مقدمتهم نصر الخصي الذي يصفه بعض المؤرخين بانه كان القائم بدولة الامير عبد الرحمن[2]، بالتحالف مع طروب زوجة الامير عبد الرحمن، والغاية من ابعاد الامير محمد عن القصر لابعاده عن ولاية العهد وجعلها لاخيه عبد الله بن طروب، وقد نجح تحالف نصر وطروب[3] في كسب اكثر الوزراء واستمالتهم،

---

(1) المصدر نفسه، 2/ 106.

(2) ابن خلدون، العبر، 4/ 130.

(3) تشير النصوص الى ان الاثنين اتفقا على تنفيذ مؤامرة ضد الامير عبدالرحمن وذلك بعد شراء ذمة طبيب الامير لقاء مبلغ ليعد له سماً قتالاً وقد اتحدت جهود نصر وطروب وطبيب القصر للقضاء على الامير عبد الرحمن لان الاخير كان لديه وعكة ولابد من تناول دواء وقد اذيب السم فيه وقد عرف الامير عبد الرحمن من الطبيب نفسه لذلك لم يتمكن من قتل مولاه فقد عز عليه ذلك ولم يتمكن في الوقت ذاته من مخالفة نصر وطروب خوفاً على حياته، لذلك امتنع الامير عبدالرحمن من شرب الدواء لحين وصول =

فضلاً عن كسب تأييد رجال الدولة لتولية عبد الله بن طروب، مما اضطر الامير عبد الرحمن الى استشارة وزراءه ورجال دولته، فيمن يرونه اجدر لولاية العهد، فجاء رد الوزراء بالاجماع الى جانب عبد الله باستثناء الحاجب عيسى بن شهيد حيث اشار الى ان محمداً هو اولى بالعهد، فاثنى الامير عبد الرحمن على الحاجب على صدق نصيحته[1]، ونتيجة هذه التحالفات والدسائس اضطر الامير محمد الابتعاد عن القصر، حتى ان الامير عبدالرحمن حين علل اخر ايامه، قد تكفل بادرة شؤون القصر وتدبير الامور خدم الامير وحشمه من الفتيان والصقالبة[2]، مما تقدم يتبين لنا مدى تأثير الصقالبة على الادارة، الى جانب ذلك بروز دور المرأة وتأثيرها على الحكم في الاندلس في تلك الحقبة.

استمر الوضع في القصر بهذا الشكل يدار من قبل الخدم والصقالبة كما بينا اعلاه في اواخر ايام الامير عبد الرحمن، حتى وفاة الامير في اليوم المصادث

= نصر اليه فسأله عن سبب عدم شربه فاجاب ان نفسه تشمئز من تناوله فاشربه انت، لذلك اصبح امام امر واقع فان رفض يكشف وان شربه مات تحت تأثيره لذلك قرر ان يشربه ويذهب الى الطبيب لكي يعطيه مضاداً ولكن الطبيب لم يسعفه فقضى نحبه ومات بالسم الذي اعده وقضى معه على امل طروب في تولية ابنها عبدالله الامارة بعد ابيه، اما طروب فلم يأمر الامير عبد الرحمن بقتلها على الرغم من علمه باشتراكها في المؤامره لانه كان لايزال متعلقاً بها. او من اجل ابنهما المشترك عبدالله

ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص96- 97؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 130- 131

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص98.

(2) ابن حيان، المقتبس من انباء اهل الاندلس 2/ 108.

الثالث من شهر ربيع الاخر من عام 238هـ/ 852م[1]، ولم يكن حاضراً ساعة وفاته أي شخص من اهله وذويه باستثناء الصقالبه الذين سيلعبون دوراً بارزاً فيما بعد بتولية الامارة لمحمد بن الامير عبد الرحمن.

كما ذكرنا ان الامير محمد كان خارج القصر بفعل الدسائس وحين مات والده لم يكن يعلم بوفاته، فالصقالبة والفتيان كتموا امر وفاته، واجتمعوا في مجلس في قصر الامارة بقرطبة ليتدارسوا الامر فيما بينهم في شؤون ولاية العهد، واستقر الامر في بادئ الامر الى اعطاء الولاية الى عبدالله بن طروب التي كانت تغدق الهبات عليهم، مما حدا بذلك الى قيام احد كبارهم وكان يعرف بابن المفرّج وصاحب فضل وكلمة مسموعة فقال لهم: على هذا اجتمعتم قالو نعم قال لهم ان رأي كرأيكم، واني اشكر السيدة لفضلها عليّ دونكم، ولكنه امران ينفذ فهو سبب لقطع آثارنا من الاندلس، وان واحداً منا لايخطر في طريق، ولا يمر بجماعة، الا قال الناس اللهم العن هذه الوجوه، فانهم ملكوا امر المسلمين، فوّلوا شر من يعرفونه، وتركوا خير من يعرفونه، وقد علمتم عبدالله وما له ومن يطوف به، والله لئن ملك شيئاً من اموركم وامور المسلمين، ليحدثن فيكم وفيهم الاحداث، فيسألك الله عنهم وعن انفسكم[2]، وقد تأثر الجميع بكلامه ووجدوا انه على حق، فسألوه عمن يرشح لمنصب الامارة، فاجابهم بانه يرشح الصالح العفيف محمد[3]، ثم قام وطلب مصحفاً واستحلفهم جميعاً على مبايعة الامير

---

(1) ابن عبد ربة، العقد الفريد، 4/ 493؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 5؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 146.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص98.

(3) المصدر نفسه، ص98.

محمد بعد وفاة والده، فاقسموا على ذلك[1].

دعي الامير محمد على ذلك ودخل القصر متخفياً، خشية من ان يكشف سره لفتيان القصر اتباع اخيه عبدالله بن طروب واحضروه لاجل ولاية الامارة عن اجماع منهم، وابلغوه بوفاة ابيه، ثم اجلسوه على سرير والده وتسلم الامارة[2].

وكان اول أوامره بعد دخوله القصر وتسلمه الاماره، ارسل بشكل عاجل في حضور اخوته واعمامه واهل بيته وسائر اهل قريش وكبار رجال الدولة، فحين تكامل حضورهم، قدم له الجميع يمين الولاء والطاعة، حينذاك استكملت له البيعة الخاصة فنهض فصلى على جنازة ابيه، ودفن بعدها في تربة الخلفاء بقصر قرطبه وادلاه في قبره اخوته اميه والمغيرة في سنة 238هـ/ 852م[3]، وعند الصباح اعقبتها البيعة العامة من سائر الناس، فبايعه الجميع، ولم يختلف عليه مختلف، واستمر بعد ذلك اخذ البيعة العامة من قبل قاضي الجماعة في المسجد الجامع بقرطبة[4]. اصبح الامير محمد بذلك الامير الشرعي للاندلس بعد وفاة ابيه عبد الرحمن بن الحكم وذلك في شهر ربيع الاخر من عام 238هـ/ 852م.

---

(1) في حين يذكر بعض المؤرخين ان حبيب الصقلبي كبير فتيان القصر هو الذي اقنع اصحابه بذلك ويبدوا ان حبيباً هذا كان على صلة طيبة مع الامير محمد، لذلك بادر باقناع اصحابه على الامير محمد. ينظر: ابن حيان، المقتبس، 2/ 108؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 50.

(2) ابن حيان، المقتبس، 2/ 120.

(3) ابن سعيد، المغرب، 1/ 50.

(4) ابن حيان، المقتبس، 2/ 108.

عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (238-273هـ)

ولد الامير محمد في ذي القعدة سنة 207هـ/ 822م[1] امه ام ولد تسمى تهتز[2] كنيته أبو المنذر وابو عبدالله[3] امتاز بصفات حميدة.[4]

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، 1/ 6؛ المراكشي، المعجب، ص49.

(2) ابن حزم، نقط العروس، 2/ 192؛ المراكشي، المعجب، ص49. يسميها تهتر، اما بدر، دراسات، ص143 يسميها بهير.

(3) عنان، دولة الإسلام، 1/ 285؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص87.

(4) امتدح صاحب كتاب أخبار مجموعة حكم الأمير محمد واعده من الحكام الحريصين على امور دولته بنفسه وقال فيه "وكان الأمير محمد بن عبدالرحمن حليماً عفيفاً كاظماً لغيظه محتملاً حسن الأدب بصيراً بالحساب، ذكر عنه انه كان يتولى محاسبة أهل خدمته ويتعقب امورهم بنفسه في الحساب وصحة قريحته وتمكنه في فنون العلم والاداب على موضع الخلل والخطاء في اعمالهم. وكان الأمير محمد مشغوفاً بالبيان مؤثراً لأهل الاداب تردّ عليه بعض مواليه يسأل استخدامه بلطائف في الرغبة وترفق في المسألة" مؤلف مجهول، ص135، 141.

تميز الأمير محمد بخصال الوقار والتأني والهدوء في اصدار الحكم كما جاء بالنص الاتي "كان من أهل الاناة وقلة العجلة والتنزه عن العقوبة مكرماً لاعلام الناس من أهل العلم والموالي والأخبار متخيراً لعماله" ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 70.

قال عنه النويري "وكان ذكياً فطناً بالأمور المشبهة محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث عارفاً حسن السيرة، وقال ابن مخلد الفقيه ما كلمت احداً من الملوك أكمل عقلاً ولا ابلغ من الأمير محمد" نهاية الارب في فنون الادب، 22/ 57.

اما ابن عذاري قال فيه: "فصيحاً، بليغاً، عظيم الاناة، متنزهاً عن القبيح، يؤثر الحق وأهله لايسمع من باغ، ولايلتفت الى قول زائغ، وكان عاقلاً على أخلاق جميلة ومكارم حميدة،
=

لقد بينا كيف استقام الامر اليه بعهد الامارة من بعد ابيه وكيف تشابكت الاحداث لكي يتنحى عن الامر رغم ان والده الامير عبدالرحمن اراده ان يكون ولي عهده، واستقر الامر النهائي وبمساعدة الفتيان والصقالبة اللذين كانا يديران القصر وصل الامير محمد الى السلطة واصبح الامير على الاندلس.

عرف الامير محمد انه كان جاداً في اموره، وحريصاً على متابعة شؤون امارته، فحين تولى الامر قصر شغله على تدبير الامور، وتسكين الاعمال وتصديق الاموال والاشراف على الدولة(1).

=

ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحدثه أن له الفضل المستبين في ادراكه، وفهمه،ودقة ذهنه، ولطيف فطنته وجزالة رأيه". ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 107.

وقال عنه الفقيه بقي بن مخلد مانصه "ماكلمت احداً من ملوك الدنيا اكمل عقلاً ولا ابلغ فصلاً من الامير محمد، دخلت عليه يوماً في مجلس خلافته، فافتتح الكلام ببسم الله والثناء عليه والصلاة على النبي (ﷺ)، ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة، فحلى كل واحد فيهم بحليته ووصفه بصفته، وذكر مآثره ومناقبه بافصح لسان وابلغ بيان حتى انتهى الى نفسه فسكت". ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 163.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 135.

ويذكر لنا الامام تاج الدين السبكي وظائف السلطان فيقول: "فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود واقامة فرض الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فان الله تعالى لم يولّه على المسلمين ليكون رئيساً اكلاً شارباً مستريحاً بل لينصر الدين ويعلي الكلمة فمن حقه الاّ يدع الكفار يكفرون نعم الله ولايؤمنون بالله ولا برسوله، ومن وظائفه ان ينظر في الاقطاعات ويضعها مواضعها ويستخدم من ينفع المسلمين ويحمي حوزة الدين ويكف ايدي المعتدين ومن وظائفه بيت مال المسلمين وجعل لكل مال اقواماً وقدراً ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات.

=

وقد سار اول امره على نفس المنهج السياسي والعسكري الذي وضعه ابوه، من تعزيز هيبة الملك، وترتيب المراتب السلطانية، فقد كان شديد الحرص على مراقبة سير اعمال رجال دولته اول باول، ووجه توجيهاً سياسياً اذ اجبر الوزراء[1] واهل الخدمة بالحضور يومياً الى قصر الامارة، وعلى كل واحد منهم تقديم مطالعة خاصة تقدم الى الامير يشرح فيها اعماله، مما عزز ذلك الدولة وقوة ادارتها، وادى الى أن ازدانت هيبة وبهاء الدولة واصبحت اكثر تنظيماً [2].

= السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، (بلا مكان، بلا. ت) ص16.

(1) ويذكر لنا ايضاً الامام تاج الدين السبكي وظائف نواب السلطان فيقول: "وعليهم مثل ماعلى السلطان ويزدادون ان من حقهم مراجعته اذا امر بما يخالف المصلحة وازديادهم من تفقد حال الرعية صغيرهم وكبيرهم، والنظر في القرى والفلات ونحو ذلك وايصال الحقوق الى مستحقيه، والنهضة والكفاية وتولية المناصب لاهليها ومن حقهم اقامة فقيه في كل قرية لافقيه فيها يعلم اهلها امر دينهم، ومن حقهم الغاء مقاليد الاحكام الى الشرع لانه لاحاكم الا الله تعالى ومن حقهم دفع اهل البدع والاهواء وكف شرهم عن المسلمين ومن مهماتهم النظر في امر المفسدين من قطاع الطريق واهل الفتن ومنها نظرهم في دواداريتهم * فاكثر ماينشأ فساد بابهم عنهم وهم غافلون".

ينظر: معيد النعم ومبيد النقم، ص 21.

* الدوادار: هي اللفظ المركب من كلمتين: عربية وهي دوا وهي الدواة بحذف التاء وفارسية وهي دار ومعناه ممسك او صاحب او حافظ فمعنى دوادار ممسك الدواة او صاحبها، ووظيفته تبليغ الرسائل من السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص والعرائض اليه والمشاورة على من يحضر الى الباب الشريف واخذ خط السلطان على عامة المناشير والتوقيعات. انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4/ 19.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، 2/ 129.

وقد عرف عنه ايضاً انه كان يتشاور مع رجال دولته في امورها اذ لم يتخذ قراراً دون دراية ودراسة، اذ كان يحترم كل الاراء التي تقدم اليه ومن ثم يأخذ بالرأي الصحيح والصائب وبما يخدم مصلحة الدولة، يذكر لنا ابن عذاري ان وزيره هشاماً بن عبد العزيز قال عنه كان الامير محمد.. اصح الناس عقلاً، واحسنهم تمييزاً، وابصرهم بوجه الرأي، وكان يستشيرنا فنجتهد ونقول ونحصل، فان اصبنا امضى ذلك، وان كان في الرأي خلل قام فيه بالحجة وابانة بما تعجز الاوهام عنه تنقيحاً وتهذيباً[1]، وهذا ما ذهبنا اليه فيما يخص مسألة الاستشارة في امور الدولة فيؤكد النص الذي ذكرناه ان من ابرز تقاليد نظام الحكم في عهده الشورى في الحكم والابتعاد عن الاستبداد بالرأي لكي تخرج الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية صائبة، وهذا دليل على اصالة نظام الحكم العربي الاسلامي في الاندلس.

لقد امتاز حكمه السياسي باللين وكثير ما كان يتأنى ويتجنب العقوبة يذكر ابن القوطية[2]: كان من اهل الاناة وقلة العجلة والتنزه عن العقوبة، لكن كان مع هذا شديد العقاب مع من يعبث بالامن والنظام، اذ يذكر لنا ابن حيان[3] انه كان يتولى له تعذيب من يسخط عليه وكان شديد القساوة. وهي من مقومات الحاكم الناجح في ادارة دفة الدولة وبالتالي فان كل مايخرج من توصيات وتوجيهات كانت لها واقعها واثرها على العمال والرعية.

---

(1) البيان المغرب، 2/ 160.

(2) تاريخ افتتاح، ص 92.

(3) يضيف ابن حيان انه كان هنالك رجل اسمه عمير يتولى منصب الضاغط: يعني الشخص الذي يتولى مهمة التعذيب، لذلك كان يأخذ مهمته الامير محمد في حالة تعذيب من يسخط عليه. ينظر: المقتبس، 2/ 548.

ولعل من التوجيهات السياسية الصائبة تلك التي تتمثل من جعل الامير محمد ان يكون امر بيت المال بيده، ولايسمح للصقالبة والفتيان والجواري من التدخل في شؤون الدولة، اذ كان سائداً في عهد ابيه ان لهم دوراً بارزاً في هذا المجال، وان اشرافه الدقيق والمستمر لرجال دولته جعل كل الامور بيده وهذا التوجيه السياسي والاداري كان صائباً وسليماً[1].

وهذا من شأنه توجه صائب من الامير من ان تؤخذ اموال المسلمين بغير حق، وعدم المحاباة معهم اذ قد يبتلى الناس من هؤلاء فلابد من ايقافهم كون ولي الامر يستخرج من العمال بعض الاعمال التي تؤثر على الناس ولاينبغي اعانة واحد منهم اذ لايحل لمرء ان يكون عوناً على ظلم.

لكن رغم هذا فقد بين لنا ابن القوطية ان الوزير هاشماً بن عبدالعزيز ترك طريقة اختيار العمال من الكهول والشيوخ، ومال الى الاحداث وشاطرهم ارباحهم، فكان العمال يسمون بالمناصفين ففسد بذلك الامر[2] وهذا يدل على ان بعض الفلتات قد حدثت وان البعض من الشخصيات السياسية كانت تتصرف وذات تأثير مباشر في شؤون الدولة فقد تقرب الوزير المذكور الى الامير محمد[3]، وترك اثاراً سيئة على الدولة.

ومن الظواهر التي كان سائدة في كل حقب الامارة الاندلسية ان هنالك

---

(1) عنان، دولة الاسلام، 1/ 312؛ الصوفي، خالد، تاريخ العرب في اسبانيا، تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الاموية في الاندلس، منشورات مكتبة دار الشرق، (حلب، 1963)، ص39.

(2) تاريخ افتتاح، ص93.

(3) عنان، دولة الاسلام، 1/ 312.

فتن واضطرابات كثيرة من قبل المتمردين والخارجين عن النظام، لكن تذكر المصادر ان الامير محمداً كان في كفاح مستمر لتحمل المسؤولية، وكانت توجيهاته وارشاداته ونصائحة لحمد تلك الفتن واضحة وجلية، رغم انه كان يظهر على مسرح الاحداث بنفسه(1).

اما في مسألة اختيار عماله يحدثنا ابن حيان ان الوليد بن عبدالرحمن بن غانم طلب من الامير محمد بن عبد الرحمن ان يقلده منصباً عالياً في دولته اذ قال: 'عظمت نعمة الخليفة سيدي ايده الله عن الشكر، وجلت اياديه عن النشر، فمتى رمت ذكر ادنى شكره، وحمد ايسر ما اشتمل علي من فضله، اعجزني الحمد، ولكني غير مؤتل في ذلك عن الاستفراغ في القول، والاجتهاد في العمل، اذ لم اراهما يدوران الا على نعمة سلفت، ويقتصران الا عن زيادة انتظرت، وانا بينهما مخيم وعليهما معول. والله الناقل لعباده بطاعتهم له، وشكرهم اياه، من دار الشقاء الى دار السعادة، ومن نصب العاجل الى راحة الآجل. والسلام' فاجابه الامير محمد: 'ان الله شاكر يحب الشاكرين، ولايضيع اجر المحسنين، وقد ناديت فاسمعت، ولكل اجل كتاب والسلام' مما حدا به الى ان استوزره(2).

يبدو من ان الامير محمد قد استعمله على عمل من اعمال المسلمين لانه يصلح لذلك العمل، وهنا يستوزره وليس الامر لكونه طلب الولاية اذ تشير المصادر عن النبي ﷺ: 'ان قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية، فقال: لانولي امرنا هذا

(1) للتفاصيل ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص109 ومابعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب 2/ 158 ومابعدها؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 134-135.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، 389- 392.

من طلبه[1] وهنا الغاية من اشارتنا لهذه الحادثة انه قد خالف امر الولاية، مع هذا فربما كان يراه اصلح من الاخرين فاستعمله.

ويحدثنا صاحب اخبار مجموعة[2] ان احد الفتيان طلب من الامير ان يرفع مكانته ويستعمله في عدة رسائل بليغة فاجابه الامير لم يتقدم لك عندنا خبرة نقدمك بها، غير مارأينا من حسن مخاطبتك فيما يرد علينا من كتبك، فان كنت كاتبها فقد احسنت، وان كنت اخترت بفضل همتك وجودة اختيارك من يحسن ذلك عنك فقد ابلغت في العناية، وفضلت في الهمة، وانت بكلتا الحالتين عندنا متقدم، وقد رجونا بنفاذك في تهذيب كتبك، تهذيبك لخدمتك، فولبناك على الرجاء فيك، فصدق الظن بك، وحافظ على ادنى حظ تنل اقصاه، فقلما احسن امرؤ في بدء امره، الا حسنت عاقبته، وحمدت مغبته. لكنه لم يستعمله. فنراه في الاولى استعمل رجاءه وفي الثانية لم يستخدمه، فهذا ان دل فانما يدل على انه كان يختار رجال دولته بدقة عالية وفحص عميق عن احوالهم وتصرفاتهم لان هذا الرجل لابد ان يكون تقياً مؤمناً ساهراً ليله وقاضياً نهاره في خدمة الامة ورعاية الخلق حارساً اميناً للاسلام يغضب اذا انتهكت حرمات الاسلام ويحزن اذا عطلت شعائر الله يسره اقامة العدل ويسوؤه وقوع الظلم ولو على فرد واحد من رعيته لانه مسؤول عنهم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع

---

(1) الخزرجي، صفي الدين احمد بن عبد الله الانصاري (ت 923هـ)، خلاصة تهذيب الكمال (حلب، 1979)، ص97.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص145- 146.

وهو مسوؤل عن رعيته[1] فكبير المسلم بجعله اباً واوسطهم اخاً واصغرهم ابناً وبهذا يحصل الصلاح والاصلاح.

وصيته وولاية العهد:

لم يترك لنا وصية اوعهد لابنائه. لكن الامير محمد كان اكثر ميولاً الى ابنه المنذر من بين بقية اخوته، اذ ظهر ذلك جلياً من خلال تكليفه بالعديد من المهام الحربية[2]. وكان اخرها حركة المتمرد عمر بن حفصون[3]، اذ تذكر المصادر انه

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، 2/ 848؛ مسلم، صحيح مسلم، 3/ 1459 بلفظ متقارب.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 153ـ156؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 131-132.

(3) المتمرد المولدي ابن حفصون هو عمر بن حفص بن جعفر الاسلامي ارتد عن اسلامه وسمى نفسه صموئيل، وشارك بتمرده ابنائه: ايوب، جعفر، عبد الرحمن، حفص، وابنته. رفع المتمرد السيف على السلطة الاندلسية في عهد الامارة متحصنا في حصن ببشتر من كورة رية.

قال عنه ابن حيان بنصه: "فاولهم امامهم وقدوتهم عمر بن حفصون اعلاهم ذكرا في الباطل واضخمهم بصيرة في الخلاف واشدهم سلطانا واعظمهم كيدا وابعدهم مدة واخباره لا تحصى كثرة قد مضى منها عند ذكر نجومه في ايام الامير محمد صدر فيه كفاية" ينظر، المقتبس، تحقيق ملشور انطوانيا، باريس 1937، ص9. كذلك عرف بالمصطلحات التالية: اللعين (ص94، 106، 108، ص140، 144، المارق، ص3، 109، 143، عميد المخالفين، ص10، عميد الشقاق، ص126، الخبيث، ص3، 5، 89، 93، 99، 104، 105، 127، 139، 141، 146، الفاسق، 199، 100، 121، 120، 129، الفاجر، ص103، امام المجرمين، ص127، زعيم الفاسق، ص127، عدو الله، 128، عميد الفسقة، ص145، جرثومة الضلال، ص147.

=

بينما كان يقاتل هذا المتمرد، وصله نبأ وفاة ابيه الامير محمد فاقفل عائداً الى قرطبة.

ويذكر ابن الابار[1] ان الامير محمد قد اوصى لولده المنذر بالبيعة، اذ يشير ان المنذر حين وصل القصر نزل في السطح، وجلس لاخذ البيعة، وهو لايزال

= تحدث عنه ابن الخطيب الغرناطي ووصفه بقوله "وكان عمر كبير الثوار بالاندلس وغصص الخلفاء بها، وهو عمر بن حفص بن جعفر الاسلامي، ظهر بنفسه ونجدته وحدث ان تلقاه في امر، وتحصن بمدينة بربشتر من كورة رية واطاعه اكثر بلاد الموسطة بين رية والخضراء والبيرة واحواز قرطبة" ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص31.

ذكر ابن القوطية القرطبي ان تمرد ابن حفصون كان بدافع الانتقام والثار بقوله: "وثار عمر بن حفصون ببشتر من كورة رية وكان ابوه من مسالمة اهل الذمة وكان سبب ثورته انه ظفر به احد من بني خلدا المعروف (بدونكير) وكان عامل رية في فساد اخذه فيه فضربه بالسياط في اوز البحر في تيهرت..." ينظر: افتتاح، ص90-91؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص51.

نقل لنا ابن عذاري صورة تاريخية رائعة عن دوافع تمرد ابن حفصون بقوله: "...واتفق له زمان هرج وقلوب قاسية فاسدة ونفوس خبيثة متطلعة الى الشر، مشرئبة الى الفتنة، فلما ثار، وجد من الناس انقيادا وقبولا للمشاكلة والموافقة، فتالبت له الدنيا، ودخل الى الناس من جهة الالفة وقال: "طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع اموالكم وحملكم فوق طاقتكم، واذلتكم الغرب، واستبعدتكم! وانما اريد ان اقوم بثاركم، واخرجكم من عبوديتكم! ينظر: ابن عذاري، البيان، ج2، ص114، 117" واستمر اللعين ابن حفصون على ضلالته وغيه، ولم يثن عناناً عن عاديته وبغيه، ..."ص123 "وقيل ان ابن حفصون الب اهل حصون الاندلس كلها، واقبل اليه في ثلاثين الفاً" وعسكر الامير عبدالله في 18الف فارس.

(1) الحلة السيراء، 1/ 138.

بثياب سفره، فلما توافدت الناس عليه، قام الوزير هاشم بن عبد العزيـز وبيـده كتاب البيعة واخذ بقراءته عليهم، وتولى المنذر الامـارة في عـام 173هــ/ 886م، وقد ادرك جنازة والده فصلى عليها[1]. وبهذا انتهى حكـم الامـير محمـد بوفاتـه والذي دام حوالي خمسة وثلاثين سنة[2].

عهد الامير منذر بن محمد 273- 275هـ

ولد الامير المنذر في قرطبة سنة 299هـ/ 844م[3] يكنى ابو الحكـم[4] وامـه ام ولد تدعى اثل[5]. وقد امتاز بعدة صـفات حسـنة ذكرهـا المؤرخـون في ثنايـا كتبهم[6].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 159.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء، 1/ 6؛ ابـن الابـار، الحلـة السـيراء، 1/ 119؛ النـويري، 22/ 56؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص23؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 329.

(3) ابن حزم، نقط العروس، 2/ 193؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 11.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 170.

(5) المراكشي، المعجب، ص52؛ ابن حزم، نقط العروس، 2/ 193 يسميها ثمل.

(6) وامتاز بصفات وسيرة حسنة وكان عزيز النفس وشهماً حاداً مرهوبـاً، ويعـد مـن أقـوى الأمراء شكيمة وأمضاهم عزيمة مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 150- 151.

وصف ابن القوطية الأمير المنذر وامتدحه وأعجب بسيرته وقال فيـه "كـان مـن أهـل العقـل، والسخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح والاصطناع لكل من أخذ بحظ مـن علـم وأدب وكان من الصلاح والفضل بمكان كبير". تاريخ افتتاح الأندلس، ص101.

أعجب المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي وامتدح حكم الأمير المنذر وأشـار الى إدارتـه وسياسـته بقوله "ولم يكن أحد من الخلفاء قبله في شجاعته وصرامته وحزمه وعزمه، ولقد بلـغ ذلـك =

بينا كيف ان الامير منذر تسلم مهام الامارة حال وصوله الى قرطبة اذ تمت له البيعة في نفس اليوم ففرق العطاء في الجند وتحبب الى اهل قرطبة والرعية بصورة عامة بان اسقط عنهم العشور في ذلك العام، ونظر فيما يتفق مع مصلحتهم، فكانت تلك بداية سليمة لحكمه[1].

سار الامير المنذر بادارة دولته بأن ابقى من كان في حكم ابيه من اهل الخدمة في دولته، الا انه فيما بعد اصدر امراً بعزل هاشم بن عبدالعزيز خشية من نفوذه[2].

لم تتح للامير المنذر الفرصة الى تدبير شؤون دولته بالشكل الطبيعي، اذ ان المشاكل والاضطرابات التي حدثت اثناء حكمه قد جعلته ان يكرس جهوده للقضاء على تلك التمردات وكان من وراء ذلك انه كان يحاول استعادة الاستقرار والامن الى البلاد[3].

اذ لم تشر النصوص على انه كانت لديه توجيهات او ارشادات ونصائح

=

في سنة مالم يبلغه غيره في الدهر. ولقد كان ابطال الرجال وانجادهم من أهل الفتنة يذعنون اليه دون محنة، ويرسلون اليه بالطاعة قبل ان يطلبها، وان الخبر المستفيض عن الشيوخ الذين ادركوا ذلك الزمان، وعن أهل التمييز بالحروب، أنه لو عاش المنذر عاماً واحداً زائداً، لم يبق بين يديه منافق. اعمال الاعلام، ص24. كذلك ورد النص نفسه عند ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 120.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 171؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص24.

(2) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، 149؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 139- 140.

(3) ابن سعيد، المغرب، 1/ 53.

لدعم دولته فكثرة الاضطرابات كما ذكرنا حالت دون ذلك، اذ كانت مدينة طليطلة في اغلب الاحيان وبالذات في عصر الامارة تشق عصا الطاعة، وكان تمردها في عهده ادت الى حصاد رؤوس الالف من المتمردين[1].

والملاحظ في عهده انه قد كرس كل امكانيات الدولة لاخطر المتمردين المارق ابن حفصون، فقاد الامير الجيش بنفسه، وقد اذعن ابن حفصون لامره لكنه نكث فيما بعد[2]. ولكن مرضه المفاجيء حال دون تحقيق طموحه وما عزم عليه من دحر المتمرد ابن حفصون، مما قرر ان يستدعي اخاه الامير عبدالله من قرطبة، وكلفه الاشراف على حصار ابن حفصون، ووافاه الاجل في سنة 275هـ/ 888م عند اسوار قلعة ببشتر معقل المتمرد ابن حفصون[3]، فبموته قويت شوكة ابن حفصون، ووجد من الناس اقبالاً، وكان يخاطب الناس بقوله: "طال ماعنف عليكم السلطان، وانتزع اموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، واذلتكم العرب واستعبدتكم، وانما اريد ان اقوم بثأركم، واخرجكم من عبوديتكم"[4].

وصيته وولاية العهد:

لم تسنح الظروف للامير المنذر من تسمية ولي العهد من بعده او اعطاء وصية بخصوص ذلك، لكن بعض الروايات تشير الى ان الامير المنذر توفي

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 175.

(2) ابن عبد ربة، العقد، 4/ 496؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 132.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 172/ ابن سعيد، المغرب، 1/ 53-54.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 114.

مسموماً بتدبير من اخيه عبدالله رغبة منه باستلام السلطة، اذ ذكر ابن سعيد[1] ان عبدالله حرض طبيب الامير المنذر بان يدس السم له لقاء مبلغ من المال فتوفى المنذر على اثرها. بينما تذكر روايات اخرى انه توفى بالسم دون ان تلمح الى ان اخاه عبد الله له يدّ بذلك او وراء ذلك، فابن القوطية[2] يذكر: "ثم شمر الى ابن حفصون، واخذه بالعزم وكان قد اوفى به لولا ان المنية فاجأته وهو محاصره، وكان اخوه عبدالله بن محمد الوالي بعده معه في الجيش فاجمع من حضر الغزاة من الخدمة الموالي والاجناد فبويع". ويتابع ابن القوطية[3] بعدها "يقال ان ميسوراً فتاه سم له القطن المعجول في جرح العضد، اذ كان قد تهدده لشيء استقصره فيه، انه يوقع به عند انصرافه الى قرطبة"، والملاحظ من الروايتين ان الاولى تظهر انه مات موتةً طبيعية، وفي الثانية توفي بالسم، ولم يرجح ابن القوطية أي الروايتين لكننا نلاحظ انه قدم الاولى على الثانية بدليل ان الثانية حددها بكلمة يقال وكما هو معروف ان القول الضعيف غالباً يعبر عنه بقيل او يقال والتي تسمى صيغة التمريض.

اما صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس[4] فانه تطرق الى هذا الموضوع بقوله "قيل ان منصور الطبيب سم له المبزغ فمات بينما اخوه عبدالله في قبته اذ دخل عليه الفتيان فقالوا اجب الامير فاتى فدخل السرداق على اخيه المنذر فالفاه ميتاً فترحم عليه وجلس مكانه".

---

(1) ابن سعيد، المغرب، 1/ 54.

(2) تاريخ افتتاح، ص120.

(3) المصدر نفسه، ص120.

(4) مؤلف مجهول، 1/ 151-152.

ونحن نرى ان الامير المنذر مات بشكل طبيعي، لانها الاكثر توافقاً مع الاحداث، اذ ان الامير عبد الله اكبر من ان يفعلها لدماثة اخلاقه حسبما ذكرها المؤرخون. ولان القتل من ابشع الجرائم وقد اتفقت جميع الملل والنحل منذ بدء الخليقة على ان قتل النفس عمداً بغير حق يبرره جريمة منكرة لايقرها شرع ولايتقبلها وضع ولايستسيغها اجتماع وقد عنيت الشريعة الاسلامية بهذه الجريمة ايما عناية واولتها كثيراً من الاهتمام وشددت التنفير منها والنكير عليها وبينت بوجه خاص حكمها الاخروي وافاضت فيه وحكمها الدنيوي وجعلت لها بعد عقوبتها الاصلية وهي القصاص عقوبة اخرى وهي: حرمان القاتل من ميراث المقتول اذا كان بينهما سبب من اسباب الميراث، ذلك انها سلب لحياة المجنى عليه وتيتيم لاطفاله وترميل لنسائه وحرمان منه لاهله وذويه وهي بعد ذلك تحدٍّ لشعور الجماعة الانسانية الذي فطرت عليه في اعتقاد ان الحياة حق لكل حي يتمتع به حسب ماقدر له ولايجوز لاحد غير خالقه الذي قدر له ذلك الحق ومنحه اياه ان ينتزعه منه وهي فوق ذلك زعزعة لما ترجو هذه الجماعة من هدوء الحياة واستقرارها والانتفاع بجميع عناصرها وابنائها، هي هدم لعمارة شادها الله تتكون منها ومن امثالها العمارة الكبرى لهذه الحياة [(1)].

اما موقف القرآن من مثل تلك الجريمة فكان انكاره لها اشد مايكون فارجي واقوى ما جاء فيها قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[(2)].

---

(1) العفيفي، من وصايا الرسول، ج1/ 44.

(2) سورة النساء الاية93.

اما واجبات الطبيب بذل النصح والرفق بالمريض وله النظر الى العورة عند الحاجة بقصد الحاجة وعليه ان يعتقد ان طبه لايرد قضاء ولاقدراً وانه انما يفعل امتثالاً لامر الشرع وان الله انزل الداء والدواء[1].

عهد الامير عبدالله بن محمد (275هـ- 300هـ)

ولد في قرطبه سنة 230هـ/ 845م[2] امه ام ولد تدعى بها وقيل عشار[3] كنيته ابو محمد[4]، وقد امتاز بعدة خصال نقلها لنا المؤرخون[5].

---

(1) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص133

(2) ابن حزم، نقط العروس، 2/ 193؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص12؛ الضبي، بغية الملتمس، 11؛ المراكشي، المعجب، ص53.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 182؛ المراكشي، المعجب، ص53.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ص12؛ الضبي، بغية الملتمس، ص16.

(5) لقد كان الامير عبد الله "حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له، وكانت له صدقات كثيرة ونوافل جزيلة، وكان متقدماً في ورعه وفضله، محباً للخير واهله، كثير الصلاة، دائم الخشوع والذكر لله "وانه" لم يزل يرفع منار الدين ويسلك سبيل المهتدين، لم تمنعه الفتن من النظر لنفسه والعمل ليوم فاقته وحلول رمسه، وكانوا يعدونه من اصلح خلفاء بني امية بالاندلس وامثلهم طريقة واتمهم معرفة وامتنهم ديانة" ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 228.

امتاز الأمير بسيرة حميدة عادلة، أوردها النص الآتي "كان متقدماً في ورعه وفضله محباً زاهداً كثير التواضع شديد الوطأة على الظالم والجائر متفنناً في جميع العلوم النافعة للدين والدنيا تالياً لكتاب الله تعالى" مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 153.

حرص الأمير عبدالله على تنفيذ الوصايا في حكمه وحث موظفيه على التقيد بها ومتابعة =

=

شؤون الأندلس، ويشير صاحب كتاب أخبار مجموعة (5) ان الأمير "التزم التقوى وإظهار النسك وتوفير مافي يده من أموال المسلمين حياطة عليها ونظر لهم فيها وهلك الجبايات باشتداد شوكة الثوار عليه بكل ناحية فوقر أعطيات الأجناد وضيق على من بقى معه منهم". أخبار مجموعة، ص150.

جاهد الأمير عبدالله من أجل محاربة الظلم والجهل والفقر "فناضل الأمير بجهده، وحمى بجده، وجاهد عدو الله وعدوه، وانقطع الجهاد الى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخوف، فكان قتال المنافقين وأشباههم أوكد بالسنة، وألزم بالضرورة" (5). ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 121.

لكن مع ان المؤرخين قد امتدحوا الامير عبدالله لم يمنعهم في الوقت ذاته من ذكر مساوئه فذكر عنه البعض انه كان بخيلاً، بينما سمي البعض الاخر ذلك اقتصاداً فقالوا عنه انه كان مقتصداً في اموره من مطعم وملبس، منكراً للاسراف. ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 121؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، 26.

وبالفعل فان ابن خلدون يبرهن لنا ذلك بقوله "لما كثر الثوار قل الخراج لامتناع اهل النواحي عن الاداء، وكان خراج الاندلس قبله ثلاثمائة الف دينار، مائة الف منها للجيوش ومائة الف للنفقة في النوائب ومايعرض ومائة الف ذخيرة ووفر، فانفقوا في تلك السنين وقل الخراج". العبر، 4/ 132-133.

وهناك سيئة اخرى ذكرها المؤرخون من الامير عبدالله كان قتالاً تهون عليه الدماء، وانه قد اساء الى تدينه لما كان من هوان الدماء عليه وذكروا في هذا المجال لقتل اخيه المنذر ثم قتله ولديه معاً بالسيف واحداً بعد الاخر واقدامه بعد ذلك على قتل اخويه هشام والقاسم. ينظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص26، ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 233. في حين عارض هذا الرأي النويري في ذكره ان ولده مطرف قتل اخاه محمد مما قام به الامير عبدالله من قتله فيما بعد مما جعل المؤرخون يصفونه بتلك الكلمات. ينظر: نهاية الارب، 22/ 60.

=

بعد وفاة الامير المنذر تقلد منصب حكم الامارة اخوه الامير عبدالله وبويع بها عند اسوار قلعة ببشتر في صفر سنة 275هـ/ 888م، وعاد الى قرطبة، ومعه جنازة اخيه الامير المنذر فدفنه في مقبرة القصر المعروفة بالروضة، ثم دعا الناس لاستكمال البيعة، فبادروا بذلك مسرعين، وارسل كتاباً الى المدن الاندلسية وكورها، والتي لاتزال تحت قبضة الامارة ليرسلوا مبايعتهم له وليستقر الامر بعد اخيه[1].

لم يختلف الواقع على عهد الامير عبدالله اذ بقيت البلاد تحت وطأة الاضطرابات، كما ان حقبة حكمه اتسمت بالضعف، اذ يذكر الحميدي[2] انه في ايامه امتلأت الاندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب فلم يزل كذلك طول

=

اما في الادب فكان للامير عبدالله باع طويل، وله توقيعات بليغة واشعار بديعة في الغزل والزهد. فيذكر انه اعتذر اليه بعض مواليه يوماً فوقع على عذره: "وان مخايل الامور لتدل على خلاف قولك، وتنبيء عن باطل تنصلك، ولو بؤت بذنبك واستغفرت لجرمك، لكان احجى لك واسدل لستر العفو عنك. فكتب اليه: انما انا بشر، وما يقوم لي عذر. فقال: مهلاً عليك رويداً بك، تقدمت لك خدمة وتأخرت لك توبة، وما للذنب مجال بينهما وقد وسعك الغفران" ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 230؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص26.

فهو لايختلف عن امراء بني امية من اهتمام في النواحي الادبية والعلمية، لذلك كان يجالس في معظم ايامه وزراءه ووجوه رجاله فاذا انتهو من التحدث في شؤون الحكم والادارة، خاض معهم في الاخبار والعلوم.

(1) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، نشر منشورات، م. انطونية، (باريس، 1937)، 3/ 2-3؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 178.

(2) جذوة المقتبس، ص12.

ولايته الى ان مات. اذ استمر خطر المتمرد ابن حفصون الذي اصبحت تحت نفوذه معظم الانحاء الجنوبية الغربية فيما بين البحر ووادي شنيل[1].

اذ لم تكن سياسة الامير عبدالله وحكمه وحدها هي السبب في ضياع الامور وتردي الاوضاع، فلقد ورث تركة ثقيلة من الاضطرابات والفتن والمتاعب اذ لم يعد تحت سلطته سوى قرطبة وماجاورها[2].

وجدير بالذكر ان منهجه السياسي المتبع مع رجال دولته انه كان شديد المراقبة لهم وساروا مع مايتوافق في طريق رغباته من خلال مايصدر عنه من توصيات وتوجيهات سياسية وعسكرية[3] لكن هذا لايعني انه كان مستبداً بل كان يستشير اعلام الناس من الفقهاء والعلماء، فكثيراً ما كان يستمع لنصيحة الفقيه بقي بن مخلد ويأخذ بموعظته[4]. اما سياسته تجاه اهل بيته فكان شديد

---

(1) عنان، دولة الاسلام، 1/ 323.

(2) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، 3/ 9 ومابعدها؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص27؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 154-155؛ سالم، تاريخ المسلمين واثارهم، ص253 ومابعدها.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 229.

(4) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، 3/ 30.

يحرص العلماء الصالحون دائماً على ابداء النصيحة والموعظة الحسنة للحكام حرصاً جعلهم يتحملون كل مشقة واذى في هذا السبيل ويبذلون كل جههم لتحقيق هذا المطلب الشرعي الكريم لان الدين النصيحة كما يقول النبي الاكرم ﷺ ’الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم‘ رواه مسلم، صحيح مسلم، ج1/ 74.

ولان الله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ =

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: الاية104. وهل الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الا نصيحة وموعظة حسنة وكانت النصيحة للحكام في مقدمة المتصحين لان نصيحتهم وانتصاحهم فيه الخير كل الخير لهم ولمن يتولون امرهم لذلك رأى جلة علماء السلف الصالح ان ابداء النصيحة للحكام اجدى من الثورة عليهم والخروج على سلطانهم حين لم يروا كفراً بواحاً او الحاداً في آيات الله تعالى او تغير احكام الشرع يقول الامام الحسن البصري رحمه الله تعالى: "هم يلون من امورنا الجمعة والفيء والثغور والحدود والله لايستقيم الدين الا بهم وان جاروا وان ظلموا والله لما يصلح الله بهم اكثر مما يفسدون". وتشير النصوص التاريخية الى ان الامام مالك بن انس كتب رسالته الشهيرة الى هارون الرشيد يعظه فيها وينصح وقد جاء في مقدمتها: "اما بعد: فاني كتبت اليك بكتاب لم آلك فيها رشداً ولم ادخر فيه نصحاً تحميد الله وادباً مع رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك وردد فيه بصرك وارعه سمعك ثم اعقله بقلبك واحضر فهمك ولاتغيبن عنه ذهنك فان فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الاخرة اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه ماهو نازل بك منه وما انت موقوف عليه بعد الموت من عرض الله سبحانه ثم الحساب ثم الخلود بعد الحساب واعد لله عز وجل مايسهل عليك اهوالتلك المشاهد وكربها فانك لو رأيت سخط الله تعالى وماصار اليه الناس من الوان العذاب وشدة نقمته عليهم وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم مع كلوح وجوههم وطول غمهم وتقلبهم في دركاتها على وجوهم ولايسمعون ولايبصرون ويدعون بالويل والثبور واعظم من حسرة اعراض الله عنهم وانقطاع رجائهم واجابته اياهم بعد طول الغم بقوله: "اخسئوا فيها ولاتكملون" ثم قال له: لاتأمن على شيء من امرك من لايخاف الله فانه بلغني عن عمر بن الخطاب ﷺ انه قال: شاور في امرك الذين يخافون الله. احذر بطانة السوء واهل الردى على نفسك فانه وبطانة لاتألوه خبالاً"

الى اخر تلك الرسالة العظيمة الجريئة التي احتوت على كل معاني الايمان والدعوة الى التمسك باحكام الاسلام وحدوده وآدابه وهي موعظة حقاً تجل منها القلوب ونصيحة صادقة تذرف عليها العيون وتقرب المسلم من ربه لتنال رضاه ان انتصح بها واستمع

المحاسبة في الامور التي تتعلق بمصلحة الدولة[1]، وهذه السياسة من خلالها حافظ على حاضرة الدولة وظل ممسكاً بها حتى حافظ على سلامة الدولة العربية في الاندلس من مهاوي السقوط النهائي الى ان سلم الامانة الى حفيده عبدالرحمن الناصر الذي سنرى كيف كان تصرفه مع الخارجين فقد اعاد مجد قرطبة الى سابق عهدها.

أهتم الأمير عبدالله بمحاسبة وتوجيه الاوامر التي تسعى الى الحفاظ على كيان الدولة والمحافظة على الثغور الى عماله، فيذكر ان الأمير كتب الى احمد بن محمد القائد في يوم عيد. اما بعد فالتزم التوكل على الله تبارك وتعالى والثقة به في جميع امورك وما انت بسبيله من ثغرك فانهما حرز من كل ضُرْ يتقى وبلاغ لكل خير مرتجى وكن في التحفظ في أيام عيدك على أحسن الذي يجب عليك الأخذ به والتحفظ فيه فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين[2].

ففي كتابه هذا توجيه منه الى عامله بان يتوكل فان التوكل على الله يحبب العبد وان التفويض الى الله يهديه ويهدى الله يوافق العبد رضوان وبموافقته رضوان الله يستوجب العبد كرامة الله ومن يتوكل على الله ويسلم لقضائه ويفوض الامر اليه ويرضى بقدره فقد اقام الدين واحسن الايمان واليقين وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير واقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد امره ومن

=

اليها وجعلها موضع التطبيق والتنفيذ وقد تقبلها الرشيد بقبول حسن وشكر الامام مالكاً عليها وتلك من صفات الحاكم المسلم.

البدري، الاسلام بين العلماء والحكام، ص104- 107.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص28.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص152.

طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن احب اهل التوكل فقد احب الله تعالى. قال اله عز وجل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة آل عمران: الاية 159.

بعث الأمير عبدالله بتوصياته إلى عماله وحثه على المتابعة وتذكرهم بتوجيهاته ووصاياه وتحذيراته نذكر منها اما بعد فلو كان نظرك فيما عصيناه بك واهتبالك على حسب مواثرتك بكتبك واشتغالك بذلك على فهم امرك لكنت من أحسن رجالنا غناءً وأبلغهم نظراً وأفضلهم حزماً فاقلل من الكتاب فيما لاوجه له ولانفع منه واصرف همتك وفكرتك وعنايتك الى مايبدو له اكتفاؤك ويظهر فيه عناؤك إن شاء الله والسلام[1].

فهو توجيه بأسلوب التوبيخ ولعله يؤثر اكثر من أي اسلوب اخر ونلتمس اسلوب التوجيه التوبيخي في ذلك الكتاب، والخلاصة ان في هذه الوصية والتوجيه حث للعمال الى صرف الهمة والفكر والعناية في الواقع الذي يعيشونه فاذا ماقوا بذلك كانوا احد رجاله وعماله، واذا ما اشتغلوا بالكتب والاهتمام بها لاريب في ان العدو الذي كان يحيط بدولتهم او المتمردين او الخارجين عن سلطته ان ينقضوا عليهم فهو يريد حصر النظر بالانتباه الى الاعداء فحسب والاهتمام بشوؤن الرعية والجند على حد سواء.

وصيته وولاية العهد:

كان الامير عبدالله يفضل ابنه محمد لولاية العهد، فاقدم ترشيحه للامارة،

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص152؛ عنان، دولة الإسلام، ج1، ص342.

لكن عظم الامر على اخيه من ابيه المطرف، فبدأ النفور في نهاية الامر بين الاخوين، مما ادى الى قيام المطرف على قتل اخيه محمد طمعاً في نيل السلطة بعد وفاة ابيه[1].

لكن الامير عبدالله لم يغفر فعلته هذه فقتله على اثرها بعد مدة من ارتكابه هذه الجريمة بحق اخيه[2]، مما جعل الامير محمد ان يهتم بابن ابنه عبدالرحمن بن محمد، فآثره على نفسه من بين بنيه، واخذ يرشحه لولاية العهد بعده ويدربه لهذه المهمة، ويذكر ابن الخطيب الغرناطي انه بُريء اليه بخاتمه امارة على استخلافه[3]، وهذا النص يؤكد لنا ان الامير محمد قد اوصى الى عبدالرحمن بن محمد بولاية العهد من بعده.

توفي الامير عبدالله في مستهل شهر ربيع الاول من سنة 300هـ/ 912م، بعد ان حكم مدة خمسة وعشرين سنه ونصف الشهر، ودفن في قصر قرطبة في مقبرة الامارة الخاصة بامراء بني امية، فتولى حفيده عبد الرحمن من بعده مهام الدولة[4].

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، 2/ 367؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 224-226.

(2) ابن سعيد، المغرب، 1/ 177. لكن ابن حزم يحمل عليه ويتهمه بقتل ابنيه محمد والمطرف واخويه هاشم والقاسم. ينظر ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، 3/ 41؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص26.

(3) اعمال الاعلام، ص29.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ص12؛ الضبي، بغية الملتمس، ص16؛ المراكشي، المعجب، ص53؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 120؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، 1/ 6؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص28.

الفصل الثالث

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلفاء في الاندلس

الفصل الثالث

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلفاء في الاندلس

عهد عبد الرحمن الناصر 300- 350هـ/ 912- 961م.

ولد الامير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله عام (277هـ/ 890م) نقش الناصر على خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راضي[1].

تولى السلطة بالاندلس بعد جده عبد الله وعمره ثلاثة وعشرون سنة ودام حكمه خمسين عاماً وستة اشهر وكان جده الامام عبد الله يخطيه دون بنيه ويومي اليه ويرشحه لامره في الاحتفالات والاعياد[2]، ويشير عنان ان الامير عبدالله حسبما تؤكده الروايات التاريخية ان جده قد ولاه ولاية عهده من بعده[3].

اشادت كتب المؤرخين[4] بالامير عبد الرحمن الثالث ووصفته بالخصال

---

(1) مؤلف مجهول، مدونة عبدالرحمن الناصر، تح: ليفي بروفنسال وترجمة للإسبانية: اميليو كارثية كومث، (مدريد، غرناطة، 1950)، ص 7.

(2) ابن عذاري، البيان، 2/ 157؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص29.

(3) دولة الاسلام في الاندلس، 2/ 373.

(4) ذكرت المصادر الاندلسية عن دور الامير عبدالرحمن الناصر اذ انه بويع والاندلس جمرة نفاق تحتدم والافاق نار فتنة تضطرم فكانت ولايته للخلافة شمسا نافية لظلمات النفاق ومطرا وابلاً غاسلا للافاق فاشرابت اليه النفوس وزايلت بسعده النحوس، وقابل الملك بعدة قابلها اليمن والفها الرشد فاخمد نيران الفتن وفتح الاندلس عودا كما فتحها جده =

=

عبد الرحمن الداخل بداء واتفق له سعد لم يسمع بمثله فيما سلف فلم يـزل بحزمـه وعزمـه يحارب بنفسه المتمردين حتى وطا جميـع بـلاد الانـدلس واسـتنزل منهـا العصـاة" مؤلـف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 160–161؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 223–224.

كان لتنصيب الامير عبد الرحمن الثالث لحكم الاندلس صدى كبير وارتياح عام فيذكر انه قـد "تباشرت الرعية بها في جميع الجهات، والقى الله منهـا في القلـوب المحبـة، واشـربها مـودة، ووضع في نفوس الخلق من الاستبشار بهذا الخليفة الميمـون بطـائرة ثلجـاً ارهـص بـه بمـا قضى انه لا بد بالغة من جميع فرقتهم، وغفران الذنوب التي اخلت عمـاراتهم، فقـد كـان من اجتباء المكارم، واجتناب المحارم، وعلو الهمة، ونزاهة النفس، وشجاعة القلب، وربـط الجأش، وجودة الراي، ونفاذ العزم، واحاطة الادراك، وفرط السخاء، وسعة البذل، وتمـام الخصال، والمشاركة في فنون المعرفة، واهانة المـال لاقتنـاء الرجـال، بحيـث ادرك مـن قبلـه وفات من بعده، وبحيث يوجب التقصير علـى الجميـع والاقتصـاد علـى المعرفـة" مجهـول، مدونة الناصر، ص31–32.

اعجب ابن خلدون بحكم عبد الرحمن الثالث وسياسته وقال فيه "اعظم ما كان سـلطانه واعـز ما كان الاسلام بملكه" العبر، 4/ 144.

يعد الخليفة الناصر نموذجاً رائعاً للحاكم العادل المخلـص للحـق والمسـاواة والحـريص علـى حماية الشريعة قال عنه المؤرخ الأندلسي الحجاري "وربما كان أجود من جميع من ملـك مـن بني مروان" نقلاً عن ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، 1/ 184.

وصلت الأندلس في عصر الخليفة الناصر إلى أوج ازدهار وسمت قوتها فتثبتت دعـائم وهيبـة الحاكم فملأت الرهبة قلوب الأمراء في الداخل، وملأ الرعب في ملـوك أوربـا وحكامهـا في الخارج، وظلت الأندلس المنارة العالية المشعة لنـور الفرقـان حتـى قضـى الله ان يـدوم حكمه لمدة خمسين عاماً ملؤها العدالة والسعادة راضي، علي محمـد، الأنـدلس والناصـر، دار الكاتب العربي، (القاهرة، د.ت)، ص 34– 35.

امتاز عصر الخليفة الناصر بالقوة والرخاء والمجد، بل كـان في الواقـع اعظـم عصـور الإسـلام =

=

وفيه بلغت الدولة الأموية بالأندلس ذروة القوة والبهاء، وتبوأت الأندلس مركز الصدارة في العالم الإسلامي بعد ضعف الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي، وكانت الأندلس تستأثر يومئذ بزعامة الإسلام. ينظر: عنان، محمد عبد الله، تراجم اسلامية شرقية واندلسية، دار المعارف، ط1، (مصر، 1947)، ص 158، 166.

قال عنه المؤرخون إلى قوة حكم الخليفة الناصر وازدهار الأندلس في عهده وذلك بقوله "إن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية" ابن خلدون، العبر، 4/ 137؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 343؛ أزهار الرياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، 1939– 1940)، 2/ 258.

لقد إمتاز حكم الخليفة الناصر بالمثابرة والحرص، وكان واسع الأفق، لامع الذكاء، موفور النشاط، ناهض العزم، لايفت في ملاحقة الفتن وتكاثر الأحداث، وكان صلباً مؤمناً عازماً في محاربة الظلم والتفرقة والفتن. ينظر:ادهم،علي، عبدالرحمن الناصر، دار القدس، (بيروت، بلا. ت)، ص3.

اما ابن الخطيب الغرناطي وصف لنا أحوال الأندلس في ظل تولي الخليفة الناصر السلطة بالأندلس بقوله: "وولي الناصر لدين الله الأمر، والأندلس جمرة تحتدم، ونار تضطرم، وقد عظم الشقاق والنفاق، وارتجت الآفاق فسكنها الله بسعده، وعز نقيبته، وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل، وهو الذي استنزل الثوار، وشيد القصور، وغرس الغروس وخلد الآثار، وأعظم في الكفر النكاية، فلم يبق عليه في الأندلس مخالف، ولانازعه منازع، ودخل الناس أفواجاً في طاعته، ورغبوا في مسالمته." أعمال الأعلام ص 35– 36.

اما ابن عبد ربه الاندلسي فقال عنه انه كان "القمر الازهر، الاسد الغضنفر... سيد الخلفاء وانجب النجباء" العقد الفريد، 4/ 498.

فقد "عاش في قلب الازمات وانصهر بالتجربة الكافية لتضاف الى موهبة فذة ومقدرة غير
=

الحميدة وذكرت بان كلمة قصيرة القاها احمد بن عبدالله عم الامير نيابة عن امراء بني امية الذين عبروا عن رأيهم فيه على لسان عمه: "والله لقد اختارك الله على علم للخاص منا والعام، ولقد كنت انتظر هذا من نعمة الله ويظهر لنا صبيانا، فاسال الله ابزاغ الشكر وتمام النعمة والهام الحمد"(1).

فهذا صريح في شدة فرحهم به وان هذا الامير كان امنية لهم وطلبوا من الله ان يديمه عليهم وان يقابلوا هذه النعمة بالشكر والحمد فلهذا تمت له البيعة الخاصة(2)، ثم بويع من قبل كبار الموظفين في الدولة ووجهاء الناس في قرطبة من فقهائها وأعيانها وأهل البيوتات، وقد اناب عنه بعض القادة لتلقي البيعة في المسجد الجامع بقرطبة(3).

لذلك ماحمله الامير عبدالرحمن الناصر من ذكاء يسر له تذليل كل

= عادية تحمل اعباء الحكم ومسؤولياته" بيضون، ابراهيم، الدولة العربية في اسبانيا، (بيروت، 1978)، ص290.

اما مايملكه من معرفة وعلم وآداب اخذها نتيجة مجالسته ومصاحبته وجلوسه في حلقات الذكر والحديث فقد ذكر لنا عنان عن هذه الميزة فيقول "وما كاد يبلغ اشده حتى ظهرت نجابته وابدى بالرغم من حداثته تفوقاً في العلوم والمعارف الى درجة تسمو على سنه، ودرس القرآن والسنة وهو طفل لم يتجاوز العاشرة، وبرع في النحو والشعر والتاريخ" دولة الاسلام، 2/ 373.

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 160-161؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 198-199؛ ابن عبد رية، العقد الفريد، 4/ 498.

(2) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، 2/ 368 وصفه "سيد الخلفاء وانجب النجباء".

(3) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص168.

الصعاب التي واجهته في حياته فقد أعانه على ذلك المعرفة باصطفاء الرجال واستمالة اهوائهم بالمواعيد وبذل الاموال مع طول المدة وهبوب رياح السعادة[1]. فقد اكد لنا ابن سعيد[2] مرة اخرى على لسان حاجبه موسى بن حدير "مارأيت اذكى منه، كنت والله آخذ معه في الشيء تحليقاً على سواه، حتى اخرج اليه، فيسبقني لمرادي ويعلم ماينبت على تدبيري"[3].

---

(1) ابن سعيد، المغرب، 1/ 177.

(2) المصدر نفسه، 1/ 180.

(3) ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 199.

ومن توقيعاته البليغة انه رد على كتاب اتى عليه من رجل بحصن لقنت قال فيه: "ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا ان نعرض عليك اولا ما لابد له منه اخراً وليس من اطاع بالمقال، كمن اطال بعد الفعال" ابن سعيد، المغرب، 1/ 179.

لذلك كان الناصر واسع الثقافة مقرباً للعلماء ومهتماً بتشجيعهم، حتى انه انتدب ولي عهده الحكم بمهمة رعاية العلم والعلماء. عيسى، محمد عبد الرحيم، تاريخ التعليم في الاندلس، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1982)، ص108.

ويفهم من خلال نقول المؤرخين ان الاندلس في زمن الامير عبدالرحمن الناصر قد كثر فيها العدل وشعر الناس بالطمأنينة والرخاء والاستقرار وهذا انما كان بسبب ان الامير كان عادلاً تقياً ذا علم ومعرفة اميناً على بيت مال المسلمين اذ "ان الخليفة اذا عدل في بيت المال وساوى نفسه بالمسلمين في الاخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكراً للاسلام، والحاصل انه اذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الاحوال يتبعه على ذلك الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والاغنياء والفقراء فاذا حصل ذلك يسهل حينئذ اقامة الشريعة والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصير همة الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع =

كان الناصر حريصاً على تقصي اخبار مايجري في دولته من امور لـذلك كانت له عيون على قرب وبعد وصغر وكبر[1]، وان هذه العيون مهامها هي رفع الاخبار للناصر عما يدور في دولته كجهات امنية[2]. اذ لايتوانى عن عزل أي شخص مهما علت منزلته اذا يشتبه به او كان لديه تقصيراً في عمله، اذ لم يبق

= على منهج الشرع المطهر فتحيا بذلك السنن التي اميتت وتزول تلك البدع التي اذيعت ويقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات فان الكفار انما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها فلا يزيلون منكراً لان اكثر المنكرات يتوصلون بها الى تحصيلها وازالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصددها فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي ﷺ واصحابه ومادامو لم يكونوا كذلك لايستقيم لهم امر وقد صح عن سيدنا ابي بكر الصديق ﷺ انه كان كثيراً مايقول في خطبه ومجالسه ان هذا الامر لايصح آخره الا بما صلح اوله ولايحتمله الا افضلكم مقدرة واملككم لنفسه، فهذه العبارة نص صريح في انه لايستقيم امر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضى الله عنهم ومادام الخليفة الاعظم ينبسط في الدنيا ويأخذ من بيت المال ما اراد مما زاد على حاجته الضرورية ويتكرم في العطاء بما شاء ولايراعي في ذلك القواعد المشروعة ولايسلك مسلك الخلفاء الراشدين فان الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولاتتحد كلمتهم ولاينتظم امرهم ولايامرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون لتحصليها انواع الخطيئات لان الله تعالى اجرى عادته بين العباد ان يكون الناس على دين ملوكهم.

ينظر: دحلان، احمد بن زيني، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية،المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، بلا.ت)، 2/ 345- 346.

(1) ابن سعيد، المغرب، 5/ 486.

(2) ينظر: ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)، صورة الارض، (بيروت، 1979)، ص111؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 108.

غير اثنين من وزرائه سنة 329هـ بعدما اقدم على عزلهم وذلك حين ثبت انهم قصروا في واجباتهم[1].

وهذا مايدل على ان توجيهاته وتوصياته السياسية والعسكرية في اختيار الولاة انما جاء باستعمال الاصلح والامثل في كل منصب بحسبه، وهذا ناتج عن كونه قد ادى الامانة، وقام بالواجب وصار في موضع ائمة العدل والمقسطين، قال الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وقوله تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3]، ولذلك تمكن الناصر بفضل ما أوتيه من مقدرة وحسن تدبير، من اعادة بناء وحدة الاندلس وارساء قواعد لدولته على اسس قوية ومحكمة، فعادت الدولة العربية في الاندلس ان ترتقي من جديد صهوة المجد والعزة.

حكم عبد الرحمن بن محمد الثالث للأندلس نصف قرن وعاصر حقبة الإمارة لمدة ستة عشر عاماً وحكم اربع وثلاثين سنة في عصر الخلافة بالأندلس في عزّ منيع وسلطان قاهر[4]، ويذكر ان الامير عبد الرحمن الثالث تولى وهو يحمل فكرة وخطة ومشروع لاقامة حكومة ناجحة واتبع اسلوب الحزم والعزم من خلال توصياته وتوجيهاته السياسية والعسكرية، محاولا جمع كلمة البلاد وتوحيدها، ولهذا بدأ الامير عهده باصدار منشوراً واعلان عام الى الثوار المستقلين في نواحيهم في مدن الاندلس يعدهم فيه بكل انواع الوعود الطيبة من

---

(1) ابن حيان، المقتبس، 5/ 470.

(2) سورة التغابن، جزء من الاية 16.

(3) سورة البقرة، جزء من الاية 286.

(4) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص154؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص114.

مال وسلطان اذا عادوا الى الجماعة والوحدة والطاعة، ومن لم يرض ويرضخ لذلك فالحرب والمطاردة ومصادرة الاموال[1]. وبعد ان اعلن توجيهه السياسي للعودة الى الجماعة والوحدة والطاعة للثوار المستقلين عن السلطة، ونتيجة عدم استجابتهم اتبع الامير عبد الرحمن الثالث سياسة اظهار القوة والسيطرة على الاوضاع الداخلية، فاصدر توجيهاً عسكرياً اذ لم تنفع توصياته السياسية بهذا الصدد، فجهز اول ايام حكمه سنة 300هـ/ 912م بحملة عسكرية 'واول غزوة غزاها الناصر لدين الله الغزوة المعروفة بغزوة المتلون افتتح فيها سبعين حصناً'[2].

كان للنصر الذي حققه الامير عبد الرحمن الثالث في حملة المتلون اثر كبير وصدى عميق ومردود عظيم على نجاحه وسمعته العسكرية وفتحت امال طيبة في استقرار الاوضاع العامة في الاندلس وازدهارها حضاريا.

وقد عُد الناصر من الناحية الادارية والسياسية والعسكرية اقدر حكام عصره في الشرق والغرب، فقد امسك بناصية الحكم بيد فولاذية، وقد تركزت

(1) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص168.

(2) مجهول، مدونة الناصر، ص33.

وتحدث ابن حيان القرطبي عن الحملة الاولى بقوله: 'كانت غزوة المتلون اول غزوات الناصر لدين الله المؤذنة بسعده... فكان اول من استجاب لامره وصحح طاعته اهل جند دمشق الذين هم اهل كورة البيرة فتبادروا بالمجيء الى باب سدنة والقوا بمقاليدهم الى الخليفة وتخلوا له عن حصونهم ومعاقلهم الاساسية دون امان طلبوه ولا عهد اعتقدوه' المقتبس، 5/ 85.

جميع مقاليد السلطة بيده، وقد اورد لنا عنان[1] نصاً يؤكد هذه الحقيقة حين ذكر عن حديث الناصر مع اعضاء وفد حضر الى قرطبة في سنة 347هـ/ 958م فقد قال الخليفة لهم: ان ملككم امير حكيم ماهر، ولكن في سياسته شيئاً لا استسيغه، وهو بدلاً من ان يقبض بيديه على جميع السلطات، ينزل عن بعضها لاتباعه، ويترك لهم بعض ولاياته، معتقداً انه يكسب بذلك، وهذا خطأ فادح، فان مداراة الحكماء العظماء لايمكن الا ان تزيد من كبريائهم وتذكي رغبتهم في الثورة، وهذا مايؤكد ما ذهبنا اليه من ان الناصر كان يؤمن بفكرة الحكم المطلق.

ولكن الخليفة الناصر رغم ايمانه بالحكم المطلق وهيمنته على جميع الامور، لايعني انه كان حاكماً مستبداً، لكن حرصه عل دولته هي الدافع الحقيقي وراء ذلك، فالناس لهم كامل الحرية في نقده[2] كما فعل القاضي منذر بن سعيد

(1) عنان، دولة الاسلام، 2/ 458.

(2) وهذا من اساليب نجاح السلطان وهو ان يكون زمام امور الدولة بيده وان يعطي للناس الحرية التي اذن لهم شرعهم الحنيف بها فمن ذلك مافعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاءته مرة برود من اليمن ففرقها على الناس برداً برداً ثم صعد المنبر يخطب وعليه بردان ازار ورداء فقال اسمعوا رحمكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال لانسمع والله لانسمع فقال عمر لِمَ ياعبدالله قال لانك اعطيتنا برداً برداً وخرجت تخطب في بردين فقال عمر اين عبدالله بن عمر فقال عبدالله هنا ياامير المؤمنين فقال: لمن احد هذين البردين اللذين عليّ قال: اليّ فقال للرجل: عجلت على عبدالله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت ثوب عبدالله فقال الرجل: الان نسمع ونطع دحلان، الفتوحات الاسلامية، 2/ 407.

وان يكون تصرف الولاة تحت امر السلطان فولاة المدن والامصار انما هم نواب السلطان =

البلوطي الذي اخذ يوجه النقد اللاذع للناصر.(1)

=

وقد سبق ان تكلمنا على اهم وظائفهم، اما اذا اعطى السلطان الولاة الاستقلال المطلق فهذا مما يؤدي الى ضعف الدولة ولايكون كيانها قوياً فمن المحتمل عند تعرض الدولة مثلاً الى هجوم عدو غاشم لايدافع الوالي المستقل عن تلك الدولة بخلاف ما اذا كانوا كلهم تحت امرة سلطان واحد فسيكون اهالي الولايات جيشاً واحداً تدافع ولاية عن اخرى والى غير ذلك من الاحتمالات السلبية التي تنشأ من قوة ولاية وضعف اخرى او غنى ولاية وفقر اخرى وهكذا.

(1) النباهي، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن، قضاة الاندلس او المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، ط5، (بيروت، 1403هـ- 1983م)، ص69.

وكان منذر بن سعيد قاضي الناصر وخطيبه كثيراً مايقرعه فيما انسرف فيه من مبانيه، ويعظمه ودخل يوماً وهو نكب على البنيان، فوعظه.

ينظر: مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 165؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص79.

استمر القاضي البلوطي في تأنيب وتذكير الخليفة الناصر على اسرافه وذلك اثناء حفلة ودعوة اقامها الخليفة والناصر لكبار رجال دولته عند اكمال بناء الزهراء وافتتاحها للتفاخر والتباهي والتعرف عليها، وكان القاضي يجلس في اخر صف للحاضرين' فجلس في اخر الناس وعليه ثياب رثة، فاخذ القوم يتاملون ذلك المجلس والقصر واتقان بنائه واحكامه ويثنون عليه وعلى امير المؤمنين ويطنبون في ذلك ومنذر مطرق براسه الى الارض لا يتكلم بكلمة فقال له الناصر: 'وانت ايها القاضي كيف رايت هذا المجلس؟ قال:' يا امير المؤمنين ماذا اقول لك والشيطان قد املى لك وزين لك فعلك ولم يرض منك الا ان يجعلك كافرا 'فاسود وجه الناصر وغضب وقال:' بماذا' قال: 'يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾

=

تابع الأمير عبد الرحمن الثالث ادارة بلد الاندلس شخصياً وبالرغم مما ذكرناه من ان الناصر كان يؤمن بفكرة الحكم المطلق والسيطرة التامة على زمام الامور السياسية والعسكرية من لدن الحاكم الا انه لم يمنعه من مشاورة [1] ثلاثة

= ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: الايات 33- 35). قال: فاطرق الناصر وقام عن مجلسه خجلا وافترق الناس".

ينظر: مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 166.

وفي هذا الصدد ايضاً يقول الرجراجي: "يجب على السلطان واجبات وحقوق ونصائح وارشادات وتوجيهات نافعة تخدم المجتمع والاسلام".

ابو حفص عمر بن موسى بن محمد، هداية من تولى غير الرب المولى، تحقيق وترجمه الى الاسبانية: براوليو فوستيل كلابوثو، نشر المعهد الاسباني العرابي للثقافة، (مدريد، 1983)، 23.

(1) فقد التزم النبي ﷺ مبدأ التشاور مع اصحابه واذا استعرضنا حياة النبي ﷺ وجدنا انه كان يلتزم هذا المبدأ في كل امر لانص فيه من كلام الله تعالى مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية ومن اجل هذا اجمع المسلمون على ان الشورى في كل مالم يثبت نص ملزم فيه من كتاب او سنة اساس تشريعي دائم لايجوز اهماله اما ماثبت فيه نص من الكتاب او حديث من السنة ابرم به الرسول ﷺ حكمه فلا شأن للشورى فيه ولاينبغي ان يقضي عليه بايّ سلطان. فالشورى في الشريعة الاسلامية مشروعة ولكنها ليست ملزمة وانما الحكمة منها استخراج وجوه الرأي عند المسلمين والبحث عن مصلحة قد يختص بعلمها بعضهم دون بعض او استطابة نفوسهم فاذا وجد الحاكم في ارائهم ماسكنت نفسه اليّه على ضوء دلائل الشريعة الاسلامية واحكامها اخذ به والا كان له ان يأخذ بما شاء بشرط ان لايخالف نصاً في كتاب ولا سنة ولا اجماعاً للمسلمين.

ولايفوتنا قبل ان نضرب من الامثلة على الشورى ان نشير الى انها قد وردت في القرآن =

من الناس وهم: قائد الجند بسرقسطة قاعدة الثغر الاعلى لعظم ذلك الموضع وكونه الثغر ومحل الدفاع عن الاندلس فلم يكونوا يقدمون له، الامن اشتهرت نجدته وغناؤه، والقاضي بقرطبة حضرة الخلافة وموضع توفر العلماء، لما كان يحتاج فيمن يتقدم لقضائها من استجماع شروط الكمال وكريم الخلال ورسوخ القدم في العلم والدين والحكمة، وقائد الاسطول بالمرية لانها كانت دار صنعة الانشاء بالاندلس، ولتوسطها في بلادهم[1].

= الكريم اذ قال الله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة آل عمران: الاية159. وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة الشورى: الاية 38.

ومن الامثلة مافعله النبي ﷺ عندما اتاه خبر مسير قريش الى المسلمين في غزوة بدر الكبرى فاستشار من معه من اصحابه فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً وكان منهم المقداد بن عمرو فقد قال: يارسول الله امض لما امرك الله فنحن معك ولكن النبي ظل ينظر الى القوم ويقولَ لهم اشيروا علي ايها الناس فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يارسول الله. قال: اجل. فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما اردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضنه لخضناه معك فسرّ رسول الله بقول سعد ثم قال: سيروا وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين. والله لكأني الان انظر الى مصارع القوم.

ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، الناشر مكتبة الشرق الجديد، (بغداد، بلا. ت)، ص 168-171.

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 83،ص128ـ129.

والملاحظ هنا انه لاغنى لولي الامر عن المشاورة، فان الله تعالى امر بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]، والمشاورة هنا للناصر لايمكن اهمالها فقائد الجند بسرقسطة قريب الموضع من النصارى اعداء، والقاضي بقرطبة حيث موضع العلم والعلماء، وقائد الاسطول له شأن كبير، لذلك كان لهم رأيهم من امر الحروب، والامور الجزئية الاخرى، وهذا ماله الاثر البالغ فيما بعد حين كان يوجه ويوصي الناصر للقضاء على التمردات الداخلية او لتصديه لاعداء الاسلام من النصارى.

وقد نجح الامير عبد الرحمن الثالث في التصدي للتمردات بوسائل عديدة من شن الحملات العسكرية وهدم حصون التمرد، فضلاً عن وسائل دبلوماسية في اقناع المتمردين وتقديم التصالح والوعود بالعفو، ويوضح لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن اسباب كثرة التمردات في الاندلس اواخر عصر الامارة بقوله: "والسبب في كثرة الثوار بالاندلس يومئذ ثلاثة وجوه الاول:منعة البلاد وحصانة المعاقل، وبأس اهلها بمقاربتهم عدو الدين، والثاني: علو الهمم وشموخ الانوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة، اذ كان من يحصل بالاندلس من العرب البرابرة اشرافا يأنف بعضهم من الاذعان لبعض، والثالث: الاستناد عند الضيقة والاضطرار الى الجبل الاشم والمعقل الاعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض"[2].

---

(1) سورة آل عمران، الاية 159.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص36.

بدأت التوجيهات العسكرية باجراء عمليات عسكرية ضد المتمردين[1] حسب خطة حربية مرسومة محدودة الاهداف ومتوقعة النتائج الناجحة في شن الحملات على قلعة رباح واخرى على مدينة استجه واسترجاعها من المتمرد ابن حفصون، وكان لقيادة الامير عبد الرحمن الثالث الجيش ومشاركته للحملات بنفسه اثر عميق اسهم في رفع معنويات الجند وحقق النصر واثار الخوف والفزع في نفوس الاعداء وارهبهم[2].

تمكن الامير عبد الرحمن الثالث من استعادة النفوذ والسيطرة على الاندلس واعاد الحصون والقلاع من المتمردين ودمر اوكار الاعداء في عدد من مدن الاندلس، وكان للنصر الكبير الذي حققه الامير في غزوة المتلون- كما بينا سابقا- اثر بالغ في كسب ثقة جيشه ورعيته واستعادة الامن والاستقرار الى الاندلس بفضل توجيهاته السديدة السياسية والعسكرية، ومكن الامارة الاندلسية من السيادة على اقاليم البلاد بعدما تمكن بكفاءة عالية من ادامة عوامل النصر بفضل تنظيمه العسكري وتوجيهاته في هذا الخصوص من اعداد

---

(1) استنبط علماء الحديث والسيرة من غزوة بني قريظة التي نقضت اليهود العهد مع النبيﷺ جواز قتال من نقض العهد وقد جعل الامام مسلم رحمه الله هذا عنواناً لغزوة بني قريضة فالصلح والمعاهدة والاستئمان بين المسلمين وغيرهم كل ذلك ينبغي احترامه والتزامه على المسلمين مالم ينقض الآخرون العهد او الصلح او الامان وحينئذ يجوز للمسلمين قتالهم ان رأوا المصلحة في ذلك.

ينظر: البوطي، فقه السيرة، ص 238.

(2) السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986)، ص151.

جيشه وتطوير اسلحته واهتماماته وعزمه ومتابعته واخلاصه لدينه[1].

تابع الخليفة الناصر عماله وولاته وقادته واصدر لهم الكتب وفيها توصياته وتحذيراته ومطالبته باحترام الرعية، كما جاء في خطبة الناصر ووصيته لعماله وتذكيرهم بعدالة[2] الرسول الكريم ﷺ وخلفائه كما ورد بالنص ما بال رجال من خاصتنا توسعوا في دنيانا فطفقوا[3] يحتجبون الأموال، ويضيعون

---

(1) السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، ص156.

(2) في حفر النبي ﷺ الخندق مع الصحابة عبرة بالغة كبرى توضح لك حقيقة المساواة التي يرسيها المجتمع الاسلامي مجرد شعارات يزين بها ظاهر المجتمع او يوضع منه في اطار لامع براق وانما العدالة والمساواة هما الاساس الواقعي الذي تنبثق منه عامة القيم والمبادىء الاسلامية ظاهراً وباطناً. فأنت تجد ان رسول الله لم يندب المسلمين الى حفر الخندق ثم ذهب يراقبهم في قصر منيف له مستريحاً هادئاً ولا اقبل اليهم في احتفال صاخب رنان ليمسك معول احدهم باطراف اصابعه فيضرب به ضربة واحدة في الارض ايذاناً ببدء العمل انه قد شاركهم في ذلك يلقي المعول ويدبر اليهم ظهره ينفض عن حلته ماقد علق بها من ذرات غبار ولكن رسول الله انخرط في العمل كأي واحد من اصحابه حتى لبس ثوباً من الاتربة والغبار على جسمه الشريف فما تفرقه عن أي عامل آخر من صحبه واخوانه يرتجزون لينشط بعضهم بعضاً فيرتجزهم ويتعبون ويجوعون فيكون اولهم تعباً وجوعاً. وتلك هي حقيقة ما اقامته الشريعة الاسلامية من مساواة بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والصعلوك والامير. ينظر: البوطي، فقه السيرة، ص 231.

(3) طفق طفقا لزم وطفق يفعل كذا يطفق طفقا جعل يفعل وأخذ. ابن منظور، لسان، 10/ 225.

قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ سورة طه: الاية 121.

تعمدنا، وهم يرون غليظ [1]مؤونتنا في الإنفاق على شؤوننا التي بقدرتنا عليها صلاح أحوالهم ورفاهية عيشهم، ويعلمون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قسطاس[2] الموازين قاسم عماله أرباحهم في تجاراتهم فجعلها في بيت المال، وهو

---

(1) غلظ الشيء غلظا فهو غليظ واستغلظ النبات والشجر وأغلظت الثوب وجدته غليظا واستغلظته تركت شراءه لغلظه والتغليظ الشدة في اليمين وغلظت عليه وأغلظت له في المنطق. ينظر: الفراهيدي، العين4/ 389.

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ سور التوبة: الاية 123 وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ سورة الفتح: الاية 29.

(2) قسط في أسماء الله تعالى الحسنى المقسط هو العادل يقال أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل وقسط يقسط فهو قاسط إذا جار وقيل أراد بالقسط القسم من الرزق الذي هو نصيب كل مخلوق وخفضه تقليله ورفعه تكثيره والقسط الحصة والنصيب وتقسطوا الشيء بينهم تقسموه على العدل والسواء والقسط بالكسر العدل. ينظر: ابن منظور، لسان الاعرب، 7/ 377.

وردت ايات من الذكر الحكيم كثيرة حول القسط منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة آل عمران: الاية 21، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ =

من هو وهم من هـم، والأسـوة في فعلـه[1]. وفي هـذه الخطبـة توصـية للعمـال والرعية وتوجيه صائب الى الاقتداء بالخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كرجل عـادل وباصحابه (رضوان الله عليهم) مـن حيـث انهـم كـانوا يتحققـون مـن تصـرف خليفتهم.

ويؤكد ابن عبدالبر القرطبي[2] ان الخليفـة الناصـر بفضـل متابعتـه لامـور دولته وتوصياته التي لاتنقطع ومتابعاته وتوجيهاتـه الخالصـة الى عمالـه ورعيتـه حقق الامن داخل بلاده.

حافظ الخليفة الناصر على بيت المال للمسلمين وحرص على دقة الإنفاق حتى انه نجح في ثراء الأندلس فكانـت مـدخولات الضـرائب كـبيرة وأصـبحت الأندلس ثرية في عصره حتى أن أموال الجباية صارت توزع على ثـلاث جهـات وهي: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر في بيت المال[3]. ويؤكد الشاطبي[4] في مسألة رعاية الحاكم للاموال العامة للمسلمين في مسألة فقهية اكد فيهـا علـى وجوب عدالة الامام ودقة التصرف في اخذ المال وانفاقه على الاوجه الشرعية.

= ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة: الاية 8.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 225.

(2) ابو عمر يوسف بن عبدالله (463هـ)، بهجة المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي وعبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بلا. ت)، ص11.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 163؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 231

(4) الشيخ الامام ابو اسحق، الاعتصام، تـح: رشـيد رضـا، (بـلا مكـان طبـع، 1332هــ)، ج2/ 295.

وهذا التوجه السياسي الشرعي للناصر صائب، فعلى الحكام ان يحافظوا على الاموال وان يؤتوا كل ذي حق حقه، وكذلك هو توجيه للرعية ان عليهم حقوق مايجب ايتاؤه، وهنا ايضاً توصية منه على ان لاتطلب الرعية من ولاة الاموال مالا يستحقونه فيكونون من ينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1].

وقد واجه الناصر تمرداً كان من اعنف التمردات الداخلية [2] واخطرها

(1) سورة التوبة، الآية 58- 60.

(2) امتاز الناصر بكثرة وصاياه ونصائحه وتأكيده على احترام شعائر الإسلام وذلك من خلال الخطب والرسائل التي أوردتها المصادر التي تتضمن الكلمات الرفيعة والمعاني العميقة والمبادئ التي تمجد الإسلام وترضي الرعية ومن تلك الخطابات التي أوردها في مناسبة محاربة المتمرد عمر بن حفصون الذي أعلن حرباً على الإسلام، جاء فيها "أما بعد، فأنا أحق من استوفى حقه واجدر من استكمل خطه ولبس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضلنا به، واظهر أثرتنا منه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بنا وبدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو امرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والانعام بما انعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا منه".

ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص 30. ينظر: مؤلف مجهول، مدونة الناصر، ص79.

واطولها زمنا واكلفها ثمنا على الامارة تمرد ابن حفصون[1]، حيث استمر التمرد اكثر من ربع قرن (267-305هـ) وشهد عهود ثلاث من امراء الاندلس وهم الامير المنذر، الامير عبد الله، الامير عبد الرحمن الثالث (الناصر).

لهذا فقد وجه الناصر توجيهاً عسكرياً وذلك بارسال جيشاً لمحاربة هذا المتمرد واصدر كتاباً الى الاقاليم يبين فيه استلام حسن ببشتر، واستئمان ابن حفصون بقوله: "وعهدنا الى الوزير احمد بن محمد حدير، بالتقدم اليهم لحضور خروجهم، ومباشرة نزولهم، واكمال الامان لهم، وقبض الايدي عنهم فنهض الى ذلك، وقصد له، فلما صار بمدينة طلجير، المبتناة على مدينة ببشتر، هبت بالطاغين عنها، فتساربوا خارجين، وتهافتوا ذاهبين، وتفرقوا ايدي سبأ الى جوانب شتى. فقد سار كل واحد الى منزعه، والى مكان طماعيته، ولحق بمداين الطاعة فصاروا في غمار الرعية، وتمكث خلفهم عميدهم حفصون بن عمر طاير

---

(1) دولة الاسلام في الاندلس، 1/ 381. نقلاً عن مخطوط ابن حيان.

ويذكر عنان ان الناصر سبق وان تصالح مع ابن حفصون الثائر العاتي باعطاءه الامان لكن المتمرد ثار مرة اخرى على الناصر وكان عهد الامان مفاده ان الناصر كتب بخطه اسفل كتاب الصلح مايلي: "بالله الذي لا اله الا هو الطالب الغالب، وجميع ايمان البيعة لازمتي من العهود المتشددة والايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة، ولا نقضت شيئاً مما جمعه هذا الكتاب تبديله ولا نقصان شيء منه، ولا رضيت ذلك في سر ولا جهر. وان كل مافيه من الشروط والمواثيق لازمتي. والله شهيد علينا، وخططنا هذه الاحرف بيدنا، واشهدنا الله عز وجل على انفسنا، وكفانا بالله شهيداً، ماوفي عمر بن حفصون بما نص في هذا العهد وصحح فيه، ان شاء الله، والله المستعان".

الفوأد، خافق القلب، لم تطب نفسه عن الخروج خوراً[1]، ولاسكن منه الامان نفاراً، يخشى كل يد ان تضبط عليه، وكل شجرة ان تتعلق به، قد خامره[2] الرعب ماكادان يربي على العطب. فطمأن الوزير احمد بن محمد حدير من جزعه وسكن من جأشه، ووفاه من آمالنا المبسوطة ليناً وثق به، واطمأن اليه، فخرج اخر الخارجين، ولحق بالآمنين، فاصبحت مدينته بقعة الضلالة، ومنبر الخلاف، ومعدن الغواية، بما احاط بها من اسوارها وابنيتها وقصابها، وداخلها من جناتها ومصانعها، مغوية من قطينها، خاوية على عروشها كأن لم يغن بها ساكن ولااستوطنها قافل.

ثم وجه الناصر امراً بهدم ببشتر- وقد بينا في فصلنا السابق هدم الحصون والقلاع من ضمن التوجيهات السياسية والعسكرية- وتخريبها وجعلها قاعاً صفصفاً[3]. ونفذ هذا ايضاً للاقاليم حين قال: ثم استقدمنا حفصاً اللائذ بالتوبة الى ماتفضلنا عليه من التأمين والتمكين وعدنا عليه من العفو والتطمين، واخذنا فيه بالفضل المبين، الذي جعلنا الله اهله، وغلب على مذهبنا ايثاره، وجمعنا له

---

(1) الخور مصب المياه الجارية في البحر إذا أتسع وعرض والخور رخاوة وضعف في كل شيء ورجل خوار والخوار عيب في كل شيء. ينظر: الفراهيدي، العين، 4/ 302.

(2) خمر خامر الشيء قاربه وخالطه ورجل خمر خالطه داء. ابن منظور، لسان العرب، 4/ 254.

(3) أرض صفصف ملساء مستوية وفي التنزيل فيذرها قاعا صفصفا. الصفصف الذي لا نبات فيه وقيل قاعا صفصفا مستويا والصفصف المستوي من الأرض وجمعه صفاصف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 9/ 169.

قال تعالى: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ سورة طه: الاية106.

من ذلك، ما اغتبط[1] به، وسكن اليه، وقرر نفسه عليه. فاعلم ذلك، وقف عليه واستشعر حمد الله. وأمر بقراءة كتابنا هذا اليك على المسلمين قبلك في جامع موضعك ليحمدوا الله عز وجهه على عظيم ما اصطنعه اليهم ووهبه لهم، وليحثوا من شكره تعالى على مادرأ عنهم، والتقرب بنوافل الحمد اليه، مايستدام رضاه عز وجهه، ويستجلب به المزيد من فضله، ان شاء الله، وهو المستعان. وكتب يوم الخميس من ذي الحجة سنة خمس عشرة وثلث مئة[2].

يتبين لنا مما تقدم كيف ان هذا التمرد شكل ثقلاً على الدولة العربية الاسلامية في الاندلس وكيف كان يشكل خطراً على كل الثغور مما حدا بالناصر الى تبليغ الاقاليم بانه سيطر على موقف ابن حفصون. وانما استتابه ولم يقتله حقناً للدم المسلم ان ينساب في غير الهدف الذي ينبغي ان يسيل من اجله، وان بقاء ابن حفصون ثائراً على السلطنة معناه استمرار حالة التشرذم وان السلطان الناصر ادرك ان وحدة بلاده التي ينشدها لاتتحقق الا اذا طوى صفحة هذا الثائر، ولذلك جاءت توجيهاته السياسية والعسكرية بهذا الخصوص ناجحة.

مما تقدم يلاحظ ان الناصر اراد من عماله ان يبلغوا الرعية بما حدث فاراد بهذا التوجيه السياسي والعسكري ان ينبه الجميع الى ان مصير كل متمرد سيلاقي المصير ذاته وهنا ربما انذار- وقد اعذر من انذر- منه الى الاخرين

(1) الغبطة وهي النعمة والسرور ونعوذ بك من الذل والخضوع والاغتباط شكر الله على ما أنعم وأفضل وأعطى وغبطة حسده وقيل الحسد أن تتمنى نعمته على أن تتحول عنه والغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه وليس بحسد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 7/ 349.

(2) عنان، دولة الاسلام، 1/ 387-388.

والمقصود هنا ابناء ابن حفصون الذين لايزالون في تمردهم ، والى من تسول نفسه باعلان التمرد على السلطة وشق صف الوحدة للدولة، ولان هـذا التمـرد كمـا اسلفنا قد اعيىَ الامراء فانـه اراد ان يوصـي عمالـه ان يقـرأ كتـاب النصـر وان يحمدوا الله عز وجهه على عظيم ما اصطنعه اليهم ووهبه لهم وليحثوا من شكره تعالى على مادرأ عنهم كما جاء بالخطاب.

وفي سنة 316هـ/ 929هـ تمكن الامير عبد الرحمن الثالث من القضاء علـى تمرد ابناء ابن حفصون رغم انه نبه بالكتاب السالف الذكر الذي قـرأ في نـواحي الاندلس من العـودة الى صـف الدولـة وتوجيهـه بهـدم حصـن ببشـتر والفتـك بالمتمردين لكن هذا لم ينفع معهم فبادر بتوجيه جيشاً لمحاربة ابنائـه فـنجح نجاحـاً باهراً "فاكثر من حمد الله عز وجل على ما افتتح له منها، ويسر لـه منهـا، والتـزم الصوم ايامه ومقامه بها، ثـم دبر بنيان قصبتها على احسن ما دبـره، واحكمـه في غيرها، وفرق رجاله على هدم كل حصن كان حواليها وعلى الديارات الخارجة عنها"[(1)].

---

(1) ابن عذاري، البيان، ج2،ص196؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص30.

يذكر ابن حيان ان الناصر انفذ الكتب الى عماله بنواحي الاندلس يأمرهم بهدم ببشـتر حيـث قال: "بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد، فالحمد لله الـذي قضـى بـالعز لمـن اطاعـه، وخـتم بالذل على من عصاه، وتولى امر من تولاه ونصره وكفاه وتبرأ ممن عاداه وخزله واخـزاه، الذي لايزال يؤيد الاسلام ويسدد من قام به، ويوفق من دعا اليه ويعين من اعانه، ويغلبه على من غالبه اختياراً له واظهاراً لفضله صلى الله على محمد الحـافي بـه، والـداعي اليـه، والمعز باعلائه والمؤلف لنظامه، وسلم تسليما. وانا لما اعظم صنع الله تعالى عندنا، وحسـن بلاؤه لدينا، وعرفنا النصر والظفر في كـل مـا تولينـا ن واعـز ولينـا واذل عـدونا ومكـن سلطاننا، وشرف ايامنا واوطأنا ديار المشركين وملكنا معاقلهم واحلنا منازلهم فتبوؤا منهـا =

=

حيث نشاء، حتى استتم لنا ذلك بالقاعدة العظمى والمنزلة العليا، والغاية القصوى ببشتر مدينة المجرمين التي اعجزت الماضين واتعبت الباقين وجعلت عبرة للعالمين واعجوبة للناظرين قصدنا اليها لنسر بها وننظر فيها، ونعظم قدر نعمة الله تعالى فيها، ولنحكم تدبير امرها وتعريف حالها بضبط مايجب ضبطه منها، ولنحكم تجبير امرها به من تخريبها وتدميرها، فصرنا اليها واحتللنا بها وعاينا من شرف خلقتها، وحصانة قعدتها وبديع نصبتها وامتناع وعلو مرتقاها، وانقطاع مهواها، مالم نظن ان يكون في الارض شبهها ولا ان عامراً عمر مثلها ولا عاقلاً عقل نظيرها فاكثرنا حمد الله تعالى على ما يسر منها وسهل من خطبها وعلمنا ان لاحول بنا ولا قوة الا به اللطيف بما يشاء [وهو على كل شيء قدير] اذا اراد امراً قضى به وسهل مرامه، وذلل صعبه وقرب بعيده واحكمنا من ضبط قصبتها وبنيانها على احسن واكمل الفكير ماحببنا. ثم فرقنا رجالنا عصباً وزرعناهم نوباً على هدم حصونها وقصابها والديارات الخارجة عنها المحيطة بها... ثم امرنا بهدم المسجد الذي كان اقامه الكافر عمر فيها اول امره لمن كان فيه من فسقة المسلمين، وطمس اعلامه، اذ كان مسجداً اسس على غير التقوى ... ثم قلدنا امر ببشتر والكون فيها والتولي لما يليها الوزير سعيد بن المنذر القرشي لما عرفنا من كفايته فيما يتولاه وضلاعته فيما يحمله ... وامرنا الوزير ابن حدير باخراج العرفاء عنهم، الذين كانوا اووا اليهم واكثروا عددهم وحددنا لهم تمييزهم وابعادهم عنهم وان يذهبوا على وجوهم ويتشتتوا في الارض العريضة متفرقين الى اصولهم منها التي منها اتو اليهم ومن قبلها اجتمعوا لديهم وعنها تألفوا بهم تقليلاً لعددهم وتقليلا لكثرتهم وتقليصاً لجماعتهم فتفرقوا منقطعين الى جهاتهم ولم يبق للنصرانية حصن مذكور ولا معقل معمور والله بذلك محمود مشكور. ثم انفذنا من ثقات موالينا وكفاة خدمتنا رجالاً عدداً فرقناهم على حصون كورة رية ... فامر بقراءة كتابنا هذا في المسجد الجامع في موضعك على اوليائنا ورعيتنا قبلك ... تبارك وتعالى على ماأسبغه من فضله بذلك فانه شاكر يحب الشاكرين ويكافئ بفضله الحامدين و[لايضيع اجر المحسنين] ان شاء الله وهو المستعان. المقتبس، ج5/ 232-237.

وخطا الامير عبد الرحمن الثالث خطوة جديدة وتحمل معاني سامية اذ اعلن الخلافة[1] عام 316هـ/ 929م وتلقب بامير المؤمنين وبذلك منح حكمه حلة

---

(1) الخلافة مصدر من خلف، يقال خلف فلان فلاناً، أي قام مقامه، وخلفه ايضاً أي جاء بعده، والخليفة السلطان الاعظم، والجمع خلائف او خلفاء.

ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 186؛ القلقشندي، ابو العباس احمد بن محمد (ت821هـ)، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت، 1964) 1/ 8.

والخلافة في الاصطلاح، هي منصب رئاسة الدولة العربية الاسلامية.

ينظر: الدوري، عبدالعزيز، النظم الاسلامية، (بغداد، 1950)، 1/ 25؛ فوزي، فاروق عمر، دراسة مقارنة بين النزعة العربية الاسلامية المقاومة للظلم والنزعة الفارسية المستكينة له مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد السابع والعشرون، (بغداد، 1406هـ 1986م)، 1/ 213؛ العجلاني، منير، عبقرية الاسلام في اصول الحكم، دار النفائس، (بيروت، 1405هـ 1985م)، ص62؛ موسى، محمد يوسف، نظام الحكم في الاسلام، دار الحمامي للطباعة ط2، (القاهرة، 1964)، ص82.

وقد عرفها المؤرخون عدة تعريفات منها ماقاله الماوردي أن الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ينظر: الاحكام السلطانية، ص3.

اما ابن خلدون يقول ان الخلافة: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها، اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها المصالح الاخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ينظر: المقدمة، ص 228..

ويتبين من هذين التعريفين ان الخلافة هي نيابة عن الرسول (ﷺ) في المحافظة على الدين وفي ادارة الشؤون السياسية للمسلمين، وان الخليفة هو رئيس الدولة العربية الاسلامية ويجمع =

دينية وسياسية منافسا بها المشرق الاسلامي وبهذا الصدد يؤكد المقرى بقوله: "والناصر اول من تسمى بامير المؤمنين من بني امية بالاندلس، لان الدولة عظمت في ايامه، حين اختل نظام ملك العباسيين بالمشرق، وتغلبت عليه الاعاجم، ولم يتسم احد من سلفه بالاندلس الا بالامير"[1].

والاسباب والدوافع الحقيقية لاعلان الخلافة الاندلسية هي:

1- تدهور اوضاع الخلافة العباسية وضعفها في المشرق واستيلاء الاتراك على السلطة العباسية بحيث لم يبق للخلفاء غير الاسم[2]. فضلاً عن تدخلهم في عزل وتعيين الخلفاء، اذ جاء تعيين الخليفة العباسي المقتدر وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره وهذا شجع الناصر على اتخاذ لقب الخلافة[3]،

= بين السلطتين الدينية والسياسية او الزمنية. وان الخليفة يأتي عن طريق الامة التي يجب عليها ان تساهم في عملية اختيار من ينوب عن الرسول (ﷺ).

(1) مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 160؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 137؛ المقري، ازهار الرياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، 1939 ـ 1940)، 2/ 258؛ نفح الطيب، 1/ 343.

(2) ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 198؛ عبد الله، الشيخ عبد الرحمن، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، مطبعة الظاهر، (القاهرة، 1326هـ)، ص96؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص60.

(3) ينظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 182؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 161؛ الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، (بغداد، 1945)، ص 196؛ فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، 1977)، ص98.

وذلك لكون الخلافة العباسية لم تعد قادرة على حماية العالم الاسلامي بسبب الضعف الذي آلت اليه في ايام خليفها المقتدر[1].

2- قيام العبيديين[2] في المغرب ومصر ومنافستها الشديدة وعدائها للامويين بالاندلس واعلانها الخلافة قبل اعلان الناصر لذلك[3]

---

(1) ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص13؛ المراكشي، المعجب، ص54.

(2) توصل الكوثري الى انهم لم يكونوا فاطميين وانما كانوا ينتسبون الى عُبيد وكان يهودياً حداداً بسلمية بحمص في الشام مستنداً على ماقاله المؤرخون الاوائل ومن ثقات اهل العلم على انهم ليسوا بفاطميين.

للتفاصيل حول ذلك وماذكره المؤرخون الاوائل ينظر: محمد زاهد، من عبر التاريخ، اعتنى به وعلق عليه اياد احمد، دار الفتح عمان، (الاردن، ط1، 1421هـ- 2000م).

(3) الضبي، بغية الملتمس، ص17؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص363.

ومن اقواله اذ يذكر ان احد الخلفاء العبيدين وجه له كتاباً مطولاً يهجوه فيه فما كان من الناصر الا ان يرد عليه قائلاً "عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك". حمودة، علي محمد، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، (مصر، 1376هـ- 1957م)، ص207.

في حين يورد ابن تغري بردي ان العزيز بالله الخليفة الفاطمي كتب الى الحكم المستنصر بالله الاموي وليس للناصر رسالة يهجوه ويسبه فرد عليه الحكم برسالة كتب في اولها قصيدة مطلعها هذا البيت

السنا بني مروان كيف تقلبت | بنا الحال او دارت علينا الدوائر

الى ان قال:

اذا ولد المولود منا تهللت | له الارض واهتزت اليه المنابر

=

وهذا مما جعل الناصر الى أعلان الخلافة وهو الذي رأى انه لم يكن اقل شأناً وقوة وعظمة، وهذا ماأثبته فيما بعد من انه احق منهم بذلك[1]. فكان من الطبيعي ان يقدم على ذلك لكبح جماح تحديات العبيديين لدولته[2].

3- انتصار عبد الرحمن الثالث على تمرد وفتنة ابن حفصون وابنائه في الاندلس.

ويرى العبادي[3] ان اجراء الناصر في اتخاذ سمة الخلافة يدل على بعد نظره السياسي، وعمق استيعابه لابعاد المرحلة وطبيعة ضروراتها فلقد كان هنالك صراعاً بينهم وبين العبيديين لم يعد مناسباً ان تبقى الاندلس امارة اذ ان التأثير المعنوي والنفسي على الناس تأتي لسمة الخلافة وليس للامارة.

فضلاً عن رغبة اهل الاندلس في ان يكون عبد الرحمن خليفة للمسلمين ولقبوه أمير المؤمنين والناصر لدين الله حيث كانوا يخاطبونه بذلك قبل اعلان

=

ثم قال له: وبعد: فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لهجوناك والسلام.

ينظر: النجوم الزاهرة، 4/ 149.

يذكر المقري في كتابه نفح الطيب، 5/ 98. نصاً مطابقاً لذلك، بينما ابن خلكان يورد الرسالة وحدها دون الاشعار. ينظر: وفيات الاعيان، 5/ 9.

(1) عنان، دولة الاسلام، 2/ 449.

(2) بيضون، الدولة العربية، ص296.

(3) العبادي، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الاندلس، مطبعة السعادة بمصر، (القاهرة، 1958)، ص136.

الامر رسميا، وكذلك امر الناصر باثبات عبارة الناصر لدين الله امير المؤمنين في اعلامه وطرازه ودنانيره ودراهمه ونفذ الامر بذلك[1].

كما وان هذه الصفة تعد طموحاً لشخصية الناصر وذلك لاعادة مجد اسرته ولذلك شعر انه احق من غيره في اتخاذ لقب الخليفة وانه سليل اسرة اصيلة لم تكن منتحلة او طارئة على لقب الخلافة وان هذا الاسم الذي هو بالحقيقة له ولغيره بالاستعارة، وهو ابن امراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين والائمة المتقين القائمين بالحق السالكين سبيل الرشد[2].

لذلك انفذ عبد الرحمن الناصر مرسوماً اصدره في صورة خطاب موجه الى جميع ولاة الاندلس يلقب نفسه بامير المؤمنين ويطلب الا يخاطب الا بذلك وذلك سنة 316هـ[3]. وهو خطاباً ذات توجيه سياسي فضلاً عن كونه ديني.

---

(1) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص168-171؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص300-301؛ خليل ابراهيم السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص156ـ157.

(2) ابن حيان، المقتبس، 5/ 241؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 297.

(3) لقد اختلف المؤرخون في تاريخ اعلان عبدالرحمن الناصر خلافته فقد قال: المقري ان تاريخ اعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الثالث سنة 317هـ على اساس انه تلقب بعد وفاة الخليفة المقتدر العباسي سنة 317. ينظر نفح الطيب، 1/ 33.

لكن الثابت ان وفاة المقتدر سنة 320هـ ينظر: القلقشندي، مآثر الانافة، 1/ 275. ويؤيد الحميدي والضبي وابن سعيد والمراكشي المقري في ذكر اعلان الخلافة 317هـ. ينظر: جذوة المقتبس، ص12-13؛ بغية الملتمس، ص17؛ المغرب، 1/ 177؛ المعجب، ص54. في حين اخطأ كل من ابن الاثير وابن خلدون في التاريخ فذكروا ان سنة اعلان الناصر للخلافة كان في عام 327هـ. ينظر: الكامل، 8/ 535؛ العبر، 4/ 137.

=

بسم الله الرحمن الرحيم: اما بعد فانا احق من استوفى حقه، واجدر من استكمل خطه، وليس من كرامة الله ما البسه، للذي فضلنا الله به، واظهر اثرتنا فيه، ورفع سلطاننا اليه، ويسر على ايدينا ادراكه، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي اشاد في الافاق من ذكرنا، وعلو امرنا، واعلن من رجاء العاملين بنا، واعاد من انحرافهم الينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والانعام بما انعم به، واهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد راينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لايستحقه، وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق اضعناه واسم ثابت اسقطناه، فأمر الخطيب بموضعك ان يقول به، واجر مخاطباتك لنا عليه ان شاء الله. والله المستعان. وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ[1].

وهكذا فقد تحول النظام السائد في الاندلس من الامارة الى الخلافة، واصبح عبد الرحمن الثالث اول خليفة للدولة العربية الاسلامية الاموية في الاندلس سنة 316هـ/ 929م، واضيفت الى اسمه فاصبح يلقب أمير المؤمنين الناصر لدين الله واللقب الاكثر شيوعاً له هو الناصر، او عبد الرحمن الناصر. ولم

= ويذكر كل من ابن حيان وابن عذاري وابن الخطيب ومؤلف مجهول ان اعلان الخلافة هو 316هـ/ 928م. المقتبس، 5/ 241؛ البيان المغرب، 2/ 236؛ اعمال الاعلام، ص29؛ ذكر بلاد الأندلس، 2/ 161.

(1) ابن عذاري، البيان ،2/ 198- 199؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص30؛ عنان، دولة الاسلام، ص340؛ حايك، الناصر لدين الله، ص73؛ سالم، تاريخ المسلمين في الاندلس، ص319؛ حمادة، الوثائق، 161- 162.

يواجه الناصر باعلانه الخلافة لا في الاندلس ولا من جانب الخلفاء العباسيين اذ لايوجد رد فعل سياسي تجاهه اذ كان اعلانه انفصالاً تاماً عن الخلافة العباسية واصبح حاكماً مستقلاً في بلاده وطمح ان يأخذ من العباسيين الناحيتين الروحية والدينية[1].

وفي السنة نفسها امر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم فاتخذت هناك على رسمه، وذلك بعد ان اعلن الخلافة فقام الضرب فيها من لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة[2].

وهذا من التوجهات السياسية الهامة للاندلس في تأكيد شخصيتها السياسية القوية وهذا مشابه لما احدثته عملية التعريب لبني امية في المشرق مع اختلاف الامر اذ جاء ضرب السكة بالنسبة للناصر موجهاً ضد العباسيين في المشرق والعبيديين في المغرب العربي، بينما كان عند بني امية في المشرق موجه ضد البيزنطيين[3]. فضلاً عن كونه ذو طابع اقتصادي.

---

(1) ينظر: ابن الخطيب، اعمال، ص29؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 198؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 330؛ ابن حزم، نقط العروس، 2/ 194؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص61؛ بيضون، الدولة العربية، ص296.

وحول العلاقات مع العباسيين ينظر تفاصيل ذلك: الراشد، عبد الجليل عبدالرضا، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والاندلسية في القرنين الثاني والثالث الهجري، (الرياض، 1389هـ- 1969م).

(2) ابن حيان، المقتبس، 5/ 243.

(3) ضرب عبد الملك بن مروان النقود على الوزن الشرعي سنة (74هـ/ 693م) قبلها اهل
=

أعلن الخليفة الأندلسي الناصر سياسته الدينية والدنيوية وحث أهل الأندلس على العمل الصالح واحترام تعاليم الإسلام وتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى والرسول الكريم (ﷺ)، ونصحهم للسير في الطريق المستقيم، الذي يخدم العدل والحق والإنسانية، ففي إحدى الخطب التي ألقاها الخليفة عام 340هـ/ 951م والتوصيات التي أعلنها والتوجيهات التي قدمها للرعية التي قرأت في المسجد الجامع في قرطبة والزهراء والتوصيات التي وجهت إلى الوزير صاحب المدينة بإنكاره لما ابتدعه المبتدعون وشذ فيه الخارجون عن رأى الجماعة المتمون إلى صحبة (المتمرد) محمد بن عبدالله ابن مسرة الجبلي[1] وانتحلوه في الديانة،

= المدينة فبنى دار لضرب النقود ومنع من ضربها خارج دور ضرب الحكومة، وبذلك وضع أسس الإصلاح، حيث عرف بعد ذلك الشارات الاسلامية وهو بلا تاريخ ويحتمل انه ضرب سنة 76- 77 هـ/ 695-696م حيث رفعت صورة الامبراطور البزينطي ووضعت مكانها صورة الخليفة عبد الملك بن مروان، وفي أواخر سنة (77هـ/ 696م) ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دنانير على الطراز الإسلامي المستقل تماماً وأستمر ذلك حتى نهاية الدولة الأموية. وهذه التوجهات السياسية لها الاثر البالغ في سياسة الدولة.

ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه: د. صلاح الدين المنجد، دار طباعة مكتبة النهضة العربية، (القاهرة، 1956)، ص452-453؛ فهمي، عبد الرحمن، فجر السكه العربية، (القاهرة، 1965)، ص 47.

(1) ولد ابن مسرة في قرطبة سنة 269هـ في عهد الامير الاموي محمد بن عبدالرحمن، وكان ابوه عبدالله بن مسرة رجلاً متعلماً روى الحديث، وكان متمتعاً بشهرة كبيرة في مكة، اذ قام برحلة الى المشرق مرتين ولاسيما البصرة حيث تردد على اوساط المعتزلة، حسبما اورده لنا صاحب كتاب تاريخ علماء الاندلس ويذهب ابن الفرضي الى انه قد اخذ =

=

العلم، اثناء اقامته بالمشرق، على يد مئة وخمسة وسبعين معلماً في بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من الامصار الاسلامية وله الفضل في جعل الاندلس داراً للحديث. وانه كان يميل الى ايراد حكايات الاولياء، وهذا مايقره كاتب الديباج المذهب اذ يقول: لم يختلف احد من شيوخنا في ان ابن وضاح كان معلم اهل الاندلس العلم والزهد. ان فكر ابن مسرة عبارة عن تركيب للمبادئ المعتزلية المتعلقة بالوحدة الالهية، والعدل الالهي، والقدرية مع النظريات والتطبيقات الصوفية، لكن الشكل الذي اتبعه في تفصيلها، اذ كنا نثق في الشهادات التي وصلتنا، هو شكل شخصي واصيل. لقد اصبح المذهب المسري يشكل القاعدة الاساسية لفكر المتصوفة الجدلي بالاندلس، واثر بشكل بارز في المدرسة التي اسماها اسين بلاثيوس بـ (المدرسة الالميرية) والتي اكتسبت نواتها الاساسية من المرية. والراجح ان مؤلفات ابن مسرة ثلاثة كتب: كتاب التبصرة وكتاب الحروف وكتاب التوحيد. لقد كانت عقيدة ابن مسرة له تأويلات متضاربة تضارباً يصل حد التناقض فصاعد الاندلسي والقفطي وابن ابي اصيبعة يقدمون ابن مسرة على انه فيلسوف باطني، بينما ينسب اليه الحميدي اشارات صوفية، اما ابن الفرضي وابن حيان فيعزوان اليه افكاراً معتزلية ويذهبان الى ان يحبذ حرية الارادة ويؤمن بالثواب والعقاب وينكر الشفاعة، ويجزم ان العلم الالهي حادث ومخلوق. ويشير ابن حزم اشارات نفيسة حول المسرية وعصرها والانشقاقات التي احدثتها اطروحات اسماعيل الرعيني في صميمها، لقد كان هذا الاخير يعد نفسه خليفة الشيخ الجبلي والشارح المؤتمن على تصانيفه يقال انه نصّب نفسه اماماً وطالب مريديه بدفع الزكاة وكان يلح بخاصة على ان العرش هو الذي يسير العالم، لان الله اسمى من ان يمارس الافعال كان ينسب هذه النظرية الى ابن مسرة مدللاً على ذلك بمقاطع من كتبه وكان الرعيني يقول للذين ينكرون عليه هذا التأويل: انكم لم تفهموا ما اراد الشيخ بقوله، فضلاً عن الرعيني كان يؤمن بامكانية اكتساب النبوة مستنداً في ذلك على اقوال ابن مسرة، وهي اقوال يجزم ابن حزم بانها وردت في كتبه فعلاً. كيف نفسر والحال هذه الاراء المتضاربة حول الشيخ الجبلي ومذهبه الذي يدمجه البعض في الفلسفة ويلحقه البعض الآخر بالتصوف. توفي ابن مسرة في سنة

=

فاخترعوا للعوام بما أظهروه من التقشف في الزي والتشظف في المعيشة واستتروا

=

319هـ بعد ان ترك اثاراً واضحة في الاندلس مما حدا بالفقهاء ان يشنوا حملة شعواء ضد المدرسة المسرية اعتباراً من عام 340هـ وساعدتهم السلطات الرسمية، الا ان رعاية هذه المدرسة رجعت في عهد الخليفة الحكم نظراً لسياسته المتسامحة مع المفكرين.ان ابن مسرة بفضل كتبه واعماله كانت تتداول في اوساط المتصوفة بشكل خاص، وتعد من المصادر الاولية للتصوف الاندلسي، فضلاً عَمّا اخذوه من متصوفة المشرق. وبقيت تعاليمه على مدى عشرين عاماً بعد وفاته، فثار الفقهاء والعلماء ضد هذه التعاليم ورفعوها الى الخليفة عبد الرحمن الناصر، فاصدر منشوراً ضد ابن مسرة وتعاليمه وقد انفذه الخليفة الى كل الافاق.

ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص، 306، 895؛ ابن حيان، المقتبس، 5/ ص20-36؛ ابن حزم القرطبي، الفصل في الملل والاهواء والنحل، 4/ 198؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص58؛ صاعد الاندلسي، ابو القاسم (ت 462هـ)، طبقات الامم، نشر: لويس اليسوعي، (النجف، 1967)، ص 20-21؛ القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي (646هـ)، تاريخ الحكماء، تح: جوليوس ليبرت، (ليبزك، 1903)، ص 60؛ ابن الابار، التكملة، 1/ 385؛ ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد (ت668هـ)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزار رضا، (بيروت، 1965)، ص32؛ ابن فرحون، برهان الدين بن ابراهيم بن علي (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: الدكتور محمد الاحمدي ابو النور، (القاهرة، 1974)، 1/ 204؛ هيرناندیس، ميغيل كروز، الفكر الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية (دراسة شاملة)، مركز دراسات الوحدة العربية، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت، 1999)، 2/ 1090؛ هيكل، احمد، الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، (القاهرة، 1979)، ص191؛ عنان، دولة الاسلام، ص708- 710.

للمقارنة بين الاراء المسندة الى ابن مسرة ينظر: كمال ابراهيم جعفر، "مؤلفات ابن مسرة"، مجلة كلية التربية، مصر، السنة 3، لسنة 1973، ص27_37

لبدعتهم بسكنى الأطراف البعيدة حتى استمالوا بفعلهم عصابة ضلت بضلالتهم وفرقة فتنت بمذاهبهم[1]. فانفذ الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الى آفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة كتاباً طويلاً قرئ عليهم بامصارهم[2].

والملاحظ في توجيه الناصر لدين الله في هذا التوجه السياسي الديني والدنيوي له اراد المحافظة على مذهب الدولة الرسمي وهو المذهب المالكي[3]

---

(1) ابن حيان، المقتبس، 5/ 24- 25، ص 33 تختلف الآراء في مذهب ابن مسرة، فيذكر الفقيه ابن حارث الخشني صاحب كتاب قضاة قرطبة ان الناس فيه فرقتان فرقة تفضله وتبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد والمعرفة، وفرقة تبعد عن ذلك وطعن عليه بالبدع؛ عنان، دولة الإسلام، ج1/ 393. انظر ملحق رقم (2).

(2) ابن حيان، المقتبس، 5/ 26-29؛ عنان، دولة الاسلام، ص708-710؛ حمادة، الوثائق السياسية، 175- 180. وهذا النص من انشاء الوزير الكاتب عبدالرحمن ابن عبدالله الزجالي، كتبه بامر من الخليفة الناصر.

(3) اعتنق اهل الاندلس في بادئ الامر المذهب الاوزاعي نسبة الى الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي (ولد في بعلبك سنة 88هـ/ 707م وتوفي في بيروت 157هـ/ 774م) ثم اعتنقوا بعده المذهب المالكي (نسبة الى الامام مالك بن انس امام المدينة المنورة وصاحب كتاب الموطا في الحديث) وذلك في عهد الامير الحكم الربضي كما جاء في النص التالي: "كان اهل الاندلس من حين استفتاحها الى مدة الخليفة الحكم بن هشام على راي الاوزاعي ومذهبه، اقاموا على ذلك مدة من مائة سنة وعشر سنين ثم تحولوا عن ذلك الى راي مالك بن انس ومذهب اهل المدينة، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة وغمر بلاد الاندلس، وذلك برأي الحكم واختياره" ينظر: مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 125؛ ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 84، ص129-130؛ المقري، نفح، 1/ 217-218.

في حين تذكر بعض الروايات ان زياد بن عبدالرحمن وصف للامير هشام بن عبدالرحمن =

ولما رآى ان هذه الفرقة قد اخذت تشق صفوف المسلمين هناك باراء بعيدة عن الدين وحتى لايحدث ان تصبح بالاندلس عدة مذاهب اراد الناصر ان يحافظ على الدولة بان لاتكون هنالك فرق اخرى تنادي باراء مبتدعه واراد الالتزام بمذهب اهل المدينة. فلذلك اوعز الى ان ينفذ كتابه الى كل الاقطار ليتحصنوا من هذا المذهب فضلاً عن كونه تهديداً لسياسة واركان الدولة فهو قد رآه يشكل خطراً على وحدة البلاد لابد من استئصاله ومطاردة مناديه في كل بقاع الاندلس.

وهذا مايؤكد ايضاً ان سياسة الناصر كانت حازمة وهذا مااشتهر فيه في فلسفته الخاصة في الحكم، والتي فسرها من وجهة نظره في حديث له مع وزرائه عند تقويمه سياسة جده الامير عبدالله بقوله: أعلمتم ان الامير عبدالله جدي بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها، والحمال في شحن مايحمله، والدلال من ثمن ماينادي عليه، اضاع كبار الامور ومهماتها، والنظر في حروبه، ومدارة المتوثبين عليه، حتى اضطرمت جزيرة الاندلس، وكادت الدولة الا يبقى لها رسم واي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر منه امين سوق الغزل، واضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران[1].

= للامام مالك ﷺ قال نسأل الله ان يزين موسمنا بمثل هذا، وفي رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم او كلاماً هذا معناه فبلغ هشاماً ماقاله مالك مع مابلغه من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في انتشار مذهب الامام مالك.

ينظر: دحلان، الفتوحات الاسلامية، ج1/ 408؛ بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ص224؛ السامرائي خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب، ص315.

(1) ابن سعيد، المغرب، 1/ 180.

وقول الناصر هذا يبين اسس الادارة الصحيحة التي كان يراها، أي بمعنى اراد ان يمارس كل رجل دولة مهامه الخاص به، وهذا ما اكدته الاحداث حين سار بالاندلس بسياسة واضحة المعالم من خلال شخصيته وممارسته الفعلية للسلطة، ومن خلال توصياته وتوجيهاته سواء على صعيد السياسة او الحرب.

والملاحظ ان الناصر ادرك ان سياسة المهادنة والمحاباة التي اتبعها جده الامير عبدالله مع الزعماء الخارجين على السلطة اذ لم يبق من الدولة سوى قرطبة[1] من هنا جاءت سياسته رافضة لكل شكل من اشكال التهاون واللين مع المتمردين.

ويذكر عن الناصر انه لم يكن يجلس للنظر في المظالم كما فعل جده الامير عبد الله، بل كان يولي هذه الامور الى رجال للدولة يرفعون هم الحيف عن الناس، لانه رأى ان هذا اهدار للوقت لكنه مع هذا كان يراقب عماله[2]. وهذه التوجه السياسي الذي اتبعه الناصر يختلف اختلافاً كبيراً عمن سبقوه اذ كانوا يجلسون للنظر في المظالم لذلك رأى الناصر ان واجبه اكبر من ان يجلس لذلك. وذلك للمسؤليات الجسام الجديدة التي دخلت للدولة في حقبة حكمه.

اتبع الناصر سياسة التسامح والعطف والرحمة والتعقل في اصدار اوامره ويظهر ذلك في حوادث تاريخية عديدة منها ماورد في حادثة اعتداء تعرض لها الخليفة الناصر اثناء خروجه بموكب استعراض عسكري كما ورد بالنص: "يوما في بعض مخارجه من القصر بالزهراء في موكب له رجل معتوه تكمن له في بعض

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص28؛ عنان، دولة، 2/ 275.

(2) ابن حيان، المقتبس، 3/ ص34؛ ابن سعيد المغرب، 1/ 180.

جنبات طريقه، فثار في وجهه وصاح عليه صياحا منكرا، وهرول نحوه، ومد يده الى شكائم عنانه، يريد القبض عليها، فنفر الفرس الذي كان تحته، واقعى على مؤخرة، فكاد يلقي عنه الخليفة لولا جودة واستمساكه على سرجه، فابتدر المعتوه اكابر فتيانه الصقلابة الحافون به يحسبونه خارجيا قصده، فخبطوه باسيافهم، ووخزوه باستتهم، فقتلوه، والناصر مشتغل بدهشته. فلما عاين اسراعهم وعرف بافته وحمقه ساء شديدا وانساه دهشه، وسب الخصيان واغلظ لهم وهم بهم وامر بالسؤال عن اولياء هذا المقتول، فوداه لهم، وتعهدهم بالاحسان طيلة حياته"[1].

لقد نجح الناصر في سياسته هذه نجاحاً باهراً، فتمكن من تذليل المشاكل وتسهيل الصعاب، واستطاع اخماد الفتن والقضاء على التمردات التي تأججت نارها في مدن بلاد الاندلس وكورها[2]، وصفى خصومه السياسين ومهد لنفسه الامارة ثم الخلافة فدانت له البلاد واذعنت صاغرة لقيادته الحكيمة.

وصيته وولاية العهد:

لم يترك الناصر وصية لولي عهده الحكم، ويشير ابن حيان[3] اثناء اشارته

---

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 57، ص92.

(2) اورد لنا المؤرخ ابن حيان القرطبي اخبارا مفصلة عن التمردات الداخلية في المدن الاندلسية والحملات التي قام بها الناصر للقضاء عليها وفتح مدن وحصون الصوائف والشواتي السنوية وتعرف تلك الحملات باسماء المدن والحصون في الحملات المفتوحة والمحررة. المقتبس، ج5/ 101.

(3) المقتبس، 5/ 102.

الى ولادة الحكم النص الاتي أثير اولاده الذي اختاره من جماعتهم وولاه عهده وهذا يؤكد لنا بان والده ولاه العهد في يوم ولادته.

وتشير النصوص الى ان الناصر لدين الله كان شديداً حازماً في الامور التي تمس امن الدولة وسلامتها فلذلك لم يتردد في انزال اقصى العقوبات لمن حاول ان يزعزع الحكم او انه ينحرف عن طريقه المستقيم، حتى لو كان اقرب الناس اليه، ويذكر ان ولده عبدالله اراد خلعه وقد دخلت جماعة معه في ذلك، وكان السبب المباشر ان الناصر عهد للحكم بولاية العهد وفضله عليه، فلم يتوان الناصر من قتل ابنه عبدالله وكل من جاء معه لهذا الامر وكان ذلك سنة 338هـ/ 949م[1].

ان ماذهبنا اليه لذكر هاتين الحادثتين لتأكيد ان ولاية العهد كان قد اعطاها الناصر لولده الحكم من بعده، فضلاً عن اشارتنا انه كان قد وضع له افضل المؤدبين من العلماء، كما واسند له بعض المهام الرسمية. مع انه ليس من المعقول ان يترك الناصر ولاية العهد بلا وصية لانه كان حازماً جداً حتى مع ابنائه في الامور التي تمس سياسة وكيان وأمن الدولة بحيث لاتأخذه في ذلك لومة لائم ولايخشى في ذلك احداً من الناس سواء كان قريباً ام بعيداً ومعلوم ان اكثر امر يمس كيان وامن الدولة هو الامارة فأذية الامارة بسوء انما هو اذية للدولة جمعاء وترك الامارة بلا ولاية للعهد يجعل الامور فيها فوضى. ومما يدلل ايضاً على انه قد وصّى بالامارة ان تسلم ابنه الحكم الامارة كان بعد وفاة والده بيوم واحد كما سيأتي.

---

(1) ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 206؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص39؛ ادهم، علي، عبدالرحمن الناصر، دار القدس، (بيروت، بلا.ت)، ص193.

ففي مستهل سنة 349هـ/ 960، اصابت الخليفة الناصر علة على اثر تلقيه برد شديد اصابه، فاجتجب مدة ما ثم واكب الاطباء علاجه حتى خفت حدة المرض، ثم عاد لمزاولة مهامه في القصر، واستبشر الناس لذلك، لكنه عاد بعدها وانتكس مما لبث شهراً تشتد تارة وتارة اخرى تخف من وطأتها[1]. حتى جاءه الاجل في الثاني من شهر رمضان سنة 350هـ/ 961م[2]، بعد ان حكم خمسين سنة ونصف[3]، اذ كان عمره ثلاثة وسبعين عاماً[4]، وقد دفن في قصر قرطبه مع اسلافه من بني امية، وصلى عليه ولي عهده ابنه الحكم[5].

بذل الناصر جهودا كبيرة في متابعة دولته ولم يخلد الى راحة وكان يتشرف بنفسه على الانجازات العامة طيلة مدة حكمه نحو نصف قرن وقد صرح لنا الخليفة بنفسه عن ايام راحته وسروره في حكمه خلال اكثر من نصف قرن بقوله أيام السرور التي صفت لي من غير تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، وكرر التواريخ، فعدت، فكل ماوجد منها اربعة عشر يوماً بطولها خمسين سنة ونصف، وكذا حال الدنيا لمن اعتبرها، وموازينها لمن اختبرها[6].

---

(1) عنان، دولة الاسلام، 2/ 459؛ ادهم، عبد الرحمن الناصر، ص199.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص7؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص13؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 197.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 234؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 356.

(4) ابن الخطيب، اعمال، ص40.

(5) النويري، نهاية الارب، 22/ 62؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 168.

(6) ابن عذاري، البيان، 2/ 232؛ المقري، ازهار، 2/ 282؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص40.

عهد الحكم المستنصر 350- 366هـ/961- 976م.

ولد الحكم بن الناصر لدين الله في يوم الجمعة من رجب سنة 302هـ وسمي بالمستنصر بالله وتكنى ابا العاصي[1] امتدحت المصادر الحكم المستنصر واثنت عليه لمكانته في تثبيت اركان الدولة واهتمامه بامور عامة الناس[2].

---

(1) ابن حيان، المقتبس، 5/ 101.

(2) اذ اكدت انه "من أهل الدين والفضل والورع، ومن أعدل الملوك وأتقاهم وأعلمهم وأحلمهم واحمدهم وأحسنهم سيرة وارفعهم قدراً وأعلاهم ذكراً. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 169.

أكد ابن الخطيب الغرناطي على حسن سيرة الخليفة الحكم المستنصر بالله وأشاد بعدله ومروءته وعطفه وحبه للعلم والعلماء وبثقافته وولعه بقوله "كان عالماً فقيهاً بالمذاهب إماماً في معرفة الأنساب، حافظاً للتاريخ جماعاً للكتب متميزاً للرجال من كل عالم وجيل... واليه انتهت الابهة والجلالة والعلم والأصالة والآثار الباقية والحسنات الراقية". أعمال الأعلام، ص 41- 42.

اتصف الخليفة الحكم الثاني بمواقفه الإنسانية في مساعدة الرعية والعطف عليهم وله مواقف عادلة في حوادث عديدة منها في عام 353هـ/ 964م إذ تعرضت مدينة قرطبة قاعدة الخلافة الى قحط فتكفل الخليفة بمساعدة الضعفاء والمساكين، وأجرى نفقاته عليهم في كل ارباض قرطبة والزهراء، وتوجه الرعية له بالدعاء والرحمة شاكرين رعايته الكريمة. وسعى إلى التخفيف عن كاهل الرعية ورفع الضرائب عنهم لثقلها المالي عليهم، ويذكر انه في عام 364هـ/ 974م "أسقط الحكم سدس جيع المغارم عن الرعايا بجميع كور الأندلس، شكراً لله على أنظاره له" وتابع الخليفة الأندلسي المستنصر بالله رعاية الفقراء وايجاد مورد مالي يقتاتون عليه وهو مظهر مهم لعدالة الحاكم وعطفه ورحمته على رعيته وهذا ما اكسبه رضى الله تعالى ورسوله الكريم (ﷺ) ويذكر ان الخليفة حبس حوانيت السراجين للجلود بقرطبة وإيجارها على المعلمين الذين يعلمون أولاد الضعفاء عوضاً عن دفع =

ولما توفي الناصر لدين الله، ولي الخلافة من بعده ابنه الحكم المستنصر

= الرواتب لهم من بيت مال المسلمين وذلك في عام 364هـ/ 974م. ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 249، 256.

امتاز الخليفة الحكم الثاني بخصاله الحميدة واحترامه لفئات المجتمع، فقد التفت الى العبيد في المجتمع الأندلسي كما أكده الإسلام في تحرير الرقاب ففي سنة 364هـ/ 974 قام الخليفة بعتق وتحرير رقاب عدد من العبيد و "انفذ الخليفة إعتاق جمع كثير من عبيد له وإماء تنيف على مائة رقبة ...عقدت الوثائق المحكمة العقد لبعضهم" وكان التحرير للعبيد بحضور الخليفة الحكم الثاني وابنه هشام ووزرائه وقاضي الجماعة والفقهاء وأهل الشورى. عنان، دولة الإسلام، 1/ 464.

قال عنه المؤرخون ان الحكم بن عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمستنصر بالله "من اهل الدين والفضل والورع، ومن اعدل الملوك واتقاهم واعلمهم واحلمهم واحسنهم سيرة وارفعهم قدرا واعلاهم ذكرا، وكان معتنيا بالعلم مقتنيا بالدفاتير مستجلبا للرواة مواظبا للجهاد مؤيدا منصورا لم تلحق الرعية في ايامه مذلة ولا نالتهم مظلمة، وكان مع ذلك عالما ثبتا ذاكيا وافيا وكان فقيها في المذاهب عالما بالانساب او السير حافظا للتواريخ عارفا بايام الناس جمع اهل العلم من كل مصر" مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 169.

فهذه الصفات العلية ليست جديدة على بني امية كيف لا، وجدهم عمر بن عبدالعزيز الذي كان يضرب به المثل في الزهد والعدل فكانت نفقته التي يأخذها من بيت المال كل يوم درهمين وقال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن العزيز وهو خليفة باثني عشر درهماً لفة وقميصه ورداؤه وقباؤه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفاه وكان يلبس القميص مرقعاً كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ابو امية الخصي غلام عمر: دخلت يوماً على مولاتي فغذتني عدساً فقلت لها كل يوم عدس فقالت يابني هذا طعام ملاك امير المؤمنين. ينظر: دحلان، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، 2/ 518.

وذلك في الثالث من رمضان سنة 350هـ/ 961م[1]، وقد تميز الحكم المستنصر بصفات جعلته يقود الدولة في نفس سياقها السابق والذي رسم على عهد ابيه الناصر، وهذا من الطبيعي لان الحكم المستنصر عاش معظم حياته قريباً من والده، اذ كان يحضر مجالسه واوكل اليه ابيه ادارة شؤون الدولة في امورها كثيراً. واتبع الخليفة سياسة والده الناصر في التعامل مع احداث داخل الاندلس وخارجه الا ان سياسته امتازت بالميل الى السلم بعض الاحيان.

سعى الخليفة إلى محاسبة ولاته وعماله وإنزال العقوبة بهم من اجل إثبات عدله وإخلاصه وحمايته للرعية كما يذكر الخبر "أوقع الحكم بالعمال ونكلهم وأخذهم بجورهم وظلمهم وكتب بتعنيفهم كتاب منه "أما بعد فان الله جل ثناؤه لا يظلم مثقال ذرة ولا يقوى الظالم وهو الكفيل بنصر المظلوم وقد اعد للظالمين عذاباً أليماً، وقد علمتم عنايتنا بالمسلمين وحفظهم حفيظتنا بالعياد والعباد فاحفظتموها إلى العنف والاستبداد وحماكم السخف المركب منكم ووصيتنا بالداني والقاصّي والمطيع والعاصي ونبذتم بالعراء امرنا فلتراجع التوبة عما انتم سببه من الجور واثبتوا العدل، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام[2].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص40.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، 1/ 172؛ عنان، دولة الإسلام، 1/ 461.

فالامير المستنصر بالله كان منفذاً لوصية النبي ﷺ العظيمة وهي قوله ﷺ: "أنصر اخاك ظالماً او مظلوماً فقال رجل: يارسول الله انصره اذا كان مظلوماً افرأيت اذا كان ظالماً كيف انصره. قال تحجزه او تمنعه من الظلم فان ذلك نصره" رواه البخاري، صحيح البخاري، 2/ 863.
=

لذلك كانت توجيهاته متجه نحو مسألتين هما كيفية التعامل مع عدوة المغرب ونشاط العبيديين هناك اذ كانت السيادة قائمة على مبدأ المنافسة بين قبائل صنهاجة وزناته وضرب بعضها ببعض... واخيراً تمكنت صنهاجة... من بسط سيطرتها باسم الفاطميين (العبيديين) على جميع النصف الشرقي من المغرب، اما القسم الغربي من نهر ملوية الى طنجة فقد سيطرت عليه زناتة حليفة الامويين وهكذا حدث نوع من توازن القوى بين الخلافتين المتنازعتين

= فهذه الوصية لو نفذناها جميعاً نحن المسلمين لما رأينا ظالماً او مظلوماً ولساد العدل في كل مكان على وجه الارض التي لن تعمر الا بالعدل الذي هو اهم دعامة للامن والاستقرار في كل مكان شاء الله تعالى ان يكون فيه خلق من بني الإنسان الذين كان من الواجب عليهم ان يكونوا عكس الجن الذين خلقوا قبلهم بالآف السنين فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء بدليل قول الملائكة لرب العزة سبحانه وتعال عندما قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: الاية 30. قالوا هذا لانهم رأوا هذا من الجن الذين خلقوا كما اشرت قبل الانس بدليل تقديمهم في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذريات: الاية56 وقوله تعالى ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ سورة الأنعام: الاية130. وقوله تعالى ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ سورة الرحمن: الاية 33. فالتقديم بالآيات تقديم اسبقية لاتقديم افضلية.

وحلفائهما في المغرب[1].

لذلك كانت مشكلة الادارسة حلفاء العبيديين في شمال افريقيا هي من اول المشاكل التى اخذت طريقها في عملية اهتمام الحكم المستنصر في المحافظة على قوة دولته بعد ان ذلل ابوه الناصر كل الصعاب بفتحه الحصون والسيطرة على بلاد الاندلس وكورها، وقد رفع مولى الحكم المستنصر غالب طلباً اليه لجعله قائداً على الجيش، مما اعطاه الموافقة ووجه الى الوزراء هذا ماتضمنه غالب لنا بلسانه، وابانه عندنا وبين ايدينا ضامناً، ثم خطه بيمنه في كتابنا هذا، وقد قبلناه وامضيناه ورضيناه واجزناه فليلزم توقيعنا هذا ويستقر في البيت عندكم، ان شاء الله، ورأينا ان نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه، فلا يخاطب من الان الا به تشريفاً له، ان شاء الله. والله المستعان[2].

يبدو من خلال النص اعلاه ان الحكم المستنصر اوصى وبلغ بتعيين غالب على رأس الجيش، جاء من خلال مسألتين القوة والامانة، قال الله عز وجل ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[3]، والقوة في امارة الحرب ترجع الى شجاعة القلب والى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فان الحرب خدعة، والقدرة على انواع القتال ولان الاندلس كانت محاطة بالنصارى اعداء الاسلام، وبعض الخارجين على الخلافة، لابد من ان يكون اختياره لمولاه غالب على هذا النحو، فضلاً عن ذلك اراد ان يكون على رأس الجيش من هو قادر على السير بالجند

(1) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص114.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص 69.

(3) سورة القصص، جزء من الاية 26.

نحو تحقيق الانتصارات العسكرية، وبقيادة حكيمة، مطبقاً قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

ويذكر لنا عنان[2] ان الحسن بن قنون اصبح خطراً على الحكم المستنصر لانه حسني ويعمل حليفاً للمعز لدين الله الفاطمي في المغرب الاقصى، ومن بعده حليفاً لابنه العزيز بالله، وقد حارب جيوش الخليفة الاموي الحكم، وانتصر في بعض المعارك، فاقترح على عبدالرحمن بن يوسف قائد ثغر اصيلا في المغرب الصلح وتبادل الرهائن، مما حدا بعبدالرحمن ارسال اقتراح الثائر الى الحكم

(1) سورة الانفال، الاية 60 .

(2) دولة الاسلام، ص496.

في حين يذكر ابن حيان في مقتبسه النص الاتي بزيادة ونصه: أما بعد: فقد بلغ امير المؤمنين كتابك تذكر فيه ما اتاك به حمود بن محمد وحنون بن سروح ويحيى السراقة، من اتباع الملحد اهلكه الله عند خروجك لملازمة الطلائع، على عادتك، من استئذانهم اياك، في القرب منك، والمشافهة لك، وانك اجبتهم الى ذلك وفهمت منهم ما ابلغوك من رغبته في الانابة، وقد ضرب الله تعالى بينه وبينها بسور من الخذلان، قطع به دونها في حينها واوان قبولها، ليقضي الله امراً كان مفعولا. كيف يذهب الان هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر، وفي دينه مستبصر، ولكم في كل ايامه محارب؟ هذا هو الضلال، والمحال عين المحال، وسبب الخبال، وقد رأى امير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من اصر اصراره وتمادى تماديه، الى ان يحكم الله عليه ويفتح فيه، وهو خير الفاتحين لاشريك له. فلا يتعرض احدكم لمقاولة احد ممن يأتي معه، فانظروا في امركم، وجدوا في تثقيف ماله قدمتم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم، وتآلف بصائركم، وتضافر ايديكم، ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والله المستعان لارب سواه. تح: الحجي، ص 98.

فاجابه الحكم بمايلي: كيف يذهب الان هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر، وفي دينه مستبصر، ولكم في كل ايامه محارب؟ هذا هو الضلال، والمحال عين المحال، وسبب الخبال، وقد رأى امير المؤمنين تأمين جميع الناس لدى غيره من اصر اصراره وتمادى تماديه، الى ان يحكم الله عليه ويفتح فيه.

فالحسن بن قنون كان متسبباً في اخطار تهدد استقرار الدولة مما ادى بالحكم المستنصر الى ان يحذر منه وحذره منه كان واضحاً وجلياً من خلال وصية وجهها الى قائده في اصيلا عبدالرحمن بن يوسف اذ قال له ان افضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم، وادراع التحفظ واستنصاح الاتهام، واذكاء العيون[1] وبث الجواسيس والاستكثار منهم، ومن حملة الاخبار، حتى لايخفى لحسن- اهلكه الله- حركة ولايتوارى له مذهب[2].

---

(1) يجوز للامام ان يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين يبثهم بين الاعداء ليكتشف المسلمون خططهم واحوالهم وليتبينوا ماهم عليه من قوة في العدة والعدد ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك بل يجب اذا دعت الحاجة اليه بشرط ان لاتنطوي الوسيلة على الاضرار بمصلحة هي اهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو وربما استلزمت الوسيلة تكتماً او نوعاً من المخادعة او التحايل وكل ذلك مشروع وحسن من حيث انه واسطة لابد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم. وقد قام رسول الله ﷺ في غزوة حنين ببعث عبدالله بن ابي حدرد الاسلمي ليتجسس اخبار العدو ويأتي المسلمين بالخبر عن عددهم وعدتهم وهو مالم يقع فيه خلاف بين الائمة.

ينظر: البوطي، فقه السيرة، ص173، ص303.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص 97؛ عنان، دولة الاسلام، ص459؛ حمادة، الوثائق، ص186.

وتزايد الخطر في المغرب الاقصى اذ تزايد خطر الحسن بـن قنـون الحسـني هناك، مما قام به الحكم ان يرسل الوزير محمد بن قاسم بـن طلمـس الى المغـرب الاقصـى واوصـاه وتقـدم بتوصـيته بتقـوى الله ربـه[1]، وايقـاظ رأيـه وعزمـه، واستعمال جهده وجده في مغاورة الفاسق واخماد ناره، وامره ان متى اظهـره الله تعالى على طائفة من انصاره او المقترنـين بـه او غلـب علـى اهـل ارض ممـن في طاعته، ان يأخذ بالعفو ويؤثر الصفح، ويقبل واضـح العـذر، ويحسـن التجـاوز مذكراً حمد الله تعالى وشكره، موجباً طاعته، متحريـاً بالعـدل في سيرته، معتقـداً اعمـال حسـن النيـة في حـب السـلامة، وايثـار العافيـة، واصـلاح الـبلاد، والاستصلاح للرعية، وليحفظ من حق الله تعالى فيهم ماضيعوه، فان خير الولاة من يصلح منهم ماافسدت من انفسها الرعية بحفظ ما اضاعت من امورها، وجمع ما افترقت من شؤونها، وأمـره ان يسـتعين بمـن دخـل في طاعتـه، ووفـى بيعتـه وعهده على من ادبر عنه. فان اقبال المدبر بعد ادباره، وطاعة المطيع بعد عصاينه

---

(1) قد حرص الاسلام في عدد من الآيات والاحاديـث والاخبـار علـى الـربط بـين الجهـاد والتقوى قـال الله تعـالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران: الآية200، ذكر في شرح هذه الآية، امرك بالصـبر يـامؤمن اولاً ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة ثم حذرك مـن تركـه فقـال واتقـوا الله، وفي وصية عمر بن الخطاب ﷺ الى قائد جنده ومن معه الحض على التقـوى: أمـا بعـد: فـاني آمرك ومن معك بتقوى الله فانها افضل العدة على العدو واقوى المكيدة على الحرب.

ينظر: الخطيب، اسعد، البطولة والفداء عنـد الصـوفية، دراسـة وتقـديم الـدكتور عبـدالكريم اليافي والشيخ ياسين الخطيب والاستاذ محمد هشام برهـاني، توزيـع دار الفكـر، (الشـام، بلا. ت)، ص 89.

فتّ[1] في اعضاد اهل المعصية، وحجة على اهل المخالفة. وامره باقامة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في ارض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى، ويظفر بأهلها ومحو منها اثار الشيعة... ويعلي سنة الائمة الراشدين، حتى ينالهم من بركة ذلك وحلاوته وفضله ومنته مانال الجماعة من رعية امير المؤمنين بحول الله وقوته".

فقد تشير الوصية الى شجاعته وقوته وشدته على الخارجين المارقين وبالمقابل فقد كان شديد العفو والصفح ويقدم حسن التجاوز على انزال العقاب والقتل ممن دخلوا في الطاعة وبهذا امرت الشريعة الاسلامية بتحريم قتل النساء والاطفال والعبيد في الجهاد لانهم سرعان مايدخلون في الطاعة والدليل على ذلك ان رسول الله مرَّ في معركة حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس مجتمعون عليها فقال ماهذا؟ قالوا امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال رسول الله لبعض من معه: ادرك خالداً فقل له ان رسول الله ﷺ ينهاك ان تقتل وليداً او امرأة او عسيفاً (الاجير والعبد) وقد اتفق العلماء والائمة كلهم على ذلك ويستثنى منه ما اذا اشتركوا في القتال وباشروا في مقاتلة المسلمين فانهم يُقتلون مقبلين ويجب الاعراض عنهم مدبرين[2].

وارسل قواد الحكم اليه خطاباً يعرضون فيه ان الملحد حسن دعاهم الى الدنو لافتتاح القول في ايقاع السلم، والتنصل من الذنب والانابة الى الطاعة على

(1) فت الشيء دقه وقيل فته كسره وقيل كسره بأصابعه قال الليث الفت أن تأخذ الشيء بإصبعك.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 2/ 64.

(2) ينظر: البوطي، فقه السيرة/ ص299.

عادة اهل الشرك مع المسلمين[1]. فكان جواب الحكم وتوجيههم وارشاداته لهم نقلها لنا ابن حيان[2] فقد قال لهم: "واما مادعا اليه الان من الانابة والمراجعة والتحكيم في النفس والولد والمال والبلد، فكلمة حسنة لايدع امير المؤمنين قبولها اذا صدقها فعل وحققها برهان، احتمالاً على قول النبي ﷺ اذ اتى مكة فقال: لاتدعوني قريش الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها، واخذاً بالعفو الذي وصف الله به نفسه، واحبه من اوليائه، لكن ذلك لايكون الا بفعلة معروفة ومكشوفة، كما كان فعله ظاهراً بقتله الجند صبراً، وقذفهم في النار الجاحمة، فان كان معتقداً ما قاله، او منطوياً على صحة، مؤثراً له، راغباً في استجزال حظه من حسن رأي امير المؤمنين ورضاه وتوطين بلده لولده، وان مذهبه تمحيص مافرط، وتكفير ماسبق، والاصحار بموالاته وانقياده، اخذ البيعة على اهل بلده، وخرج مطهراً لنفسه الى باب سدته، فانه اذا اتى ذلك خرج مما دخل فيه، وفاز بالقدح المعلى، والمنزلة الكبرى عنده، وصدر عنه لابساً ثوب كرامته وغذي نعمته التي قد عرفها ولبسها".

وتوالت الاحداث اذ ان الحكم كان قراره سياسياً وعسكرياً نهائياً لابد من اجتثاث معاقل الادارسة، وقد خير قائده غالب بن عبدالرحمن بعد ان ارسله الى هناك من امرين بقوله: سر سير من لااذ ن له في الرجوع حياً الا منصوراً، او ميتاً فمعذوراً وابسط يدك في الانفاق، فان اردت نظمت لك الطريق بيننا قنطار مال[3].

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص97.

(2) المصدر نفسه، ص100.

(3) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر: بروفنسال، (الرباط، 1937)، ص8-9؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص216؛ عنان، دولة الاسلام، 2/ 496.

=

وقد دارت المعركة بين القائد غالب وبين حسن بن قنون وقد انتصر فيها والزمه الهرب وارسل يخبر الخليفة بذلك واحتلاله حصن الكرم وشحنه بالرجال، فارسل الخليفة الحكم المستنصر ارشاداته ونصائحه وتوجيهاته اليه بقوله: ... ليس يخفى عليك ان الشتاء بين يديك، والبحر دونك، وربما تعذر ركوبه، فاجعل الطعام ذخيرتك، وحفظه تجارتك، فالاموال بحمد الله موفورة، واحتمالاها في كل وقت ممكن، فمن مذهب امير المؤمنين اخراج خازن من قبله بألف ألف دينار الى سبتة يقرها هناك هناك بالقرب منك، فيسهل كل وقت انفاذ الحاجة منها اليك، فاسكن الى ذلك، واحتط في الطعام جهدك، ووطن على الصبر نفسك، ولاتمنها برجوع الى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين، ويفرق ملأ الملحدين الضالين الذين صاروا حزباً للغوي، ولو امكن وجوه اهل المسكن

= خضوع حالات الغزو او المعاهدات او الصلح بين المسلمين وغيرهم لما يسمى بالسياسة الشرعية او مايسميه بعضهم بـ (حكم الامامة) وبيان ذلك ان مشروعية فرض الجهاد من حيث الاصل تبليغي لايخضع لاي نسخ او تبديل كما ان الاصل مشروعية الصلح والمعاهدات ثابت لايجوز ابطاله او اجتثاثه من احكام الشريعة الاسلامية غير ان جزئيات الصور التطبيقية المختلفة لذلك تخضع لظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة الدين مع اخلاص في الدين وتجرد في القصد الى جانب اعتماد دائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم المختلفة. فان رأى الحاكم ان من الخير للمسلمين ان لايجابهوا اعداءهم بالحرب والقوة، وتثبّت من صلاحية رأيه بالتشاور والمذاكرة في ذلك فله ان يجنح الى سلم معهم لايصادم نصاً من النصوص الشرعية الثابتة ريثما يأتي الظرف المناسب والملائم للقتال والجهاد وله ان يحمل رعيته على القتال والدفع اذا مارأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب.

ينظر: البوطي، فقه السيرة، ص171-172.

ان يقيموا ازواجاً من البقر يزدرعون بها في الارضين المحوزة من الفاسقين بحيث لايوصلون بذلك الى اهل البلاد ضرراً، ولايلحقونهم تضييقاً، لكان ذلك من افضل مايقع بمرافقة امير المؤمنين، اذ مذهبه تعمير البلد، وتأمين اهله، وتعريفهم الا اقلاع له عن عرصته حتى تكون كلمة اهله واحدة، وايديهم مترادفة، والدين قيماً، والسنة متبعة بحول الله وقوته كذلك ضمن هذا الكتاب ما رآه الخليفة من اقامة البرد قبله، وعليه ان يرتب العسكر بمدينتي طنجة واصيلا فقال له: فتعجل باتخاذ الدواب لها، وتعهد الى الخارجين بالعسكر عنه بدفع اجر خدمته لكل شهر، والى الخازن باجراء العلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين والخدمة ان شاء الله[1].

(1) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص130.

ويبدو ان صاحب عدوة فاس قد ارسل الى الخليفة الحكم المستنصر يظهر فيها طاعته وولاه له بعد ان كان متمرداً ايضاً نتيجة معرفته ان الحكم لاتخلد له راحة الا اذا جعل ولاء عدوة المغرب العربي له وقد انفذ له جواباً على ذلك يقبل فيه معاذيره وذلك سنة 363هـ. اذ قال له: قد قبل امير المؤمنين معاذيرك، واصغى اليها، فان يرد الله عز وجل بك خيراً في عاجلتك وآجلتك يشرح صدرك لطاعة امير المؤمنين وموالاته. ينظر: المقتبس، تح: الحجي، ص126-127. نص البيعة ،ص174-175.

فقد كان الحكم المستنصر في وصيته معلماً وموجهاً والتعليم من وظائف السلطان والقائد فالنبي ﷺ انما بعثه الله معلماً وهذا المعلم المربي الكبير- ولااكبر منه معلماً في البشر- والهادي الامي البصير والرسول المبلغ المنير هو الذي تدين لتعليمه وتربيته امم كثيرة ومن تأمل حسن رعايته للعرب مع قسوة طباعهم وشدة خشونتهم وكيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم الى ان انقادوا اليه والتفوا حوله وقاتلوا امامه ودونه اعز الناس عندهم: آباءهم وأقاربهم وآثروه على انفسهم وهجروا في طاعته ورضاه احباءهم =

وقد تحقق للخليفة الحكم المستنصر ما اراده من قائده غالب وقد تمكن من احراز النصر على حسن بن قنون في مواقع عدة واخيراً تمت محاصرته في قلعة حجر النسر واجبره على الاستسلام دون شروط واقتاده الى قرطبة مع جماعة من الامراء الادارسة وكان ذلك في عام 363هـ[1].

وعند نظرتنا لمجموعة وصايا وتوجيهات الحكم المستنصر التي ذكرناها نجد انه كان في بعضها يأمر باخماد الفتن التي كانت تسبب في عدم استقرار الدولة وفي بعضها يأمر بأخذ اسباب الحرب من ارسال العيون وبث الجواسيس وغير ذلك وفي بعضها يأمر بالصفح والعفو عن الخارجين الى غير ذلك من التوجيهات المختلفة وهذا انما كان بسبب اختلاف الاحوال والاشخاص والظروف.

وبهذا النصر اعادت الدولة الاموية في الاندلس المتمثلة بخليفتها الحكم المستنصر هذه المناطق من المغرب العربي التي كانت خارجة عن طاعته وهذه لها

= واوطانهم وعشيرتهم واخوانهم وكان كل ذلك منهم له ﷺ وهو لم يمارس الكتابة والقراءة ولاطالع كتب الماضين ولا اخبار المربين السالفين من تأمل هذا تحقق له بنظر العقل انه ﷺ هو المعلم الاول والنبي المرسل وانه سيد العالمين، وهم قوم يضربون في الصحراء لايؤبه لهم عدة قرون فلما جاءهم النبي العربي اصبحوا قبلة الانظار في العلوم والعرفان وكثروا بعد القلة وعزوا بعد الذلة ولم يمض قرن حتى استضاءت اطراف الارض بعقولهم وعلومهم.

ينظر: ابو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر مكتبة المطبوعات الاسلامية، (حلب، 1417هـ- 1996)، ص 10-11.

(1) ابن عذاري، البيان، 2/ 247-248؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ)، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955)، 1/ 201.

من الاهمية وسيادة الامن للاندلس قد تحقق بفعل حسن ادارة الحكم المستنصر لهذا التمرد وهذا الصراع الذي قاده بتوجيهاته السديدة والتي تحققت بفعل استجابة القواد لها.

ووجه الحكم المستنصر بالله الى الافاق والى جميع عماله وولاته ورعيته يخبرهم بحربه في المغرب الاقصى، وظفره على الحسن بن قنون واستنزاله اياه من حصونه[1].

لقد كان الخليفة الحكم المستنصر بالله يختار لكور الاندلس عمالها ويولي عليها من يراه مناسباً لذلك وقد ذكرت لنا مصادرنا التاريخية انه كان يوجه ويرشد وينصح عماله فهذا ماذكره ابن حيان حين ولى اصبغ بن محمد بن فطيس كورة رية وكيف نرى الخليفة ينصح ويوصي عامله بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم. اما بعد: فان تستدام النعمة بشكرها، وتعرف النصيحة باستعمالها، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها وقد رأى امير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة، فاسع للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك، او بحسب نقصك وتقصيرك، فاستعن بالله وخذ الرفق في امرك، وقلة الرعبة في شأنك، واجتنب التحامل على رعيتك، فانها من حفي[2] عناية امير المؤمنين بموضع لايترك معه البحث عن احوالها والكشف عن سيرتك فيها ان شاء الله. ورأى تقليدك شطر كورة رية، وهي من اهم كور الاندلس عليه، براً وبحراً،

---

(1) نص الكتاب يراجع ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص178-182.

(2) حف القوم بالشيء وحواليه يحفون حفا وحفوه وحففوه أحدقوا به وأطافوا وعكفوا واستداروا وفي التهذيب حف القوم بسيدهم وفي التنزيل وترى الملائكة حافين من حول العرش قال الزجاج جاء في التفسير معنى حافين محدقين، لسان، 9/ 49.

وجبايتها وضياعها، فانظر أي خادم تكون، وشاكراً للنعمة تظهر، ان شاء الله تعالى[1].

وصيته وولاية العهد:

مات الحكم المستنصر سنة 366هـ/ 976م، وولى مكانه ولده هشام المؤيد بعهد منه وكان عمره احدى عشر سنة وثمانية اشهر[2] في حين يذكر ابن الاثير[3] ان عمره كان عشرة سنوات، بينما يذكر المقري[4] ان عمر هشام المؤيد كان تسعة سنوات حين استلم السلطة بعد وفاة ابيه الحكم المستنصر، على الرغم من وجود اخوته المؤهلين لمثل هذا المنصب، وتولية الطفل هشام يعد سقوط الخلافة الاندلسية وكان سببها اقتراف الحكم بحق ولده المذكور والخلافة الاندلسية معاً.

وقد حرصت الشخصيات البارزة في الدولة امثال جعفر بن عثمان المصحفي كبير الوزراء ومحمد بن ابي عامر ناظر الخاص وغالب بن عبدالرحمن قائد الجيش على تنفيذ الوصية القاضية بتنصيب هشام المؤيد خليفة على الاندلس وان تنفيذ هذه الوصية ليس من الاخلاص للخليفة الراحل بل هي ضماناً اكيداً لمراكزهم[5]، دون غيره اذ كان المغيرة بن عبدالرحمن الناصر مرشحاً

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تح :الحجي، ص77- 78.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 237.

(3) الكامل، 8/ 677.

(4) نفح الطيب، 1/ 396.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 260؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص187.

ان يكون هو الخليفة بدعم من الصقالبة لكن موافقتهم على تنفيذ الوصية حال دون وصوله ودبر فيما بعد قتله والانتقام من الصقالبة الذين كان اخلاصهم للمغيرة ايضاً طمعاً في اخذ دوراً في مراكز السلطة[1].

الخليفة هشام بن الحكم المؤيد 366 - 399 هـ/ 973- 1008م

تولى الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ويكنى بالمؤيد الخلافة عام 366هـ/ 973م وذلك بعد وفاة والده الحكم المستنصر وكان عمره احدى عشر عاماً، نظراً لصغر سن هشام الثاني وتدخل أمه صبح بأمور الخلافة، حاولت عناصر سياسية وعسكرية استغلال الوضع العام وانتهاز الفرص، وفي هذه الأجواء السياسية ظهرت شخصية متميزة بالدهاء والقدرة وتحين الفرصة تدريجياً الى سلم الحكم وإذا بها تصبح أقوى شخصية عسكرية وسياسة تمثلت في محمد بن أبي المعافري العامري لتلعب دوراً بارزاً ومهماً في الأحداث التاريخية في عصر الخلافة[2].

---

(1) ينظر: ابن عذاري، 2/ 261؛ ابن خلدون، 4/ 147؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص188.

(2) لقد حقق فيما بعد العامري ان تخلص من المصحفي بعد عودته من قتال الاسبان وقد كرمه الخليفة على ذلك اذ قام بعزل المصحفي من الحجابة ووضعه في السجن مع ابنائه وبعض اقربائه الى ان مات في السجن، ثم تخلص من غالب بن عبد الرحمن حين احس الاخير من ان العامري سيحده عن السلطة فحالف بعض امراء الاسبان الشماليين لمقاتلة العامري ومات غالب بالسكتة القلبية في ميدان المعركة، وبالتالي سيطر العامري على الامور لوحده.

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 267-279؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص62؛ =

دور الحاجب المنصور العامري في الخلافة ونهايتها:

ويعود نسب الحاجب[1] المنصور العامري الى عبد الملك المعافري، وجده

= عنان، دولة الاسلام، 2/ 539؛ بدر، احمد، تاريخ الاندلس عصر الخلافة، (دمشق، 1979)، ص31؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، 190-191.

ويذكر لنا المقري تبادل الرسائل بين المصحفي والمنصور بن ابي عامر على شكل ابيات من الشعر اذ قال المصحفي له وهو في سجنه:

هبني اسأت فاين العفو والكرم   اذ قادني نحوك الاذعان والندم
ياخير من مدت الايدي اليه اما   ترثي لشيخ رماه عندك القلم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر   ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

لكنها كانت ذا واقع سيء لدى المنصور وكانت نتائجها سلبية زادت من غضبه وجعلته يصمم على بقاء المصفي مدى الحياة في سجنه فاجابه بالابيات الاتية:

الا ياجاهلاً زلت بك القدم   تبغي التكرم لما فاتك الكرم
اغريت بي ملكاً لولا تثبته   ماجاز لي عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت في طبق   ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا
نفسي اذا سخطت ليست براضية   ولو تشفع فيك العرب والعجم

ينظر: نفح الطيب، 1/ 384.

(1) الحجوبية وظيفة قديمة كانت تسمى القيادة وكان الحاجب يسمى قائد الجيش ولم يكن في الزمان الماضي يحكم بل يعرض الجيش ويعد حاله الى الامير. السبكي، معيد النعم، ص40.

عبد الملك هو الداخل الى الأندلس مع طارق بن زياد[1].

قدم ابن الخطيب الغرناطي[2] وصفاً للخليفة هشام الثاني وصفاته وسلطته بالاندلس بقوله: "ولما كان هشام مندرجاً بخطى كافله الحاجب المنصور بحيث لا ينسب إليه تدبير، ولا يرجع إليه من الأمور قليل، ولا كثير إذ كان في نفسه وأصل تركيبه وضعفاً مهيباً مشغولاً بالتنزهات ولعب الصبيان والبنات، وفي الكبر بمجالسة النساء، ومحادثة الإماء".

وفي المقابل ابن الخطيب الغرناطي[3] المنصور العامري بقوله: كان ابن ابي

---

(1) ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص59؛ الضبي، بغية الملتمس، ص19؛ ابن بسام الشنتريني (ت524هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: الدكتور احسان عباس، (بيروت، 1979)، القسم الرابع، الجلد الاول، ص17؛ ابن الابار، الحلية ،1/ 268؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 175؛ ابن عذاري، البيان ،2/ 256؛ المقري، نفح، 1/ 376؛ العذري، ترصيع، ص74.

(2) ومن الطريف ذكره عن صغر سن الخليفة هشام الثاني الف المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي كتاباً بعنوان "اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام" نشر بعنوان تاريخ اسبانيا النصرانية، وذلك بعد اربعة قرون من حكم الخليفة هشام الثاني، اما ابن عذاري فنقل لنا صفات حيدة عن الخليفة هشام الثاني بقوله: "مائل الى العبادة والانقباض، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على اهل الستر من الضعفاء والمساكين" البيان، 2/ 253.

(3) اعمال الاعلام، ص77.

وقد وصفه المؤرخون بقولهم:

كان الخليفة الحكم المستنصر معجب أشد الأعجاب بشخصية محمد بن أبي عامر وشجاعته ونباهته ونسبه حتى أنه "يستخيل في محمد بن ابي عامر أكثر الصفات المجتمعة الى النسب =

=

والبلدة" وكان للمنصور همة ترمي به المرامي، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور، ويريد ذلك حتى كان يتحدث من يختصر به بما يقع له من ذلك فتم له مراده وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتمنيه: تصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام في أموالها وضياعها، والجد ينهض به والأقدار تساعده" ابن الابار، الحلةو السيراء، 2/ 252، 268.

اما ابن عذاري قال عنه "كان محمد هذا حسن النشأة ظاهر النجابة، تتغرس فيه السيادة، سلك سبيل القضاة في أوليته، مقفياً آثار عمومته وخولته، فطلب الحديث في حداثته" البيان المغرب، 2/ 257.

أكد النويري بحسن سياسة حكم الحاجب المنصور بما أورد بالنص الآتي "المنصور على أتم ما يكون من الحزم وسد الثغور وإقامة العدل وشمول الناس بالإحسان والفضل فلم يَرْقَ الضبط وحسن السياسة وأمن السبيل ويوفيه حقوق الرياسة بجزيرة الأندلس" نهاية الأرب في فنون الأدب، 22/ 66.

أشاد مؤلف مجهول اذ قال فيه "من أهل الأدب البارع والفهم والعلم والبأس والنجدة عالماً بجميع الفنون بصيراً بالحروب منصوراً عند اسمه مؤيداً لم تهزم له قط راية حسن السياسة والتدبير تصرف بعد العلم والفهم والطلب في أيام الحكم في القضاء والأمانات والسكة والبناء والوكالة والشرطة" وقال عنه في موضع أخر "كان المنصور على اتم غاية في الحزم وشدة الشكيمة والعزم وصواب التدبير ورعاية الرعية وسد الثغور وضبطها وأفاضت العدل وشمول الإحسان والفضل" ذكر بلاد الأندلس، 1/ 177.

أعتقد وآمن الحاجب المنصور بسير العظماء والعقلاء وانه كان يسعى لأخرته وكان يؤمن بتقاليد تخلد ذكره ويذكر عنه انه "خط بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه، انه اعتنى بجميع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتنضيده في حنوطه عند موته، وكان يحمله حيث ما سار مع أكفانه، توقعاً لحلول منيته وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه،

=

عامر اية في الدهاء والمكر والسياسة عدا بالمصحفي على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصحفي حتى قتله، ثم عدا بجعفر بن علي بن الاندلسي على غالب حتى استراح منه ثم عدا بنفسه على جعفر حتى اهلكه ثم انفرد ينادي صروف الدهر هل من مبارز، فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده واستقام له امره منفرداً بسابقه لايشاركه فيها غيره.

لذلك اصبح الخليفة المؤيد اسماً مجرداً في سلسلة خلفاء الاندلس لايظهر الا بموافقة المنصور ابن ابي عامر وذلك لاكتساب الشرعية التي تمارس باسمه السلطات، وقد اختار له المنصور بعض المناسبات للظهور حتى يحد من التقولات التي تبث في قرطبة على ان الخليفة مسجون في قصره[1] ويورد لنا القلقشندي[2] رساله وجهها المنصور بن ابي عامر لما عقد الصلح بينه وبين الموفق الى الخليفة هشام المؤيد ليؤكد فيها على ان الخليفة موجود وان السلطة لم تغتصب منه بل لازال هو الخليفة وحاكم البلاد. اذ يقول فيها ويبدأ أطال الله بقاء امير المؤمنين، مولاي وسيدي وسيد العالمين، وابن الائمة الراشدين عزيزاً سلطانه، منيراً زمانه، سامية اعلامه، ماضية احكامه، ظاهراً على

= وغزل بناته، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان ذلك. ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 288.

قال عنه المراكشي وبلغ من إفراط حبه للغزو انه ربما خرج للمصلى يوم العيد فحدثت له نية في ذلك فلا يرجع إلى قصره، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره إلى الجهاد، فتتبعه عساكره وتلحق به أولاً فأولاً المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 60.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 278؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص76.

(2) صبح الاعشى، 6/ 524ـ 526.

من نأواه، قاهراً لمن عاده... والمتبع لها يجد فيها صورة كاملة على ان الخليفة المؤيد كان سلطاناً يحكم البلاد وليس للمنصور سوى احد رجال الدولة. وانه كان مقراً بعزة السلطان وان احكام السلطان ماضية عليه وكان معترفاً بصفات عظيمة للسلطان من الشجاعة ومجابهة الاعداء.

استمر ابن ابي عامر في نهجه وسياسته تجاه من عارضوه، لكنه مع هذا فكان لديه حملات جهادية ذات دلالة ايمانية وتحدي وصلابة لمن يعادي الاسلام.

اما علاقته مع الدولة العبيدية فقد حاولت الاخيرة ان تكتسح الاراضي التي خسرتها من المغرب العربي ابان عهد الحكم المستنصر لكن المنصور بن ابي عامر ارسل قادته الى هناك وهاجمهم وهزمهم[1]

وقد وجه المنصور بن ابي عامر وصية لابنه عبدالملك المظفر في مرضه الذي مات فيه فقال:

يابني: لست تجد انصح لك ولا اشفق عليك مني، فلا تعدين وصيتي فقد جردت لك رأيي ورويتي على حين اجتماع من ذهني، فاجعلها مثالاً بين عينيك، وقد وطأت لك مهاد الدولة، وعدلت لك طبقات اوليائها وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها، واستكثرت لك من اطعمتها وعددها، وخلفت لك جباية تزيد على مايقويك بجيشك وبنفقتك، فلا تطلق يدك في الانفاق، ولايقتص لظلمة العمال، فيختل امرك سريعاً، فكل سرف راجع الى اختلال لامحالة فاقصد في امرك جهدك، واستثبت فيما يرفع اليك اهل البطالة. والرعية فقد استقصيت لك تقويمها، واعظم مناها ان تأمن البادرة، وتسكن الى لين الجنبة. وصاحب

---

(1) للتفاصيل ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 249؛ السلاوي، الاستقصا، 1/ 203.

الثغر قد علمت مذهبه. وانه لايأتيك من قبله شيء تكرهه، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة، ولاترفع عنها سوء الظن والتهمة، وعاجل بها من خفته على اقل بادرة، مع قيامك بحق صاحب القصر على اتم وجه، فليس لك ولا لأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمن يبعثه الا ماتقيمه لوليها من هذه النفقة، واما الانفراد بالتدبير دونه، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه، فاني ارجو اني واياك منه في سعة ماتمسكنا بالكتاب والسنة. والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك وعدة لحاجة تنزل بك، فاقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لاتبذلها الا عند الشدة، تخاف منها على سائر جسدك، واخوك عبدالرحمن قد صيرت له في حياتي مارجوت اني قد خرجت له فيه عن حق من ميراثي، واخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساغاً بينكما في خلاف وصيتي فيسرع ذلك في نقض امري، ويجلب الفاقرة الى دولتي. وقد كفيتك الحيرة فيه، فاكفني الحيف منك عليه، وكذلك سائر اهلك فيما صنعت فيهم بحسب ماقررت به خلاصي من مال الله الذي بيدك. وخلافتك بعدي اجدى عليهم مما صرفته اليهم، فلا تضيع امر جميعهم، والحظهم بعيني فانك ابوهم بعدي، فخرج ذكورهم باستخدامك، والحف اناثهم جناحك، جبر الله جماعتهم، واحسن الخلافة عليهم، وان انقادت اليك الامور بالحضرة فهذا وجه العمل وان اعتاصت عليك فلا تلقين بيدك القاء الأمة، ولاتبطر بك وباصحابك النعمة والسلامة فتنسوا آمالكم في بطون بني امية وشيعتهم بقرطبة، فان قاومت من توثب عليك فيهم فلا تذهل عن العزم فيهم، وان خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك الى بعض المعاقل التي حصنتها لك، واختبر غدك ان انكرت يومك، واياك ان تضع يدك في يد مرواني ماطاوعتك بنانك فاني اعرف ذنبي اليهم.

ثم التفت الى غلمانه فقال:

تنبهوا لامركم واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبدالملك اخيكم ومولاكم ولاتغرنكم بوارق بني امية ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم، وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم، فليس يرأسكم بعدي اشفق عليكم من ولدي، وملاك امركم ان تنسوا الاحقاد، وان تكونوا كرجل واحد، فان لايفل فيكم[1]

عند البحث العميق والنظر الدقيق في هذه الوصية نرى ان الأب قد ذكر بعض اوصافه الحميدة حتى يكون لها في نفوس سامعيها اطيب الاثر وافضل وتحظى منهم باوفى النشاط والانتباه وتقع على القلب والسمع اطيب ماتكون ونجده في الوصية ايضاً ترغيباً وترهيباً فمن اجلى الاساليب الترغيب في الخير الذي تدعو اليه والترهيب عن الشر الذي تحذر منه فقد رهبّه من اطلاق البر في الانفاق فنحن منهيون عن الاسراف ونهاه من ترك النفور حتى لايأتيه منها شيء لاتحمد عقباه وان لايغمض عينيه عن حراس الثغور لكي لايتواطؤا مع عدو غشوم ويبقوا حريصين على بلادهم ورغبّه في القيام بحقوق صاحب القصر لانه ولي النعمة وصاحب السلطان فنحن مأمورون بطاعته والقيام بخدمته باحسن مايكون وقد ذكرنا آنفاً كيف اوصى الرسول ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ودلت منها القلوب فقال قائل: يارسول الله كان هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال: اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبداً حبشياً. ورغبّه بالحكمة وحسن التصرف في المال الموجود عند والدته وان يجعله لوقت الشدائد

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعلام الاعلام، ص81-82؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4، ج1/ 56-58؛ عنان، دولة الاسلام، 581؛ حمادة، الوثائق، ص223-224.

والكربات واوصاه باخيه عبد الرحمن ورغبّه في حسن التعامل معه وانه لم يجعله على الثغر حتى لايستغله الاعداء نقطة ضعف على الدولة ورغبّه في الانفاق على اهله من المال الذي عنده وهذا مما سيشد من عضد الاسرة الحاكمة ويجعلهم متكافئين ولايرى احد منهم ان الحاجب عبدالملك قد اخذ حقهم او انه ظلمهم فهم امانة عند الحاجب عبد الملك فهو بمنزلة ابيهم بعده وهذا مما سيرفع من معنويات الحاجب عبد الملك بانه اهلُ للرعاية وانه ولي لامورهم.

ثم توجه بترغيباته وترهيباته الى الغلمان فقد رغبهم في طاعة عبدالملك وشبههم بالاسرة من حيث انهم اخوة ورهبهم من ان يسمعوا كلام من يريد بهم ويبغي امية الشتات والفراق لان اعداءهم يحقدون عليهم ولايتمنون لهم الخير فليس الاعداء باشفق من عبدالملك عليهم فطلب منهم ان يكونوا مع عبدالملك جسداً واحداً قوياً لاتهزه الرياح ولايميل من حيث مالت، وتقديم وصيته لعبد الملك على وصيته للغلمان انما كان من تقديم المتبوع على التابع ومن تقديم الامير على الرعية.

تولى الحاجب عبد الملك بن المنصور السلطة في الأندلس بعد وفاته والده المنصور، وقد لقب بالمظفر و سيف الدولة من عام 392-399هـ/ 1002-1009م وقد أقره الخليفة الأموي هشام الثاني المؤيد وجدد له عهداً على عمل أبيه في الحجابة والقيادة والقيام بأمر المملكة وخلع عليه امتدحت المصادر الأندلسية الحاجب المظفر ووصفته بالخصال العربية الإسلامية الحميدة، فمدحه منهم ابن حيان القرطبي بقوله: انصبت منه الإقبال والتأييد على دولته انصباباً ما عهد مثله في الدولة[1].

(1) مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 195؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص84 وكان المظفر
=

تقلد مهام الدولة وانتهج سياسة أبيه اذ أدخل عليها بعض التعديلات والإصلاحات لتمشية أوضاع الأندلس فاول ما عمل به هو السعي إلى تقريب الرعية إلى حكمه لذلك قام باسقاط "سدس الجباية عن جميع البلاد"[1] كما أطلق سراح عدد من السجناء "فيطلق من يؤمن إصراره بالمسلمين ويرجع سواهم"[2] وبهذه الطريقة والأساليب التي تعامل بها الحاجب استطاع أن يكسب عدد كبير من المؤيدين له ومنهم الفقهاء وعامة الناس حيث خفف عن كاهلهم الاقتصادي والاجتماعي.فالصفح والعفو عن المذنبين والعدل هو خير حارس للامير والسلطان من ان يجعل له حرساً اشداء بيدهم السياط والسيوف فلا يخاف الامير ولايحذر من الرعية اذا عدل.

كما قام بمعاقبة العاصين والمتمردين من الفتيان الصقالبة، وأخرج بعضهم إلى سبتة في العدوة المغربية بعيداً عن العاصمة قرطبة[3]. تحسباً لهم من قيام مؤمرات عليه اذ كان نفوذهم واعدادهم كبيراً في الدولة.

= براً تقياً فاضلاً طاهراً نجيباً سليماً من العيب شجاعاً وكان له سع عظيم" ابن عذاري، البيان، 3/ 3 "مراقباً لربه باكياً على ذنبه محباً في الصالحين يستهدي ادعيتهم ويجزل الثواب لمن دله عليهم، وكان يظهر العدل ويحمي الشرع ويرفق بالرعية واحبه الناس سراً وعلانية...وبلغت الاندلس في ايامه نهاية الجمال والكمال وسعة الحال". ابن بسام، الذخيرة، ق4/ ج3/ 59.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص84؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4/ ج3/ 59؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 3/ 3.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص86.

(3) ابن بسام، الذخيرة ،ق4/ ج3/ 59.

اعتمد الحاجب سياسة إعمار المناطق المفتوحة في الثغور الأندلسية كما اتبعها وسار عليها والده المنصور حيث أسكن المقاتلين فيها واتخاذها قواعد أو ربط إسلامية، وتم رعاية المقاتلين المرابطين فيها وتوزيع الرواتب والصلات كما جاء بالنص الآتي: "وعهد الحاجب وقت الفتح إلى المسلمين ألا يحرقوا منزلاً ولا يهدموا بناء لما ذهب إليه من إسكان المسلمين فيه فشرع للوقت في إصلاحه ونادى في المسلمين من أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعل وله مع ذلك المنزل والحرث فرغب في ذلك خلق عظيم واستقروا به في حينهم"[1].

اما بالنسبة لعلاقته مع الخليفة فتشير النصوص على ان الخليفة هشام المؤيد بن الحكم قد وجه له كتاب يشكره لاهتمامه بامره، ويلقبه في هذا الخطاب بالمظفر اذ ذكر لنا ابن الخطيب الغرناطي[2] نص الكتاب فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، اتم الله عليك نعمته، وهنأك قسمه، والبسك عفوه وعافيته، لما رأيناك- سلمك الله- من صنع الله الجسيم وفضله العظيم لنا عليك ما شفي الصدور، واقر العيون، استخرنا الله تعالى في ان سميناك المظفر... فاكتب به الى اقطار المملكة وتصدقه بشكر النعمة، احسن الله توفيقك ومتعنا طويلاً بمعافاتك، وآنسنا ملياً بدوام سلامتك، انه ولي قادر عزيز قاهر، ان شاء الله تعالى".

استمر عبدالملك ابن ابي عامر في الحجابة سبع سنوات الى ان توفى سنة

---

(1) ابن عذاري، البيان، ج3،ص7؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس،ص249.

(2) اعمال الاعلام، ص88. اورده: ابن عذاري، البيان المغرب، 3/ 16-17. نصاً مقارباً لنص ابن الخطيب.

399هـ/ 1009م وناب عنه في منصب الحجابة اخوه عبد الرحمن الملقب شنجول.

استلم الحاجب عبدالرحمن بن المنصور ويكنى بشنجول بعد وفاة اخيه عبدالملك المظفر عام 399هـ/ 1009م وحصل شنجول علىالالقاب السلطانية التشريفية بالقوة منها "الناصر" و"المأمون" و"الحاجب الاعلى المأمون ناصر الدولة" تقليداً بالخلفاء الاقوياء، والحقيقة والواقع ان الحاجب شنجول لايستحق مثل هذه الالقاب السلطانية، وقد علق على ذلك ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "وصار عبدالرحمن في اهل المملكة الى قصره بالزاهرة يختال في ثوب الخلافة ويحسب انها له لخلة وانه مستحق لها وخليق بها"[1].

تولى الحاجب شنجول السلطة وعمره 25 سنة، ولم يكن بالحاكم المعهود واللائق لبلد الاندلس لسوء سلوكه وتصرفه، وضعف شخصيته وسمعته لكونه شاباً طائشاً ومغروراً ويذكر عنه انه افتتح شنجول حكمه بالخلاعة والمجانة فكان يخرج من قصر الى قصر مع المغنين والمضحكين مجاهراً باللهو والطرب[2].

وعن موقف الخليفة هشام المؤيد بأنه اصدر مرسوماً سياسياً بتلقيب عبد الرحمن بن المنصور بلقب الحاجب المأمون ناصر الدولة نقله لنا ابن عذاري[3] اذ قال له: "الحاجب المأمون ناصر الدولة ابو المطرف حفظه الله، بسم الله الرحمن

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص93. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 3/ 46.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص93-94. وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 3/ 46-47.

(3) البيان المغرب، 3/ 41.

الرحيم. ادم الله حفظك، واحسن على الصلاح عونك. رأينا اكرمك الله لما ظهر لنا من جميل طاعتك، وبدارك الى مايلزمك من المناصحة والقيام باعباء المملكة على افضل الطرق المحمودة والمساعي المشكورة تسميتك في كتبنا اليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك. زائد على اول اسمائك مظاهرة لانعمنا عليك. وانت عندنا اهل لذلك ومستحق به، فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك واليك على عنوان كتابنا هذا اليك. نسأل الله عوناً شافياً وتأكيداً كافياً ان شاء الله تعالى".

مما اثار استنكار الكثير من العناصر التي بدأت تتساءل عن معنى هذا اللقب في الوقت الذي لم يرو من عبد الرحمن شنجول أي عمل او خدمة عامة يستحق عليها مثل هذا التكريم(1).

وعقب هذا التكريم اصدر الخليفة هشام المؤيد مرسوماً سياسياً جديداً يوصي فيه لعبد الرحمن بن المنصور ويجعله ولياً لعهده نقله لنا المؤرخون (2) يقول فيه "هذا ما عهد امير المؤمنين هشام المؤيد بالله اطال الله بقاءه الى الناس عامة، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة، واعطى عليه صفقة يمينه بيعو تامة، بعد ان امعن النظر واطال الاستخارة، واهمه ماجعله الله اليه من امامة المسلمين، وخصه به من امرة المؤمنين، ...فلم يجد احداً هو اجدر ان يقلده الخلافة، ويعوض اليه النظر في الخلافة بعده... ناصر الدولة ابي المطرف عبدالرحمن بن

---

(1) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 204.

(2) ينظر النص: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص91؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 148-149؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3/ 44-46؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 400-402؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 9/ 366-367.

المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر- وفقه الله- ... في شهر ربيع الاول سنة 399هـ".

واثناء خروج شنجول لقتال قشتالة وخلو العاصمة من معظم جيشه ثار محمد بن هشام حفيد عبدالرحمن الناصر الملقب بالمهدي في سنة 399هـ/ 1009 وسيطر على قصر الخليفة هشام المؤيد، الذي اعلن تنازله عن الخلافة ليتولاها محمد بن هشام مكانه، سمع شنجول بذلك فارتد بقواته، واعلن تنازله عن ولاية العهد، ودعا الى نصرة الخليفة هشام المؤيد لكن لم تنفع هذه اذ انتهى امره اخيراً بالاعدام في السنة نفسها(1).

وبتولية المهدي الخلافة، بدأت القوى المختلفة تحاول الحصول على اسلاب الدولة المنهارة ويتحمل الحاجب شنجول المسؤولية الاولى والمباشرة لضعف انهيار الخلافة الاندلسية بعد ان وصلت الى اوج قوتها والمع ازدهارها الحضاري في عصر الناصر والمستنصر والحاجب المنصور العامري وبالتالي سقطت الخلافة وبدأ عهداً جديداً باسم دول الطوائف.

مما تقدم كنا نريد ان نقدم عن دور الخليفة هشام المؤيد على اساس انه كان الخليفة الذي عهد اليه الخليفة الحكم المستنصر وبينا كيف سارت الامور في عهده وما بلغت به الخلافة ولاننا لانستطيع اهمال هذه الحقبة من تاريخ الاندلس رغم غياب دور الخليفة، لكن كان الحاجب المنصور هو الحاكم الفعلي للبلاد لذلك اثرنا ان ندخله ضمان سياق دراستنا لكي نصل الى نهاية الخلافة الاندلسية ومابرز بها من وصايا وتوجيهات سياسية وعسكرية.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 3/ 249؛ ابن خلدون، 4/ 149؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص 204.

الفصل الرابع

الوصايا والتوجيهات العسكرية للامراء والخلفاء لصد الهجمات الخارجية

الفصل الرابع

الوصايا والتوجيهات العسكرية للامراء والخلفاء لصد الهجمات الخارجية

اولاً: الاهتمام بالجيش واسلحته

اهتم الحكام بالجيش اهتماماً بالغاً، لانه المصدر الذي يستمد منه قوتهم، والاساس الذي يرتكز عليه حكمهم، لهذا اعتنوا بتسليحه بالمعدات الحربية، واشرافهم المتواصل على اعداده اعداداً كاملاً، وغالباً كان تحت تأثير توجيههم وتوصياتهم، ليكون على اهبة الاستعداد لكل طارئ يستدعي زجه فيه، فضلاً عن الدولة لايتيسر لها المحافظة على استقلالها ووحدة اراضيها، وفرض هيبتها واحترامها على الامم المجاورة الا بوجود جيش قوي قادر على حماية هذه المعاني ان النصر بالحملات الجهادية من المقومات الاساسية لنجاح الحاكم في حماية الدين وحدود الاسلام ولان توجيهات وتوصيات الامراء والخلفاء في الاندلس كان على هذا النحو اذ ان الانتصار عدل وفضل من الله[1]، ومن مقومات الحكام العدول حرصهم على ارسال الحملات الجهادية الى بلاد الشرك وغزوهم وتأديبهم وان من محاسن الاخلاق ان يلتزموا بها فالغزو خير كله[2]

اهتم الامراء والخلفاء الاندلسيون بالجيش لما له من اهمية كبيرة في تحقيق النصر فكانوا احياناً يتولون القيادة بانفسهم سواء بالقضاء على الفتن الداخلية او لمواجهة الاخطار الخارجية، وتارة اخرى يولون قيادة الجيش لرجال لهم مكانة

---

(1) طه، عبد الواحد ذنون، دراسات في التاريخ الاندلسي، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1987)، ص56.

(2) الطرطوشي، سراج الملوك، ص139.

متميزة وباع طويل في هذا الجانب، ويحملون قوة وجلد وصبر قادرين على تحمل الكريهة ومنفذين الاوامر والتوصيات بحذافيرها فضلاً عن مقدرتهم في اتخاذ القرارات حسب واقع الميدان[1].

فالجيش في عصر الامارة بدأ بانشاءه الامير الاول عبد الرحمن الداخل وذلك لتثبيت حكمه، وحشد له المتطوعة والمرتزقة فاصبح يتألف من الموالي[2] والبربر[3] والرقيق[4] والصقالبة[5] وقد بلغت قواته نحو

---

(1) ابن ابي زمنين الامام ابي عبدالله محمد بن عبدالله (ت 399هـ)، قدوة الغازي، دراسة وتحقيق: عائشة السليماني، جامعة الجزائر، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1989)، ص154.

(2) الموالي: اصلهم بيزنطي اعتنقوا الاسلام في المشرق وانتقلوا الى الاندلس مع الشاميين، ويرجع بعض الموالي الى اصل افريقي اعتنقوا الاسلام في شمال افريقيا وانتقلوا ايضاً مع البربر الى الاندلس.

ينظر للتفاصيل هو الموالي: طه، عبدالواحد ذنون، دراسات اندلسية، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1986)، ص86.

(3) البربر: هو احد عناصر الجيش العربي الإسلامي في الأندلس وهم عرب المغرب ينتمون إلى فرعين رئيسين: هما البرانس ويتفرعون إلى عدة قبائل، والبتروهم بنو ماذغيس وينقسم شعبهم إلى عدة قبائل. وأكدت المصادر انهم أقوام العرب المغاربة ومادتهم.

ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1/ 219، 2/ 516؛ مجهول، مفاخر البربر، ص17.

(4) كانوا هؤلاء يأتون بهم اليهود من بلاد بلغاريا.

ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص106.

(5) الصقالبة: أطلق الأندلسيون لفظة الصقالبة على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربا حيث أن الجيوش الجرمانية دأبت على سبي الشعوب القبلية السلافيه وبيع رجالها ونسائها =

اربعين الف[1].

فقد اكد لنا الحميري [2] ان عبد الرحمن الداخل كان يشك بالجند العربي[3]- البلديون والشاميون- بعد ان قامت عليه ثورات عربية كما مر بنا.

= لعرب الأندلس ولذلك أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة وكانوا يسمون الجابيب كما وردت تسميتهم بالخرس والمماليك.

ينظر: ابن بسام، الذخيرة، 4/ 34؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 32؛ العبادي، احمد مختار، الصقالبة في أسبانيا، وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، 1953)، ص9؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ص230

ويقول المقدسي"ويلدهم خوارزم الا انهم يحملون الى الأندلس" ينظر: محمد بن احمد (ت380) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1960م)، ص242

(1) المقري، نفح الطيب، 3/ 37؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 200.

(2) الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت 710هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937)، ص36.

(3) لقد دفعت بالداخل عدة اسباب للشك منها ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي الذي كان يتزعم جند باجة، فضلاً عن قيام زعماء القبائل اليمانية التي كان يتزعمها ابا الصباح يحيى اليحصبي لهذا دفعته الى ادخال عناصر اخرى في الجيش للوقوف معه ضد تمردات العنصر العربي.

ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص36، مؤلف مجهول، فتح الاندلس، ص66-67؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص108-109؛ ابراهيم بيضون، الدولة العربية في الاندلس، ص 211 الدوري، عبد الرحمن الداخل، ص249.

واعتمد الداخل من وفد اليه من البربر ليضرب بهم اعـداءه[1]، واشـترى الصقالبة ليستعين بهم[2].

والامير هشام قد اهتم هو الاخر بالجيش لما يشكل هذا الجيش مـن عامـل رئيس في جهاده، وتشير المصادر على انه اهتم بالجند واوصى ان يكـون هنالـك ارزاقاً لاسر الشهداء مـنهم الـذين سـقطوا في سـوح القتـال دفاعـاً عـن الـدين وجاهدوا في اعلاء كلمته، كما افتدى الاسرى المسلمين من قبضة الاعداء[3].

اما الامير الحكم اسس فرقاً من الجيش النظامي لاسـيما بعـد فشـل ثـورة الربض التي ذكرناها انفاً وجعل له حرساً خاصاً به[4].

واستمر امراء الاندلس في اكثار الموالي والصـقالبة، فقـد اصـطفى الامـير عبد الرحمن الاوسط، مثلاً خمسـة الاف مملـوك[5]، وكـذلك اهـتم الامـير محمـد بتقوية الجيش اذ كان دائماً يقود الجيش الى ارض العدو ويمكث معه خارج مركز الامارة اكثر من ستة اشهر[6].

لكن رغم دخول العناصر الغير عربية في الجـيش الاندلسـي الا ان هـذا لم يقلل من اعتماد الامراء على الاسر العربية بل انهم اعتمدوا على قادة عسكرين

---

(1) ابن سعيد، المغرب، 1/ 60؛ عباس، احسان، تاريخ الادب الاندلسي، ص21.

(2) دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، 1/ 235؛ الدوري، عبد الرحمن الداخل، ص250.

(3) مجهول، اخبار مجموعة، ص120؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 229.

(4) ابن خلدون، العبر، 4/ 277.

(5) عنان، دولة الاسلام، 1/ 277.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 110؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 311.

مشهورين ينتمون الى اسر اندلسية معروفة لها دورها الفعال في قمع الفتن الداخلية، ودوراً في محاربة الممالك النصرانية، فمثلاً اسرة ابو العباس احمد بن محمد الوزير واولاده عباس وعيسى، فقد اعتمد عليهم الامير عبدالله في عهده كقادة في الجيش[1]، كذلك اسرة مغيث الرومي وجهادهم ضد الممالك الاسبانية[2].

وبقيت هذه المظاهر العامة نفسها مستمرة في عصر الخلافة، فالخليفة الناصر اهتم بالجيش الذي يعد عماد الدولة وسياج الملك، فضلاً عن اهتمامه بالاسلحة والذخائر التي ادخلها واكثرها في اعداد جيشه، واوصى بادخال كل ماهو جديد في زيادة كفاءة الجيش، فضلاً عن اقدام الخليفة نفسه على تولي قيادة الجيش مما زاد في الحماسة الحربية والانتصارات الباهرة[3].

ولابد من الاشارة الى ان اعتماد الخليفة الناصر على الصقالبة في جيشه ودورهم ومكانتهم كانت لها اسوء الاثر في نفوس الزعماء العرب وفي انحلال قوى الجيش المعنوية، التي كانت هي احدى الاسباب التي اندحر فيها الناصر في معركة الخندق[4]- الاتية ذكرها في الصفحات اللاحقة-.

وقد استمر الخليفة الناصر بالاعتماد على الصقالبة واعطائهم قيادة الجيش

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص107-108؛ ابن حيان، المقتبس، 3/ 129.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 81- 82؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص19.

(3) عنان، دولة الاسلام، 2/ 446.

(4) المرجع نفسه، 2/ 531.

والمناصب المهمة[1]، لكن هذا لايعني انه لم يوكل امر القيادة الى اسر عربية عريقة كاسرة بني تجيب العربية امراء سرقسطة بهذه المهمة[2].

اما تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، فقد عرفت عدداً من الوظائف العسكرية التي كانت تقوم بدور للجيش واهم هذه الوظائف هي صاحب العسكر وخطة العرض وخطة الحشم وخطة الخيل والعرفاء[3].

اما نظام التعبئة في الاندلس مشابهاً للترتيب السائد في الجيوش العربية الاسلامية، من حيث تقسيم الجيش الى قلب ومقدمة وساقة وميمنة وميسرة[4].

اما الاسلحة في الاندلس فقد استعمل الجيش العربي الاسلامي بالاندلس انواعاً عديدة من الاسلحة، ومن البديهي ان تكون هنالك اسلحة دفاعية وهجومية، اهتم الامراء والخلفاء بها، فالاسلحة الدفاعية تتكون عادة من الترس والدرق والبيضة أي الخوذة والدرع[5]. اما الاسلحة الهجومية فكانت معروفة كالسيوف وهو نوع من السلاح ذو نصل حديد وله غمد يغمد فيه[6] والرماح

(1) المرجع نفسه، 2/ 512- 514.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 236.

(3) مزيداً من التفاصيل حول وظائف الجيش ينظر: الدليمي، احمد صالح، تنظيمات الجيش في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، 1989.

(4) ينظر: العذري، ترصيع الاخبار، 68 ومابعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 86؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص63.

(5) زكي، عبد الرحمن، السلاح في الاسلام، (القاهرة، 1951)، ص16.

(6) البستاني، الشيخ عبدالله بن ميخائيل بن ناصيف (ت 1348هـ)، البستان، معجم لغوي، لغوي، المطبعة الامريكية، (بيروت، 1927). مادة سيف.

وهو عود طويل في رأسه حربه يطعن بها ويتراوح طوله بين خمسة اذرع الى سبعة اذرع[1]. والقسي وهي سلاح ذو تأثير فعال في الاعداء عرف العرب استخدامه منذ القدم وهو من الاسلحة الهجومية ذات الاستخدام الفردي والسهام وهو عود رفيع من شجر صلب[2]. ومن الاسلحة الاخرى المنجنيق فهذا السلاح شديد النكاية بالاعداء.

واخذت صناعة الاسلحة في الاندلس تأخذ من اهتمام الامراء والخلفاء، فقد صنعت كثير من الاسلحة المعروفة داخل الاندلس والتي كانت تجهز للجيش كل حسب صنفه[3]، من هذا يتضح لنا بان الامراء والخلفاء اهتموا بالاسلحة وصناعتها اهتماماً كبيراً لتعزيز قدرات الجيش.

اما انشاء الاسطول البحري في القاعدة بمدينة المرية فقد اخذ اهتماماً من لدن حكام الاندلس[4] وذلك لمواجهة المخاطر البحرية المتمثلة بالنورمانديين والفاطميين اعداء الامويين والمتحالفين مع المتمرد عمر بن حفصون وامداده

---

(1) خطاب، محمود شيت، جيش المسلمين في عهد بني امية، دار الفتح للطباعة والنشر، (بيروت، 1966)، ص33.

(2) عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الاسلام دار المعارف، (مصر، 1961)، ص30.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، 1/ 142.

(4) ينظر: سالم: عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، ط1، دار دار النهضة، بيروت، 1969؛ ابو الفضل، د. محمد احمد وسالم، د.عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الاندلسية في العصر الاسلامي، الهيئة المصرية، الاسكندرية، 1981.

بالذخيرة العسكرية والمؤنة فضلاً عن المخاوف من الممالك النصرانية عن طريق البحر.

وحقق الاسطول الاندلسي انجازات وانتصارات عسكرية ناجحة تستحق الفخر والاعتزاز وفتح مدن ساحلية كما جاء في كتاب اخبار مجموعة بالنص: "...حتى فتح الله ما وراء البحر من المدن الجبلية والمعاقل المنيعة كسبته وطنجة وغيرها ... حتى وطت بلاد البربر"[1].

كما تم انشاء دور صناعة الترسانة في طرطوشة وانشاء للمراكب الكبار من خشب جبالها[2].

مما تقدم فقد كان الجيش الاندلسي منظماً تنظيماً جيداً وقد اولى الامراء والخلفاء بالاهتمام به، وقد حقق انتصارات عظيمة بفضل التوجيهات والتوصيات الصادرة منهم وكان موضع تقدير ورعب دائم لاعداء الاسلام.

ثانياً: الوصايا والتوجيهات السياسية العسكرية تجاه اخطار الممالك النصرانية

اما التوجيهات العسكرية التي مارسها امراء الاندلس في ثغورهم فيمكن متابعتها على النحو الاتي:

شهد عصر الامارة نشاط جهادي ضد تهديدات الممالك الاسبانية وصد هجماتهم على الحدود الاسلامية وذلك بشن حملات او غارات عسكرية تطلق من الثغور الاندلسية او من الحاضرة قرطبة فقد كانت الحرب سجالاً بينهما.

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص155.

(2) الحميري، الروض، ص124.

اولى الداخل الى الاهتمام بتقوية الثغور، لذلك فقد اوصى ووجه عماله وجنده الى تحصين قلمرية وقورية وطلبيرة وطليطلة، وهي من الثغر الادنى للاندلس، وكذلك الحال بالنسبة للثغر الاعلى وقاعدته سرقسطة، فقد كان شديد الهمة في مجاهدته الكفار، وقد عنيّ بتلك الثغور، وتراه يرسل الى عماله وجنده بارشادات وتوجيهات عسكرية بأخذ الحيطة والاحتراس المتواصل، وتحصين كل المناطق وذلك بعد ان خسر اراضي منها نتيجة انشغاله بالفتن الداخلية، وجاءت نتائج تلك التوجيهات للجيش المرابط ووضع الخطط السوقية اللازمة بالاتفاق مع قادة الجند هناك استرجاع الاراضي التي اخذت منه، بعد ان تمكن من طرد الاعداء بقوة السلاح وتوصياته لجنده(1).

وبعد ان تمكن من استرداد تلك المناطق اوصى جيشه المرابط ان يكونوا شديدي المراقبة لان العدو قد يستعمل بعض الافراد سياسياً لمشاغلة الامارة بالتمرد عليها واستغلال ذلك لضم بعض المدن كما فعلوها بالسابق، وهذه من عاداتهم تأجيج الفتن كلما لاحت، لخلق حالة من الارباك والفوضى السياسية في داخل الامارة، تؤدي الى اضعاف السلطة وتسهم في قلة هيبتها. ففي عهده حدث مثل هذا النوع من التحرك السياسي والعسكري فقد تحدثت المصادر عن هجوم شارلمان على الاندلس في الثغر الاعلى الاندلسي وقاعدته سرقسطة كما نقل لنا العذري(2) مستغلاً محاولة سليمان بن يقظان الاعرابي بالتمرد على

---

(1) Levi Provencal, Historia de espana, (Espana Musulmanl k Madrid, 1976), P. 44

(2) ترصيع الاخبار، ص25. كنا قد اشرنا في توجيهات الامراء حول الاضطرابات الداخلية حول سليمان الاعرابي فلقد تحالف مع الممالك الاسبانية ضد الامارة الاموية.

=

الامارة وبدافع ومساعدة شارلمان ، تأهب الامير عبد الرحمن بن معاوية وبفضل توصياته وتوجيهاته افشل هذه المخططات. وفشل هجوم شارلمان ملك الافرنج على الاندلس ذات الطابع السياسي والعسكري والديني والاطماع بخيرات الاندلس وذلك بسبب انشغال شارلمان بثورات وتمردات القبائل السكسونية في بلاده وانسحاب جيشه خشية وخوفا من استعدادات الامير عبد الرحمن الداخل وتجهيزاته العسكرية المتطورة(1).

مما حدا بالداخل ان يشن حملة عسكرية بنفسه الى الشمال الاسباني لردهم

= ووصف لنا المؤرخ ابن الاثير صورة اخرى عن هجوم شارلمان على الاندلس بقوله: "سار عبد الرحمن الاموي الى سرقسطة بعد ان كان قد سير اليه ثعلبه بن عبيد في عسكر كثيف، وكان سليمان بن يقظان، والحسن بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرنا، وهما بها، فقاتلهما ثعلبة قتالا شديدا، وفي بعض الايام عاد الى مخيمه فاغتنم سليمان غرته، فخرج اليه، وقبض عليه، واخذه وتفرق عسكره، واستدعى سليمان قارله ملك الافرنج. ووعده بتسليم البلد وثعلبة اليه، فلما وصل اليه لم يصح بيده غير ثعلبة فاخذه وعاد الى بلاده. وهو يظن انه ياخذ به عظيم الفداء، فاهمله عبد الرحمن مدة ثم وضع من طلبه من الافرنج، فاطلقوه" ينظر: الكامل، 6/ 63-64.

وذكرت لنا مصادرنا التاريخية الحديثة عن قيام شارلمان بمهاجمة بلاد البشكنس وعاصمتها بنبلونة، مما دعا حاكمها اورالي الى التحالف مع الاندلسيين، فسادت حقبة من السلام والاستقرار في الثغر الادنى بعد ان جرى هذا التحالف.

ينظر: عنان، دولة الاسلام، 1/ 214؛ الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)، ص68.

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص115، انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي، ص218- 226؛ خليل ابراهيم السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم، ص125.

وتأديبهم حيث غزا بلاد الفرنج والبشكش ومن ورائهم ورجع بالظفر[1]، وان لهذا الامر تأثير واضح على نفوس الجند وهي من العوامل المهمة لتحقيق النصر لان مساهمة الامير بقيادة الحملات الجهادية ومواجهة الاخطار تشجيع للمقاتلة وتزرع الثقة في نفوسهم فضلاً عن كونها ارهاباً للعدو، وبالتالي فان توجيهاته وتوصياته للجند مباشرة كانت ذات تأثير اقوى عليهم.

وقد ذكرت بعض المراجع ان الامير الداخل عقد معاهدة مع اهل قشتالة في سنة 142هـ/ 759م بعد ان غزاها، امدها خمسة سنوات كتبت بالعربية وقد جاء فيها بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب امان، الملك العظيم عبدالرحمن للبطارقة والرهبان والاعيان والنصارى والاندلسيين، اهل قشتالة ومن تبعهم من سائر البلدان، كتاب امان وسلام وشهد على نفسه، ان عهده لاينسخ ما اقاموا على تأدية عشرة الاف اوقية من الذهب وعشرة الاف رطل من الفضة وعشرة الاف رأس من خيار الخيل ومثلها من البغال مع الف درع والف بيضة، ومثلها من الرماح في كل عام الى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنتين واربعين ومابة[2].

وهذا مايستنتج منه ان عقد الهدنة والمعاهدات والصلح تمليها ظروف القتال واحوالها، ومما تقدم من عقد هذه المعاهدة مع اهل قشتالة جاءت نتيجة النجاح الباهر التي حققته حملة عبدالرحمن الداخل الى تلك المنطقة.

---

(1) ابن خلدون، العبر، 4/ 124؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 333.

(2) لكن عنان يشك في صحة الارقام الواردة في هذا العهد. ينظر: دولة الاسلام، 1/ 196. وقارن: حمادة، الوثائق السياسية، ص134.

وفي سنة 150هـ/ 767م وجه الداخل جيشاً بقيادة مولاه بدر الى البة والقلاع، ورغم اهلها على اداء الجزية وقبض على الكثير ممن اشتبه بولائه للامارة (1).

وهذا مايثبت لدينا ان قائد جنده كان يحمل معه التوصيات والتوجيهات من اميره، وربما انه اوصاه ان يرغم اهلها على دفع الجزية في حالة انتصاره عليهم، وهذا مايعطي انطباعاً ان بعض الاوامر التنفيذية تعطى الى القائد الاعلى الميداني باتخاذ مايراه مناسباً لنجاح الحملة وتحقيق الاهداف المرسومة لها.

لم تتحدث المصادر عن محاولات اخرى للامير الداخل في توجيه حملات حربية تجاه الممالك النصرانية، فقد تكون الثورات الداخلية التي حدثت ايامه لم تعطيه الوقت الكافي للغزو وتوجيه الجيوش، لكن هذا لايعني انه لم يكن يعطي توصيات وتوجيهات الى عماله وجنده المرابط على الثغور بالاحتراس واليقظة لرد أي طارئ او كل مايتطلبه الوضع الحربي في تلك الثغور.

اما في عهد الامير هشام بن عبدالرحمن فهو الاخر تحذوه الرغبة في الجهاد فبعد ان قضى على الفتن والتمردات الداخلية واتهم انه غير قادر الا على ابناء جنسه وانه لايستطيع مقارعة الاعداء، من هذا المنطلق اعلن الجهاد وعبأ الجيوش لمقاتلة اعداء الدين فاعلن الجهاد مراراً، ففي سنة 175هـ عبأ جيشاً وضع تحت قيادة ابا عثمان عبدالله بن عثمان، وبلغ عدد جيشه حوالي الاربعين الف

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 80. وجعل ابن الاثير الغزوة عام 149هـ. ينظر: الكامل، 5/ 590. وقارن عنان، دولة الاسلام، 1/ 213.

مقاتل[1]، وكان توجه هذا الجيش الى البة والقلاع، فتوغل الجيش في جليقية، وقد املى عليهم صلحاً مقابل قيام اهل جليقية نقل التراب والاحجار من سور اربونة الى قرطبة ابتنى فيه مسجداً [2].

يظهر من ذلك ان الامير هشام اراد بتوجيه الجيش الى تلك المناطق كانت له الاثر في جعل تلك المناطق ان تشعر دائماً بقوة الامارة وهذا من ضمن سياق الامارة في توصياتها وتوجهاتها السياسية والعسكرية وهي جهاد في سبيل الله فضلاً عن كونها تكبح الاطماع النصرانية ومخططاتها من زحزحة الوضع الداخلي للامارة وهذا هو سر صمود الامارة بالاندلس في وجه اعداءها انها تبنت سياسية حربية متواصلة، وان توصيات وتوجيهات الامارة الى الاحتراس والحيطة والحذر المتواصل، ما جعل في كثير من الاحيان اذعان الممالك النصرانية الى الامارة وكما بينا في قيام اهل جليقية نقل التراب والاحجار صاغرين الى الامارة.

كما قام الامير هشام بن عبد الرحمن بارسال حملة عسكرية عام

---

(1) ابن الاثير، الكامل، 6/ 123.

(2) ابن الاثير، الكامل، 6/ 123-124؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 316؛ المرابط، جواد، عبر وعبرات من دمشق الاندلس، (بيروت، 1969)، ص18.

كانت اغلب الجيوش والحملات التي تخرج من قرطبة الى الشمال تسلك الطريق المار بطليطلة ومنها الى وادي الحجارة ثم الى مدينة سالم، ثم الى الثغر الاعلى وقاعدته سرقسطة، وبعدها تمضي الحملة مع نهر ابرة نحو منابعة حتى تفضي الى البة والقلاع حيث الحدود الجنوبية والغربية لمملكة ليون المتاخمة للدولة العربية الاسلامية في الاندلس.

ينظر: السامرائي، خليل، الثغر الاعلى الاندلسي، (بغداد، 1976)، ص175.

(176هـ/ 792م) الى برطانية في بلاد الافرنج خلف جبال البرت ويطلق عليها (الارض الكبيرة) وغيرها من المناطق، قاد الحملة الوزير عبد الملك بن مغيث الرومي ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى اربونة وجرندة فاثخن فيها، ووطئ ارض برطانية[1].

وتشير المصادر الاندلسية عن قيام الامير هشام في سنة 178هـ بارسال جيشين، الاول يتجه صوب جليقية ووضع وزيره عبد الملك بن عبدالواحد بن مغيث على رأس الجيش، اما الثاني فوقع اختياره على رأس جيشه الى القائد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث متوجهاً الى البة والقلاع[2]. لقد تقدم الاخوان الى تلك البلاد بجيشهما ودارت معهم معارك عدة كانت سجالاً بين الطرفين، فامر الامير هشام بارسال جيشاً ثالثاً اسناداً لحملته الاولى، ففتحوا مناطق كثيرة من بلاد جليقية، ولما ارادوا الخروج اعترضتهم جيوش الاعداء فسقط الكثير من الاندلسين شهداء[3] ويشير عنان[4] ان هذه الحملات المرسلة

---

(1) المقري، نفح، 1/ 237.

وفي سنة ست وسبعين بعث هشام وزيره عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ اليه والقلاع واثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر الى اربونة وجرندة فاثخن فيها ووطئ ارض سرطانية وتوغل في بلادهم ورجع بالغنائم لاتحصى ابن خلدون، العبر، 4/ 125.

(2) ابن الابار، الحلة السيراء، 1/ 135؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 125؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 316- 317.

(3) ابن الاثير، الكامل، 6/ 146؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 24؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 317.

(4) دولة الاسلام، 1/ 225.

من قبل الامير هشام كانت اخر غزواته.

من الملاحظ على هذه الحملة ان الامير كان في اتصال دائم مع قواده على رأس الجيوش يأخذون منه التوصيات والتوجيهات بعد اعطائه موقفهم على ارض الواقع، وهنا نلاحظ انه ارسل الامدادات حاملين معهم الوصايا والتوجيهات الحربية والخطط السوقية، فضلاً عن ذلك ارسال المدد هو المحافظة على تعبئة الجيش اثناء القتال لكون التهاون في مثل هذه الامور يعني الفشل العسكري، لهذا كانت الوصايا والتوجيهات في هذا الصدد متواصلة، كما ويعطينا انطباع اخر ان خطوط الامدادات بين مركز انطلاقها الى مواقع قتالها كانت مأمنة وهذا مايدلل نجاح الخطط العسكرية في ارسال الحملات العسكرية الجهادية الى مناطق بعيدة عن مركز الامارة على الرغم من ان النص اعلاه قد بين ان اعتراض الجيش من قبل الاعداء قد يحدث ربما لسوء التقديرات في بعض الاحيان.

اما في عهد الحكم بن هشام (الربضي)، فهو لايختلف عن امراء بني امية في الاندلس من الحزم والدهاء، والنزعة الى الغزو والجهاد[1].

وعلى الرغم من كثرة الفتن الداخلية لكنه كانت له وقائع مشهودة وكثيرة مع الاسبان، فكثيراً ماكان يتفقد الثغور ويوجه ويوصي عماله، والاستعداد الدائم للجهاد واخذ الاهبة والاستعداد لمقارعة اعداء الدين في كل الاوقات والظروف[2].

---

(1) ابن عبد ربة، العقد الفريد، 4/ 412؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص129- 130؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 125؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 317.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص129.

ففي سنة 180هـ/ 796م ارسل الحكم صائفة بقيادة حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع، وقد نجح الاندلسيون من الانتصار على قوات الفونسو الثاني، مما دفع بالاخير الى التحالف مع شارلمان مما ادى الى الاستيلاء على معظم مدن الثغر الاعلى الاندلسي بما فيها برشلونة[1]، مما حفز هذا النجاح الاسبان المتواجدين في بلاد البشكنس للقيام بتحرشاتهم تجاه الثغور الاندلسية[2].

ادت هذه النتائج الى انسحاب الاندلسيين من هذه المعارك، فاستفحل امر اعدائهم الذين استولوا على عدة مناطق، حتى وصل الامر الى ان استغاثت امرأة عربية بالحكم في منطقة وادي الحجارة فيشير ابن عذاري[3] الى قول المرأة بقولـه: 'واغوثاه ياحكم، قد ضيعتنا واسلمتنا، اشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا'. ولما وصل نبأ هذه المرأة الى الامير الحكم امر بالاستعداد الى الجهاد في سنة 194هـ/ 809م، فخرج مجاهداً بنفسه، وهزم الاسبان في عدة مواضع[4]، وبهذه

---

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص225- 226، رينو، جوزيف، تاريخ غزوات العرب، ترجمة: شكيب ارسلان، (بيروت، 1966)، ص176.

(2) للتفاصيل ينظر: السامرائي، خليل ابراهيم، الثغر الاعلى الاندلسي، (بغداد، 1976)، ص204 ومابعدها.

(3) البيان المغرب، 2/ 109. قارن: مجهول، اخبار مجموعة، ص129.

(4) مجهول، اخبار مجموعة، ص129؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 110؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 238.

وفي هذا قال العباس بن ناصح حول هذه الحادثة شعراً، مما حدا بالامير الحكم ان ينظم بيتان له رداً على ذلك اذ قال:

ألم تر ياعباس اني اجبتها على البعد اقتاد الخميس المظفرا.

=

الانتصارات التي حققها الحكم الربضي على الاسبان استرد اعتبار العرب المسلمين ومانالوه من الاسبان، وتشير المصادر التاريخية انه ذهب الى المرأة التي استغاثت، سائلاً اياهم هل اغاثكم الحكم، مما سارعوا الى انه قد اشفى الصدور[1]، وقد توالت حملات الامير الحكم وسراياه في التوغل في بلاد الاسبان وافتتاح الحصون[2].

ولابد من الاشارة ان الامراء كانوا يوجهون الصوائف والشواتي، ولم يقتصر الحال على واحدة كل سنة، بل كانت هناك صوائف دائمة، وشواتٍ عند الحاجة، وربما تبقى تلك القوات مرابطة في تلك المناطق وحسب الوضع الحربي[3]. فضلاً عن ذلك فقد اوصى الامراء الى ان تغدق عليهم الاموال لمن رغب الاستقرار في الحصون ويبقى مرابطاً لصد الهجمات.[4]

اما في عهد الامير عبدالرحمن بن الحكم، فقد سار على النهج ذاته الجهاد تارة بنفسه ومرات كثيرة يأمر بجيوشه الى دك معاقل الاسبان وغيرهم من اعداء الله والدين، ففي سنة 208هـ/ 823م ارسل بصائفته المعروفة بغزوة البة

=

فاركت اوطاراً وبردت غلة ونفست مكروباً واغنيت معسرا

مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص69.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 110؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 36.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 110.

(3) المصدر نفسه، 2/ 110.

(4) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص64.

والقلاع[1]. فامر بارسال الجيش ووضع الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث قائداً لهذا الجيش وسار الجيش نحو الحدود الشرقية للثغر الادنى، وقد اوصاه الامير ان يبقى مع جيشه قريباً من الحدود حتى تتوافد عليه المزيد من الحشود بعد ان امر الامير عماله بارسال مزيداً من الجند لتنضم الى الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد الى الحدود، وقد نفذ الحاجب الوصية والتوجيه وبقي في القرب من الحدود الى وصلته اعداد كثيرة من المدن والكور منفذين ما اوصاه ووجه له الامير بهذا الشأن، الى ان تكامل العدد[2]، اخترق الحاجب والجيش البة والقلاع وهزم الاسبان، وصالح البعض على ان يدفعوا الجزية، واطلاق مالديهم من اسرى اندلسيين، وان يسلموا بعض قادتهم كفالة بسكينتهم[3].

وتظهر هذه العملية التنظيم الرائع والتعاون البناء بين القيادة العليا ذات الوصايا والتوجيهات في قرطبة، وساحة العمليات او جبهة القتال ذات الموقف الحربي ومنفذة الاوامر والتوصيات والتوجيهات وتنفيذ الاوامر من قبل عمال

---

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص19.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 123.

(3) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص19– 20؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 128؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 322– 323؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 253.

ويشير ابن عذاري: على ان الحاجب والوزير والقائد المظفر عبد الكريم بن عبد الواحد كانت هذه اخر غزواته، فقد قاد معظم الغزوات الكبرى منذ عهد هشام الى نهاية هذه الغزوة، فقد كان مختصاً على البة والقلاع، فقد توفى عقب عودته الى قرطبة سنة 209هـ/ 824م متتصراً في حملته الانفة الذكر. ينظر: البيان المغرب، 2/ 123.

المدن والكور والثغور لذلك سعياً للجهاد في سبيل الله ورفعة الـدين الاسـلامي الحنيف.

تكررت الحملات ايام الامير عبد الرحمن الاوسط ففي سنة 226هـ/ 840م ارسلت العساكر الى ارض الفرنجة وانتهوا الى ارض سـرطانية وحققـوا انجـازات رائعة وانتصارات كبيرة(1).

استمرت الحملات الجهادية على مملكة قشتالة وجليقية في الغرب والمناطق المقابلة للثغر الاوسط وقاعدته طليطلـة ومدينـة سـالم والثغـر الاسـفل وقاعدتـه قورية فتمثلت بحملات على بنبلونـة والبـة والقـلاع (قشـتالة) وجليقيـة الاكثـر خطـرا وتحركـا عسـكريا علـى الحـدود الاسـلامية ومـن ابرزهـا: حملـة عـام (229هـ/ 843م) بعث الامير عبد الرحمن الثاني حملة عسكرية الى بنبلونـة قادهـا ابنه محمد بالعساكر، وتقدم الى بنبلونة، فاوقع بالمشـركين عنـدها، وقتـل غرسـيه صاحبها، وهو من اكبر ملوك النصارى(2).

وهذا مايدلل ان الامير عبد الرحمن الثاني سار على نفس النهج السياسـي والحربي المتخذ من قبل الامراء السالفين، وذلك باشراك ابنه على قيـادة الجـيش لزرع حب الجهاد فيه اولاً ثم الممارسة الفعلية في قيـادة الحمـلات الـتي سـتعطي ثمارها فيما بعد حين يتسلم زمام الامـور في تسـيير الدولـة واعطـاء التوصـيات والتوجيهات للعمال والجند في العمليات الحربية.

---

(1) ابن خلدون، العبر، 4/ 129؛ المقري، نفح، 1/ 345.

(2) المقري، نفح، 1/ 337؛ "وبعث ابنه محمداً في العساكر سنة تسع وعشرين وحاصـر موسـى بتطيلة حتى صالحه وتقدم الى بنبلونة فاوقع بالمشركين عندها وقتل غرسـيه صـاحبها". ابـن خلدون، العبر، 4/ 129.

اما في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن اهتم بالجهاد ووجه الجيوش، وبعث العساكر الى الثغور الاندلسية لمقارعة الاعداء لاسيما نواحي برشلونة وما ورائها فعاثوا فيها وفتحوا حصون برشلونة.[1].

واهتم الامير محمد بن عبد الرحمن بالجهاد في قشتالة فبعث بحملة عسكرية سنة (247هـ/ 861م) وثم بعث الجيوش مع موسى بن موسى صاحب تطيلة فعاث في نواحي البة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع[2]

وفي سنة (264هـ/ 877م) ارسل الامير محمد ابنه المنذر الى بلد بنبلونة ومر بسرقسطة فقاتل اهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرب بلاد بني موسى ثم مضى لوجهة الى بنبلونة فدوخها ورجع[3].

والملاحظ ان في عهد الامير محمد شملت العمليات جزءاً هاماً من سياسته وتوجيهاته الحربية ويبدو من ذلك ان اراد كاسلافه ان تبقى الدولة العربية الاسلامية في وضع الجهاد الدائم والمتواصل ضد اعداء الاسلام.

اما في عهد الخلافة فكانت التوجيهات السياسية والعسكرية بصورة عامة خاضعة للاحوال الداخلية السائدة في البلاد، فكلما كانت الاوضاع مستقرة وهادئة في الاندلس يتفرغ الخلفاء لمكافحة الخطر الخارجي، وتجهيز الجيوش وتوجيههم لغزو اعداء الاسلام، وبالمقابل استغلت الممالك النصرانية في الشمال

---

(1) ابن خلدون، العبر، 4/ 130.

(2) المقري، نفح الطيب، 1/ 351. اسر فرتون- قائدهم- وبقي أسيراً بقرطبة عشرين سنة. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 97.

(3) ابن خلدون، العبر، 4/ 131؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 351.

الاسباني انتقال السلطة الى الامير عبد الرحمن الثالث بالتحرش والاعتداء على الثغور الاندلسية.

وقد اعتمدت سياسة الخليفة الناصر الخارجية على عدم الاعتداء على الجيران والاستعداد للدخول في مفاوضات سلمية وتوثيق علاقات الصداقة مع الممالك الاسبانية، ولكن عندما تحدث اعتداءات او عدوان حربي على حدود الاندلس كان لابد من توجيه الحملات العسكرية لردع العدوان وتأديب المعتدي[1].

(1) اتبع الخليفة الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الاسبانية والدول المجاورة وتم تبادل السفارات والهدايا مع عدد من ملوك الدول النصرانية بسبب قوة جيشه، وغنى الاندلس، والازدهار العلمي، والامن الاستقرار، والموقع الجغرافي المهم للاندلس وكان ملكه بالاندلس في غاية ما يكون من الضخامة ورفعة الشان، وهادته الروم، وازدلفت اليه، تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم، الا وجرت اليه، واوفدت خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية. ينظر: المقري، ازهار، 2/ 258؛ نفح الطيب، 1/ 343؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 137.

وتوجهت الوفود والسفارة من كل جانب قاصدة الاندلس، تخطب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها وكسب صداقة الخليفة الناصر باعتباره زعيم الامة الاسلامية. وابرز تلك السفارات واهمها كما وردت في المصادر الاسلامية هي:

سفارة عام 322هـ/ 934م من الملكة طوطة (تودة) اميرة نبارة التي عقدت اتفاق سلام مع الخليفة الناصر وحصلت على اعترافه بابنها كارثية سانجث الاول ملكا على نبارة ولكن طوطة رفضت الاتفاق وذلك في سنة 325هـ/ 937م فاستدعى الموقف القيام بتوجيه حملة عسكرية الى الشمال الاسباني لتاديب نبارة.

=

وفي هذا السياق اعلن الخليفة الناصر لعماله واوصاهم بتطوير الاسطول البحري وتنظيم جيشه وادخال عناصر جديدة اليه فضلا عن تطوير اسلحته لمواجهة المخاطر الخارجية والاستعداد تحسبا للمستقبل، وهذا التوجه السياسي

= سفارة عام 336هـ/ 973م وصلت قرطبة يذكر عنها ابن خلدون ذلك بقوله: "ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسنطين بن ليون بن شل واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود وكتب فيه العساكر بالسلاح في اكمل هيئة وزي وزين القصر الخلافي بانواع الزينة وقد اجاب الناصر على هذه السفارة بوفد رفيع المستوى لتوطيد العلاقة مع القسطنطينية" ويعث الناصر معهم هشام بن كليب ليجدد الهدنة ويؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين"

ينظر: ابن عذاري، البيان، 2/ 215 (اوردها سنة 338هـ)؛ ابن الخطيب، اعمال، ص37؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 142؛ المقري، نفح الطيب، 1/ ص324؛ الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، ص75.

ويورد لنا الحائك، وحمادة، رسالة من امبراطور القسطنطينية قسطنطين الى الخليفة الناصر حول ارسال كتابين كتاب الحشائش لاديوسقريدس، والثاني كتاب هيروشيوس في تاريخ الروم. لغة الاول يونانية والثاني لاتينية يقول فيها: "أن كتاب ديوسقريدوس لاتجتني فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف تلك الادوية، فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت، ايها الملك، بفائدة الكتاب، واما كتاب هروشيوس فعندك في بلدك من اللاتينين من يقرأون باللسان اللاتيني ويستطيع نقله منه الى اللسان العربي".

الناصر لدين الله، ص 112؛ الوثائق السياسية، ص 180.

وفيما يخص وصول وفود القسطنطينية ورد لنا المقري خطبة رائعة للقاضي منذر بن سعيد البلوطي امام الخليفة الناصر في حفل استقبال وفود الروم.

للتفاصيل حول الخطبة ينظر: نفح الطيب، 1/ 345- 348.

والعسكري قد علمت به الممالك النصرانية وعرفت الاجراءات الجديدة التي ادخلها الناصر في الجانب الحربي، لذا نرى انهم تقربوا اليه واحترموه وهابوه ومع ذلك نلاحظ ان الناصر اهتم باعداد حملات الصوائف والشواتي السنوية ضمن حركة الجهاد الاسلامي ضد الاعداء، وقد تحدث المؤرخ ابن حيان القرطبي عن تلك الحملات طيلة سنوات حكم الناصر، ومن اهم تلك الحملات كانت حملته على مملكة جليقية سنة 303هـ/ 915م وحقق فيها النصر[1].

فيشير ابن حيان[2] انه في عهد الناصر حال تهيئته الجيش لغزو جليقية سنة 322هـ/ 933م "... عهد الى نجدة بن حسين مولاه صاحب العسكر بالتقديم في جمهور الخيل وانهاض العلم وترتيب الردود والتعبئة للحرب وشد الجنبات وتقديم ثقات القواد وابطال الرجال في جهاتها فاقام ذلك ورتبه على حدوده ... ثم ناشب المسلمون اعداء الله الحرب، وهم معتصمون بوعرهم لايسهلون فجالت جولتها وامتدت مهلتها، فما لبث اعداء اله ان انهزموا قدام المسلمين من حضيض جبلهم التي دارت الحرب فيه الى معقلهم الذي اسندوا الى وعرته واصيب منهم عدد فيهم جماعة من فرسانهم واستشهد قوم من المسلمين المجتهدين رحمهم الله[3]"، ويستمر ابن حيان[4] في عرضه للمعركة فامر صاحب العسكر بالامساك عنهم الى ان يسهلوا اسهالاً ليتمكن منهم ففطن اعداء اله لذلك فامسكو من اعنتهم وحمل عليهم الجند فردوهم على اعقابهم، ومنح اله

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، 5/ 120.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، 5/ 340.

(3) المصدر نفسه، 5/ 341.

(4) المصدر نفسه، 5/ 341.

المسلمين اكتافهم فقتلوا جملة منهم فيهم صاحب حصن عرماج، ولاذوا بمعقلهم فلم يكن لهم بعد ذلك اطلال على العسكر ولا تعرضوا له.

وهذا يدل على ان الناصر كان يعطي لصاحب العسكر مهام وضع الخطط المناسبة مع سير المعركة، من اجل تحقيق النصر على العدو. ولهذا رأى الناصر انه لامتعل لعسكر بها، فخاف على المسلمين الضيقة، وفسخ عزمه في الايغال بهم للتدمير والنكاية، ورأى القفول بهم احزم في الرأي وادنى الى السلامة، فانثنى من هنالك قافلاً بجميع عساكره[1]، وهذا ما يدلل لنا ان خطوط الأمداد ووصول التوصيات والتوجيهات بين مقر القيادة العليا في قرطبة وساحة العمليات متواصلة بينهما.

وفي عام 323هـ/ 934م عقد الناصر اتفاق سلام مع ملك جليقية الذي نقضه الملك بعد سنة واحدة مما استوجب الموقف الى شن حملة عسكرية تكللت بالنصر المؤزر للمسلمين[2].

ونرى من خلال هذا الاجراء العسكري بارسال الحملات على الرغم من ان ابن حيان لم يذكر لنا شروط الاتفاق ولا سير المعركة، لكن هذا يذهب بنا الى ان الناصر كان يسير على النهج التي اتخذته الامارة في شن الحملات الحربية لتأديب الاعداء، رغم ميله بعض الاحيان الى التبادل الدبلوماسي من هذا فان التوجيهات العسكرية للناصر لم تنقطع في ارسال الحملات فمن الواضح انه كان

(1) المصدر نفسه، 5/ 341.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، 5/ 365،379.

يعرف ان عهودهم زائفة وانهم ينقضونها حين يتحينون الفرص للانقضاض على الاسلام مما حدا بالناصر ان يتخذ موقفاً ازاء هذا النقض بتأديبهم.

وفي عام 327هـ/ 938م وقعت معركة الخندق التي استعد لها الخليفة الناصر واهتم بها قبل اوانها وبعث رسائل الى القبائل يحثهم ويرغبهم بالجهاد ويشدد على عماله الولاة واستكثر من الالات السفرية والعدد الحربية والاسلحة الشاكة، وانفق الكثير من الاموال لذلك[1].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت للمعركة لكن الحظ لم يحالف المسلمين لخيانة قائد الجند نجدة الصقلبي فضلا عن خيانة فرتون بن محمد بن الطويل، وكان للمعركة وقع كبير على الخليفة الناصر ومن اثارها نالت السلطان والمسلمين فيها حطمة عظيمة، وقتل فيها خلق واسر كثير، وملك سواد العسكر وعدة السلطان وسرادقه والاته السلطانية وفيها مصحفه الخاص به ودرعه الاثيرة لديه، فلم يك ياسى على شئ من ذلك اساه عليها، بعد ان اغرق في الوقوف والثياب بنفسه في طائفة خاصته[2].

وقد انزل الخليفة الناصر عقوبة القتل بحق الخونة من القادة في معركة الخندق ومنهم نجدة الصقلبي وفرتون بن محمد الطويل[3]. كما اقسم الناصر بان

---

(1) المصدر نفسه ،5/ 481.

(2) المصدر نفسه، 5/ 436.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص 73 "وانفذت امره باتخاذ الخشب والمصالب على ضفة نهرها، ولحين وصوله، تقبض على ما يناهز ثلاثمائة من الفرسان فصلبهم، وامر بالنداء عليهم "هذا جزاء من غش الاسلام، وكاد اهله، واخل بمصاف الجهاد".

لا يخرج بنفسه في الحملات الحربية بسبب خسارته المعركة واسفه على الخسارة المؤلمة ومن لدن هذه الغزاة، لم يباشر الغزو بنفسه[1].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص37؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 42.

ولم يغز الناصر بعدها بنفسه. ابن حيان القرطبي، المقتبس، 5/ 473. سنة 330 تم استعادة وارجاع مصحف الخليفة بفدية كبيرة.

وقد اورد عنان وحمادة نصاً لكتاب وجهه الناصر إلى أنصاره وولاته يشرح ظروف غزوة الخندق سنة 327هـ التي هزم فيها.

"... واستعزم الله أمير المؤمنين ليلته، واستخاره عن رحمته في النهوض إلى مدينة شانت ما نكش دار الكفرة ومجمع النصرانية، إلى أن استركن عدو الله وضاقت الحيل عليهم ووثقوا بحصانته، ليعلمهم أن كلمة الله هي إظهار دينه ونصر أوليائه وإعزاز خلفائه في مشارق الأرض ومغاربها، ولو كره المشركون. فضم صاحب المقدمة عمال الثغور عندهم وفرسانهم وخيلهم، واكتنف الجمع في مجنبتي العسكر مع من والاهم وجرد الرجالة من الخيول بأسلحتهم، وصمد لجمع المشركين، فأستقبلهم بنية صادقة ونفس صابرة وجموع كثيفة وكتايب تملأ الفضاء، ومغالب تضيق عنها الشعاب، ويصير في سهل الأرض كالآكام، تتألق عليهم سوابغ الدروع، فإذا تداعوا قلت: موج متراكم، وإذا وقفوا فكأنما النقع عليهم ليل مظلم، فلما قربت العساكر من محل الخنازير، ثابوا فيما بينهم، وثاروا إلى خيولهم وعلوا الشراقين، ينظرون إلى كتايب دين الله بقلوب قد خلعها الذعر، وقبضهم عن التقدم الوجل، وجعلوا بينهم وبين المسلمين وادي بشر رقة، ثقة بوعورته وقلة مخاوضه، فلم ترعهم إلا مقدمة الجيش ووراءه قد سهل الله عليه جوازه وتبعتهم الأنفال وتحيز أمير المؤمنين كدية سامية يتطلع منها على عسكر المسلمين، فأمر بالاضطراب فيها للعسكر، وتقدمت الخيول بين يديه. وقد تلاحقت جموع الكفرة، وقدموا صلبانهم، ووثقوا بشيطانهم الذي غرهم، وكان المسلمون على نشطة إلى لقاؤهم، فلم ينتظر أولهم إلى أن توافى آخرهم ولا فارسهم أن يقتعد براجلهم، وتخطوا الرماح إلى السيوف والطعن =

=

إلى الضرب، وكروا في حومة المنايا كر مـن يحمـي حليلـة، ويخشـى بعـد سـاعة أن تسـبى ذريته، فلم يرى المسلمون حرباً مثلها، ولا شهدوا يوم وغى أطول من يومهم ذاك. ونصر الله تعالى يهون عليهم ما هم فيه، حتى فضوا جموع المشركين، وزلزلوا ردؤهم الـتي كانـت أكاليل الجبال وردم الشعاب وضمهم إلى معسكرهم. وأثارت سنابك الخيل من القتـام مـا غيب من كان القلب عمن يليه من يمين الحرب ويسارها. وكان محمـد بـن هاشـم وقـدتها حاثاً سعيره، فقد طال به مدامها، واستدارت حوله رحامها، فكبا به فرسه، ولم يعلم أحـد بمصرعه، فصار في أيدي الخنازير أسيراً، فاستشفوا بـه الحيـاة بعـد اليـأس منهـا، فجـادلوا بنفوس قد عاودتها رمقها، وانحاز المسلمون إلى معسكرهم، قد قتلوا من أعـلام المشـركين وقوا مسهم وأهل البأس من فرسان الحرب، ومن صبر لوقع السـيف، فكانـت مصـيبتهم بمن قتل منهم عظيمة، فلما أصبح أمير المؤمنين لمحلته، أمر بحمل مـن عقـر فرسـه وصـلة، أغنى في حربه، وتعرض المشركون للحـرب تعـرض مـن قـد تنخـل لعـدو قـد أصـابهم، ونكايته قد فقلت قلوبهم؟ فلما كان في اليوم الثالث من احتلاله، عهـد أمـير المـؤمنين إلى صاحب المعسكر بمصاحبتهم بالحرب، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصـى بنبلونـه وألبـة القلاع وأهل قشتيلية، الى مشركي قلمريه، وكل صنف من أصناف العجم معهـم، وهتـف على المسلمين بالخروج تحت راياتهم، والتأهب للقاء عدوهم، وأغذوا في نهوضهـم، ونـزل صاحب العسكر، فرتب تعينهم، فكثف الردوء، وضم إليها الرجال، وألزم القلب بنفسـه، وميز فيه خيل الميمنة والميسرة وقدم إليهم المقاتلة، وأقام بين يديه جملـة الخيـل عـدة، فـإذا رأى في جهة من جهات الحرب خللاً سده واستدركه، أو فتقاً رتقـه، حتـى كانـت أيـدي المسلمين في ألما قط عاليه، فتلظت الحرب واحتدمت، وكأن المنايا إنما قصدت فيهـا أعـلام الكفرة وقوا مسهم، فصرع قو مس غـر مـاج، وابـن أخـي الخنزيـر ابـن فرذلنـد، وشـيخ النصرانية وعميدها ابن دخير، إلى العدد الجم من فرسانهم وأهـل الصـبر مـنهم، وانجلـت الحرب عن هزيمتهم، وانكشاف أجبل قد كانوا علوها وسدوا بالخيل والرجـال مـا بينهـا، وظنوا أن لا غالب لهم، فزلزلوا زلزالاً شديداً، وانصرف المسلمون بعـد الظفـر والسـلامة في المنقلب، فباتوا بأنعم بال وأسكن حـال. فلمـا ظـن أعـداء الله أن قـد ملـوا حـربهم،

=

وتجددت لهم مد ودهم، رفعوا معسكرهم، وقدموا صلبانهم وخرجوا بفارسهم وراجلهم، فألقوا إلى ما يلي منهم العسكر سراع خيولهم فبادر المسلمون إليهم تبادر الأسود الضارة، فغادروا موقفهم، وجادلوا بسيوفهم، حتى انفرج الموقف عن قتل عظيم من عظمائهم أعولوا عليه واستداروا حواليه، وانصرفوا قد أذلهم الله ووهنهم، وهون عليهم جمعهم ووفور مددهم في ضبط المعيشة وقلة التبسط ومصابحة الحرب وممارستها، حتى كأنهم أهل حصن حوصروا فيه، أو فل جيش لا يستطيعون الرجوع إليه. وأقام أمير المؤمنين ومن معه من جيوشه وحشده وأهل البصاير والحفايظ، وبلغ أمير المؤمنين أقصى أمله من إذلال جميع المشركين والاحتلال بساحتهم وانحياز طاغيتهم في أعلى شاهق، يرجو النجاة لنفسه، فأمر بالرحيل وقد ضاعف النظر، والعدو في ضبط ساقه جيشه لما توقع خروج الكفرة في أثره، وأصبح منتقلاً، فما أقدم أعداء الله أن ينظروا من الجيش إلا من بعد على رأس جبل. ونهض يطأ بلادهم وطأة متثاقل، حتى انصرف إلى نهر دويرة، واستقبل عمارته من حصن مناكش التي اتصلت بناكية أهله، فلم يدع في جيلقيه حصناً إلا هدمه ولا معاشاً إلا انتسفه، حتى انتهى إلى مدينة روضة، وهي خاليه على عروشها، فأقام على هدمها وهدم حصن دبليش معها يومين كان أطول على أعداء الله من عامين، لما غير فيها من نعمهم، وهدم من مساكنهم وقطع من شجرهم. وكان أمير المؤمنين غير التقدم على نهر دويرة الى شنت أشتين وغر ماج لنقص الزروع لديه وضيق العلف بإفساده، فرفع إليه من حضره م، أهل مدينة الفرج وحصونها يشكون ما يلقونه من مشركي وادي إبنيه ومعاقلها، وترددوا عليه ضارعين إليه، أن يجعل ممر الجيش المؤيد على حصونهم وعمارتهم، وذكروا أن ذلك انفع لهم ولأهل الثغور معهم من الإيغال في بلد المشركين، ونكاية من لا يناهم بغارة، ولا ينهض إليهم بقوة، فصرف الجيوش عند ذلك إلى وادي أبينه، فلم يدع فيها حصناً إلا هدم، ولا قرية إلا هدمت، ولا معاشاً إلا استقى جيعه. فلما صار في آخره ولم يبق موضع يقوم الجيش بالتردد عليه، أمر الأدلاء بالكشف عن أفضل الطرق إلى حصن أنتيشه، وأرفقها بالمسلمين في منصرفهم بـرازح ظهرهم وأحوط عليهم طريقهم، وأجمعوا على قصد حصن قشترب، وأيأسوا من الخروج على

وبعد وفاة الناصر تولى الخلافة بعده ولـه الحكـم الثـاني وكانـت الـبلاد

= غيره. فلما استقبل أمير المؤمنين لامـه، وقطـع بعـض محلتـه، اسـتقبل شـعراء لا يتخللـها المتفرد بحمده، ولا يتخلص منها المخف لو لم يكن أحد يعترضه. ثم أشـرف علـى خنـادق قفره، ومهاو تتقاذفه، وأجراف منقطعة قد عرفها المشركون وقدموا إليها، وألقوا إلى سـاقة الجيش فرسانهم ومتقدمي رجالهم جملة، لو أصيبت بحيث يتراءى الجمعـان لكانـت سـبب هزيمتهم، ولكنهم وثقوا بالوعد، وانتظروا تقـدم الحمـاة وتـرادف الأثقـال. فحـامي أمـير المؤمنين برجاله وخاصته عن المسلمين ساعات من النهـار، حتـى تقـدم أكثرهم وجـازت الخندق لقتالهم، إلا من ضعفت دابته أو ضعفت تعبئته عـن اسـتنفارها. فلمـا رأوا الخلـل تصايحوا من فتن الجبـال، وانحطـوا مـن أعليهـا انحطـاط الأوعـال، فأصـابوا مـن الأمتعـة والدواب المثقلة، ما لو أصابو مثله في مجال حرب أو سهل من الأرض، لما أنكر مثله عنـد مقارعة الرجال، وتصرف الأحوال. وحامي صاحب العسكر عن كل مـن أجـاز الخنـدق وخلص من مضايقة حتى أسهلوا، وأجتمع لأمير المؤمنين جيوشه وانتظمت جموعه وسلم الله رجاله، فلم يصب منهم أحد. وفي ذلك دليل للسامع عن الوقعة أنها لم تدر بغلبـة ولا ظفر المشركون فيما ظفروا به فيها عن مسـاواة ولا كثـرة. ولكـن ضـيق المسـالك، ووعـر الطريق، وسوء فهم الدليل، خلى لما جلبه إلى اقدار الله تعالى التي لا تصرف، ومحنه الـتي لم يزل يمتحن بها أولياءه ليعظهم ويبتلي عبيده ليرهبهم. وأمير المؤمنين شاكر لله تعـالى علـى عظيم نعمه، وواقف على تصرف محنته، مستسهل ما اختص به من حـب طاعتـه، ضـارع إلى الله في التقبل لقوله وفعله. وكتابه إليك، وهو قافل بالمسـلمين علـى أحسـن أحـوالهم، وأسهل طريقهم، وأجمعه لمعايشهم، إن شاء الله. فـأمر بقـراءة كتـاب أمـير المـؤمنين علـى الناس قبلك، إثر صلاة الجمعة ليشكروا الله على ما أنعم بـه مـن نصـر إمـامهم وسـلامة إخوانهم، والصنيع الذي عمهم، فأنه يحب الشاكرين ويزيد الحامدين. واعهـد بنسـخة إلى عمال الكور حولك إن شاء الله تعالى. والله المستعان. وكتب يوم الاثنين لثمان خلون مـن ذي القعدة سنة سبع وعشرين وثلاث ماية.

دولة الاسلام في الاندلس، 2/ 711- 714؛ الوثائق السياسية والادارية، ص 163- 168.

موطدة الاركان داخلياً لها وزنها الخارجي، وبقيت العلاقة مع الممالك النصرانية يسودها التوجس رغم ابرام اتفاقيات ومعاهدات كثيرة، ولان النصارى كما اسلفنا ينقضون تلك العهود لذلك شهد عصر الخليفة الحكم المستنصر نشاط جهادي على الممالك الاسبانية فضلا عن العديد من الانجازات العامة الاخرى ومن ابرز الحملات الحربية التي حدثت مع الممالك الاسبانية هي:

حملته عام 352هـ/ 963م وعرفت بمعركة شنت اشتبنن قام بها الخليفة الحكم المستنصر بالله في مملكة قشتالة (البه والقلاع)[1].

وتشير النصوص ان الخليفة الحكم المستنصر امر القائد غالب الاندلسي عام 355هـ/ 965م ان يذهب الى الشمال الاسباني لمقارعة الاعداء ففتح الله له في المشركين، وانصرف سالما غانما متصرا على الاعداء[2].

وقد اشرنا في صفحاتنا السابقة كيف ان الحكم المستنصر امر واوصى وزرائه بتعيين غالب الاندلسي على رأس الجيش فلا يخاطب الا به وقد بينا كيف قضى هذا القائد على خطر الحسن بن قنون (كنون)[3]، والملاحظ ان القائد غالب عبد الرحمن الاندلسي يتمتع بمزايا قيادية متميزة مما جعله الحكم المستنصر منفذاً لوصاياه وتوجيهاته السياسية الحربية سواء الداخلية لقضاء على الفتن، او لردع الخطر الخارجي بقيادته الحملات الجهادية ضد اعداء الاسلام.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 236.

(2) المصدر نفسه، 2/ 239.

(3) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، 69.

وفي عام 356هـ/ 966م اصدر الحكم المستنصر توجيهاً عسكرياً لقواده بغزو قشتالة وفيها كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم المشركين[1].

ويؤكد المؤرخ ابن عذارى[2] على اهمية المعركة بقوله: "قرئ كتاب فتح ورد من قبل القائد غالب، يذكر ما هيا الله له في كفرة قشتالة من القتل والاسر، فسر الخليفة بذلك".

اما في عام 357هـ/ 967م ارسل جيشاً وامرهم بغزو حصن قلهرة في قشتالة حيث احتل الوزيران القائدان غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري بجيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة[3].

ووجه حملة عام 364هـ/ 974م لغزو حصن غرماج في الثغر الاوسط قرب مدينة سالم، يروي ابن حيان[4] الحملة العسكرية بقوله: "توالت الاخبار من الثغر الاوسط باحتلال جيش العدو في جمع كثير من الجلالقة والبشكنس اهل قشتيلة وينبلونة بحصن غرماج من ثغر مدينة سالم واحاطتهم غادرين بذمتهم، ناقضين لعهدهم..." واهتم الخليفة الحكم المستنصر بالامر لمواجهة الخطر واوصى قائده غالب بن عبد الرحمن[5] لحرب المتمردين في حصن غرماج الذين استغلوا فرصة

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 239.

(2) المصدر نفسه، 2/ 240.

(3) المصدر نفسه، 2/ 241.

(4) المقتبس، 2/ 218، 226، 234.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 226.

انشغال الخلافة الاندلسية بمواجهة الخطر المتمثل في ابن كنون بالمغرب، وقد حقق القائد غالب انتصارات باهرة على الاعداء في الشمال الاسباني.

تؤكد المصادر الاندلسية ان حقبة الخليفة الحكم المستنصر امتازت بسمات خاصة من حيث الهدوء والازدهار الفكري والعمراني والدبلوماسي[1] قياساً

---

(1) ومما يجدر الاشارة اليه ان عهد الخليفة الحكم الثاني شهد نشاطا دبلوماسيا حيث استقبلت قرطبة عدد من السفارات الاجنبية نوجزها بالسنوات الاتية:

سفارة عام 351هـ/ 962م وصول اردونيو الرابع حاكم جليقية الى قرطبة بصحبة (20) رجلا من خاصته بصحبة غالب الناصري قائد الثغر الاعلى الاندلسي طالبا العون والمساعدة العسكرية من خليفة قرطبة. استقبل الخليفة السفارة بحفاوة وتقدير بالغين، وكان اول ما زار الملك الضيف (اردنيو) قبر الخليفة الناصر، مظهرا الحزن لفقده، حتى خلع قلنسوته وانحنى امام قبره، زيادة الاحترام. اما سفارة الملك سانجو الاول كانت في عام 355هـ/ 966م ملك ليون لطلب الصلح والسلام مع حكومة قرطبة فضلاً عن موفقة الخليفة بنقل رفات القديس بلايو الى ليون فاستجاب الخليفة لذلك الطلب وتم نقله في حفل ضخم. وفي عام 360هـ/ 971م جاءت سفارة من الملك بون فليوبن سندريط سفير حاكم برشلونة بريل سنير (343-382هـ/ 954-992م) ومعه 20 من الفرسان الى قرطبة، ويذكرانه قام بالتقرب اليه باهدائه اليه ثلاثين اسيرا من اسارى المسلمين، اذا علم ان ذلك افضل ما يسر به امير المؤمنين ويبتهج به ويكافئ عليه،واظهر الخليفة الحكم الثاني استعداده ورغبة حكومة قرطبة في توثيق العلاقات الطيبة والسلام الدائم مع برشلونة، وفي سنة 363هـ استقبل خليفة قرطبة ثلاث سفارات هي: سفارة برشلونة وسفارة الافرنج وسفارة قشتالة. وفي سنة 363هـ/ 974م وصول سفارة من حاكم قشتالة كارثيه فرناندث تعرض السلم والصداقة فالوقت الذي قام بالهجوم على حدود الاندلس ما اغضب خليقة قرطبة جراء تلك اللعبة السياسية الاسبانية مما دفع الخليفة الى طرد السفارة.

=

بالحقبة التي تلته.

وبداية حكم الخليفة هشام الثاني وعند اعتلاء الحاجب المنصور منصب الحجابة فقد أكد على الجهاد وجهز حملة عسكرية في السنة نفسها التي توفى فيها الخليفة الحكم المستنصر والحملة الى حصن الحاقة في أرض جليقية، فحاصره وأخذ ربضه، وغنم وسبى وقفل بالسبي والغنائم الى قرطبة الى ثلاثة وخمسين يوماً[1].

= السفارات المذكورة تؤكد لنا ان العلاقات الدبلوماسية الطيبة بين الاندلس واسبانيا النصرانية والاحترام والتسامح الديني وحاجة اسبانيا الى الاندلس في نواحي عديدة ليؤكد عصر الحكم الثاني تمتع بالسلام والتطور الثقافي فضلا عن انجازات عديدة ذكرت سابقا لتبرهن للتاريخ بكل فخر واعتزاز التعايش الحضاري الذي يسوده التقدم والامن والاستقرار والتفاهم المتبادل بين الجيران المسلمين والنصارى في عصر الخلافة الاندلسية.

للتفاصيل حول هذه السفارات ينظر: ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، الصفحات 21، 27 63-64؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 235؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 145، 182؛ المقري، ازهار، 2/ 228؛ 2/ 289-293؛ الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، الصفحات، 84، 98، 100، 101، 103، 104.

(1) ابن عذاري، البيان، 2/ 264؛ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4/ ج3/ ص44؛ مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 186؛ العذري، ترصيع، ص74.

علماً أن جليقية قد استعصت على الأمراء والخلفاء ومن فتحها لأسباب فيها بعدها، وعرة أرضها، وقسوة مناخها، ومناعتها، ومساندة الممالك الأسبانية والكنيسة لها، ونجح الحاجب المنصور بالحملة عليها والتي تكللت بالنصر المبين وكسب بها السمعة والشهرة العسكرية التي خلدته كقائد عظيم وسياسي بارز ومحنك أنجبته الأندلس لهذه الظروف والمحن والمصائب بتولي الخليفة الصغير والقاصر سياسياً وعسكرياً. تحدث المؤرخ المجهول =

قاد الحاجب المنصور سبعة وخمسون حملة عسكرية على الممالك الإسبانية المتمردين في الداخل خلال مدة قاربت من سبعة وعشرين عاماً من حكمه ولم يهزم قط في غزاه منها، وكان منها مؤيداً منصوراً عند اسمه[1].

ومن توجيهات العسكرية للحاجب المنصور في حملاته الجهادية على الممالك الإسبانية الشمالية تحدث لنا العذري عن جوانب من تلك المعارك التي تنطلق من المسجد الجامع بقرطبة بعد أداء الصلاة والخطب والمواعظ وسير

=

عن الحملة العسكرية الأولى للحاجب المنصور موضحاً بنصه: "...فقدم الناس من الثغور يشكون ما حل بهم فقره على المنصور بن أبي عامر وعرض نفسه على جعفر المصحفي ليجاهد العدو بنفسه ووعد من نفسه الاستقلال بأمر العدو والقيام بحروبه على أن يختار الجند ويجهز معه العساكر ويعطيه مائة ألف دينار للنفقة على الجند فأعطوه ما أراد من المال وجهز معه من الجيوش ما شاء فتوجه الى غزو جليقية وهي أول غزواته ففتح فيها فتوحاً عظيمة" مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 176؛ ابن عذاري، البيان ،2/ 264

(1) مجهول، ذكر بلاد الاندلس، 1/ 185. احصى الحملات برقم 57حمله، اما ابن الخطيب الغرناطي، فاحصاها 57حملة "واطرد له النصر العزيز في نحو 57من الغزوات أعمال، ص 58؛ ابن الابار، الحلة، 1/ 269" وغزواته في كل صائفة متصلة، ازيد من خمسين.

كما ان هذه الحملات ادت الى ان أكتسبت الأندلس احترام وتقدير من الممالك الإسبانية التي تقربت تلك الممالك بإرسال السفارات الى قرطبة تطلب عقد المعاهدات والاتفاقيات والتقرب منه حيث حضر الى قرطبة ملك نبارة سانجو كارش الثاني أباركا وقدم ابنته للحاجب المنصور الذي تزوجها واعتنقت الإسلام وسميت (عبده) وانجبت له عبد الرحمن شنجول. وفي عام 383هـ/ 993م أرسل فيرفوردو الثاني حاكم ليون أبنته تريسا الى الحاجب المنصور الذي قبلها كجارية له ثم أعتقها في ما بعد ليتزوجها.

عنان، دولة الاسلام، 2/ 583؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص247.

الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بحث المقاتلين على الجهاد وتحقيق النصر على الأعداء الظالمين ويذكر العذري عن غزوة الغابرة سنة 367هـ/ 977م كمثال عن غزواته "وهي التي كانت اول غزواته في الحجابة خرج لها من المسجد الجامع اثر صلاة الجمعة"[1].

تابع الحاجب المنصور العامري شخصياً الحملات وقدم النصائح والتوجيهات الحربية السديدة للمقاتلين مستفيداً من التوصيات العربية الإسلامية ومن حوادث التاريخ ففي حملته الحربية على جليقية أمر بالتعتيم وعدم إيقاد النار ليلاً من أجل إيهام العدو كما أكد لنا النص الآتي: "وفي ليلة نهى ابن ابي عامر عن وقود النار ليخفى العدو مكانه"[2].

اما الحاجب المظفر استمر على نهج أبيه في الشمال الأسباني، اذ تشير

---

(1) العذري، ترصيع الاخبار، ص 65؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص331-332.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4/ ج3/ 49؛ ابن عذاري، البيان، 2/ 271؛ المقري، نفح، 1/ 90؛ ابن خاقان، مطمع الانفس، ص20.

استفاد الحاجب من توجيهات وزيره وصاحبه جعفر بن عثمان المصحفي في البحث عن أهل الشجاعة والبسالة في حملاته ويشير الطرطوشي الى ذلك بقوله: "بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته إذ وقف على نشر من الأرض مرتفع فرأى جيوش المسلمين في يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره قد ملؤا السهل والجبل، فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي، فقال كيف ترى العسكر أيها الوزير؟ قال ابن المصحفي أرى جمعاً كثيراً وجيشاً واسعاً، فقال المنصور لا يعجزنا أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة".

الطرطوشي، سراج الملوك، ص331-332.

النصوص على انه شن سبع حملات عسكرية على الممالك الأسبانية، وقد لخص لنا ابن الخطيب الغرناطي عن جهاده بقوله: 'ولـه في الـروم وسـبيل الجهـاد آثـار كريمة: غزا سبع غزوات، منها الى برشلونة وبلاد الفرنجة، منها الى بنبلونه، ومنهـا الى غليسيه، ومنها غزوة الخريفية، ومنها غزوة قلونيـة، وآرهـا الـتي مـات قـافلاً عنها[1].

هذا ابرز مـا توصـلنا اليـه في دراسـتنا حـول انجـازات الامـراء والخلفـاء وماقاموا به سواء اكانت الحملات تقود من قبلهم او ترسل مـن قبلـهم حـاملين توجيهاتهم ووصايهم التي كانت لها الدور الفعال في تحقيق الانتصارات.

ثالثـاً: الوصـايا والتوجيهـات السياسـية والعسـكرية لمواجهـة الخطـر النورمـاني:

واجهت الاندلس في عصري الامارة والخلافة الخطر النورماني[2].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص87؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 3.

(2) النورمان: اصلهم جرمـاني وينقسـم هـذا الشـعب الى ثـلاث: السـويدون والنروجيـون والدنماركيون، ونتيجة للظروف الجغرافية وغيرها كان له الاثـر البـالغ الـتي قصـدتها كـل مجموعة من هذه الثلاثة في نشاطه الحربي والتجاري، فالسـويديون اتجهـوا الى شـرق اوربـا للتجـارة والغـزو واحيانـاً، والنرويجيـون اتجهـوا الى غـزو اسـكتلندا وايرلنـدا، واتجـه الـدنماركيون الى غـزو هولنـدا وبعـض سـواحل شـرق انجلـترا وسـواحل الامبراطوريـة الفرنجية. اما تسمية مصـادرنا الاندلسـية هـؤلاء النورمـان بـالمجوس الاردمـانيون، نتيجـو أستخدامهم النار للتدفئة، ويبـدو ان معتقـدهم الـديني يجعلـهم يقدسـون النـار وعبادتهـا بوصفها ظاهرة من الظواهر الطبيعية فضلاً عن استخدامهم النار في كل موضع يحلون بـه بل كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم.

=

وقد حددت مصادرنا التاريخية ولاسيما الاندلسية شهر ذي الحجة سنة 229هـ/ آب 844م تاريخ ظهورهم الاول على السواحل الغربية الاندلسية قبالة مدينة اشبونة[1].

= ينظر: ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص 27- 28؛ ابن الابار، الحلة السيراء، 2/ 372؛ العذري، نصوص عن الاندلس، ص31؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 87؛ الحميري، الروض المعطار، ص20؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، اوربا العصور الوسطى، (القاهرة، 1961)، 1/ 213؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، 227؛ اندلسيات، المجموعة الثانية، ص67؛ الكبيسي، غزوات النورمانيين في عصر الامارة، ص2.

ولعل الاندلسيين قصدوا من تسميتهم المجوس النورمان لان اصل هذه التسمية تطلق على الزرادشتية لانهم عبدة النار وبما ان هؤلاء النورمان كانوا على نفس الوثنية اطلق عليهم ذلك.

ينظر حول الزرادشتية: الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت429هـ)، الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، (مصر، 1381هـ- 1961م)، 2/ 54. ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، صححه وذيله: عبدالرحمن خليفة، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر، 1347هـ- 1982م)، 1/ 102.

(1) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 129. وقارن ذلك بنصوص حول ظهورهم: اليعقوبي، البلدان، مطبعة ليدن، (بريل، 1891)، ص354؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 16؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 48.

بينما ذكر المسعودي، ان ظهورهم كان قبل 300هـ بصفة عامة، بينما جعل ابن خلدون عام 226هـ بداية ظهورهم في السواحل الاندلسية. ينظر: مروج الذهب، 1/ 163؛ العبر، 4/ 129.

ان ظهور مراكب النورمان ذات الاشرعة السوداء[1] كـان مفاجئـة لاهـل الثغر الادنى، مما حدا بعامل مدينة اشبونة وهب الله بن حزم ان يوجـه كتابـاً الى الامير عبدالرحمن بن الحكم ايذاناً ببدء هجومهم على سواحل الاندلس الغربيـة باربع وخمسون مركباً فضلاً عن اربع وخمسين قارباً اخر[2].

وجـه الامـير عبـدالرحمن بـن الحكـم توجيهاتـه وتوصـياته الى عاملـه في السـاحل الغربـي الاندلسـي الى الـتحفظ والاحـتراس واوصـى ولاتـه علـى المقاطعات الساحلية بأن يمدو المساعدات الى عامل لشبونة بعد خطر الغزاة[3]، مما يدلل على ان هنالك توصيات سابقة على ان هذه الناحية الغربية مـن الانـدلس ينبغي ان تكون دائمة الاستعداد وأخـذة الحيطـة والحـذر الـدائمين لان مبادلـة العامل والامير بالكتب يدلل على ذلك، وكان مـن نتـائج نـزولهم انهـم احتلـوا لشبونة[4].

تشير النصوص الاندلسية ان اهل لشبونة لم ينتظروا ان تأتيهم قوات الامير عبد الرحمن بن الحكم بل نهضوا واستعدوا للقاء الغـزاة، وجـرت عـدة معـارك

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، نفاضة الجراب في علالة الاغـتراب، تـح: احمـد مختـار العبـادي، مراجعة: عبدالعزيز الاهواني، دار الكتاب للطباعة والنشر، (القـاهرة، بـلا. ت)، ص216 هامش(6).

(2) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 98. بينما ذكـر ابـن عـذاري بـان مراكـب المجـوس كانت نحو ثمانين مركب. ينظر: البيان المغرب، 2/ 130.

(3) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 130.

(4) العذري، نصوص عن الاندلس،ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 130.

ووقائع في تلك الناحية من الاندلس[1].

ومالبث من النورمان بعد ان لاقوا مقاومة شـديدة ان انحـدروا باسـطولهم صوب مدخل الوادي الكبير ليقوموا بغارة كبيرة على اشبيلية والمناطق المجاورة لها، ودخلوها قسراً وبقوا بها سبعة ايام يسقون اهلها كأس المرارة[2].

---

(1) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 16؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 130؛ النويري، 22/ 48؛ ابن خلدون، 4/ 129.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 89.

لقد اصاب اهل اشبيلية ذعراً نتيجة ذلك رغم محاولات المدينة من مقاومة عنيفة ومشاركة المراكب الاشبيلية المتواجدة هناك لتوقف تقدم النورمان لكن الامر انتهى باستيلائهم على المدينة، وقد اتخذوا من الوادي الكبير قاعدة لانطلاقاتهم.

ينظر تفاصيل ذلك ولجملة نصوص تصف ذلك: العذري، نصوص عن الاندلس، ص99؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 16؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 131؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 48؛ مؤنس، حسين، غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي 229- 245هـ العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1950، ص33.

وقد وصف لنا ابن القوطية مافعله المجوس بجامع اشبيلية وصفاً اسطورياً بعض الشيء ولكنه يصور لنا افاعلهم في البلد والوضع الذي خلفوه في نفوس اهل الاندلس بقوله: "وكان عبد الرحمن بن الحكم يرى في نومه عند تمام جامع اشبيلية انه يدخله فيجد النبي ﷺ ميتاً مسجى في قبلته، فانتبه مغموماً، فسأل اهل العبارة عن ذلك. فقالوا: هذا موضع يموت دينه، فحدث فيه اثر ذلك ما كان من غلبة المجوس على المدينة... وحدث غير واحد من شيوخ اشبيلية انهم كانوا يحمون سهامهم في النار، ويرمون بها سماء المسجد، فكان اذا احترق ماحوله السهام سقط، واثار السهام في سمائه الى وقتنا هذا ظاهرة، فلما يئسوا من احراقه جمعوا الخشب من احد البلاطات ليدخلوا النار وتتصل بالسقف". افتتاح، ص66.

استنفر الامير عبدالرحمن بن الحكم الثغور الاندلسية، من بداية نزولهم واحتلالهم اشبونة (لشبونة)، كما استنفر اهل قرطبة وبقية المدن الاندلسية لمقاومة هذا الغزو المفاجيء، فارسل اول الامر جيشاً بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد الذي كان يقود فرقة الخيالة في جيش قرطبة[1]. واردفها الامير بجيوش اخرى تقدمت نحو قرمونة التي تؤلف مع فرقة الخيالة جيشاً واحداً واتخذوا من موضع قريب من اشبيلية مقراً لقواتهم يعرف الشرف[2].

ولما عرف النورمان بقدوم الجيش الاندلسي بدأوا بقتالهم، وثبت الاندلسيون في مواطنهم حتى هزموا النورمان وقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً وطاردوهم حتى دخلوا مراكبهم، ولكن توقف الجيش الاندلسي فوت فرصة ثمينة من النصر[3]، واعطوا لهم الفرصة لتجميع فلولهم والاستعداد لجولة ثانية وهذا التهاون اغضب الامير عبدالرحمن بن الحكم مما جعل ان يوصي بمحمد بن سعيد بان يجعله قائداً على الجيش[4]، وامتثل محمد بن سعيد لاوامر الامير عبد الرحمن بن الحكم ومضى فيمن ضم اليه من الجيش فوراً، حتى نزل مدينة اشبيلية[5].

---

(1) ابن القوطية، افتتاح، 95؛ ابن حيان، المقتبس، 2/ 26. ويطلق عليه ابن عذاري عيسى بن سعيد، البيان المغرب، 2/ 130.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 130.

(3) الكبيسي، غزوات، ص7.

(4) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 17؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 130؛ النويري، 22/ 49.

(5) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99.

=

بدأ الجيش بعملياته الحربية وبتوجيهات وتوصيات من قبل الامير وفق خطط موضوعة تجاه ذلك، فاوصى الجيش بأن يتخذ من كنيسة قديمة في الجهة الجنوبية من اشبيلية مرصداً لرصد تحركات العدو، واوصاهم ان ينقضوا على العدو باجراء كمين لهم، وفي الصباح خرجت طائفة من النورمان تقدر بحوالي ستة عشر الفاً، ويبدو ان العدد هذا مبالغ فيه، يريدون التقدم نحو مروور، فلما وصلوا، حتى نهضت الكمائن اليهم وحملوا السيوف في رقابهم وتم قتل الكثير ففروا الى مراكبهم[1].

ان هذا الانسحاب الى مراكبهم لم يكتف به القائد ابن رستم الذي كان يحمل توصيات وتوجيهات الامير بمتابعتهم والاثخان بهم، وابن رستم كان كله تصميم على الحاق الهزيمة المرة بقواتهم وفي هذا الصدد يقول العذري[2] فاتبعهم

= يشير ابن القوطية ان موسى بن قسي الذي كان ثائراً على الامارة قدم بجيشه من اهل الثغر في قرمونة بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له وتذكيره بولاء جده للوليد بن عبدالملك الخليفة الاموي، فلان بعض الشيء وقدم مع جيش كثيف، الا انه لم ينضم مع القوات الاندلسية بقيادة محمد بن سعيد، وانما اثر الانفراد والقيام باعمال حربية اخرى ضد النورمان. ينظر تفاصيل ذلك: افتتاح، ص85.

ربما يكون هذا الانعزال لقوات موسى عن القوات الاندلسية مخطط له لاضعاف قوة الغزاة وقطع الاتصال للغزاة بسرايها الخارجية.

(1) ابن القوطية، افتتاح، ص86.

(2) نصوص عن الاندلس، ص99-100. ينظر: ابن الاثير، الكامل، 7/ 17. اما ابن عذاري فيجعل التاريخ يوم 25 صفر بدلاً من 2 ربيع الاول ويضيف ان المجوس خسروا في هذه المعركة ثلاثين مركباً. ينظر: البيان المغرب، 2/ 88.

ابن رستم ونزل عليهم يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول ونصب عليهم المجانيق... فانهزم المجوس وقتل منهم نحو خمسمائة علج واصيب لهم اربعة مراكب بمن فيها، فامر ابن رستم باحراقها وبيع مافيها من الفيء واقام في معسكره ذلك".

مما يلاحظ ان تصميم القوات العربية الاسلامية الاندلسية كانت مصممة على قتال الغزاة وملاحقتهم، الامر الذي ادى الى ان يخسر الغزاة اعداداً كبيرة من رجالهم براً واعداداً كبيرة من مراكبهم بحراً.

وفي هذا الاثناء انسحب النورمان الى مراكبهم وخرجوا من اشبيلية يجوبون البحر، وفي الوقت ذاته واصل الامير عبد الرحمن بن الحكم توجيه الامدادات فارسل خمسة عشر مركباً محملة بالمقاتلة والعدة، واحس المجوس فتراجعوا الى لبلة الى ان وصلوا باجة ومنها انتقلوا فاقلعوا وانقطع خبرهم[1].

وهكذا تخلصت الاندلس في جهاتها الغربية من خطر داهم ترك بصماته وآثاره الواضحة على الاندلس، ونتيجة لتعرض اشبيلية لهذا الهجوم اولى الامير عبد الرحمن بن الحكم اهتماماً وعناية خاصة بمدينة اشبيلية كبرى مدن الاندلس، وادرك ان عدم وجود حصن او سور للمدينة كان سبباً في سرعة اقتحام الغزاة لمدينة اشبيلية لهذا اوصى وامر بتسويرها، وفي هذا الصدد يشير ابن القوطية[2]

(1) ابن الاثير، الكامل، 7/ 17؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 346.

(2) افتتاح، ص86.

ويبدو ان فكرة بناء السور قد وصلت الى اسماع عبدالملك بن حبيب الفقيه الاندلسي المعروف لدى الامير عبدالرحمن بن الحكم فأيد الفكرة وافتى بأولوية بناء السور على اتمام الزيادة من المسجد الجامع بقرطبة يقول ابن حيان: كتب عبدالملك بن حبيب الى الامير =

ان الوزراء اشاروا على الامير عبد الرحمن بن الحكم بنيان سور اشبيلية.

وقد امر الامير عبد الرحمن بن الحكم بتوجيه عسكري لعماله ان ينشأوا رباطات على السواحل الغربية للثغر الادنى وجعلها مراكز للجهاد، يقيم فيها المرابطون والحراس، وقد اوصى بتزويدها بالمنائر التي عرفت بالطوالع[1].

ان الثغر الادنى منطقة ساحلية ولغرض حماية منطقته لابد من اقامة اسطول قوي لحمايتها، وقد اشار ابن القوطية[2] الى هذه النتيجة في سياق كلامه

= عبد الرحمن بن الحكم اثر محنة اهل اشبيلية وتحصينها ووافق ذلك ايام شروع الامير عبد الرحمن في بنيان زيادته بالجامع بقرطبة المشهور بها، وذكر له في كتاب ان بنيان سور مدينة اشبيلية وتحصينها أوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع، فعمل برأيه في بنيان سور اشبيلية. المقتبس، تح: الحجي، ص244. وقد وصف البكري هذا السور بانه كان محكماً ومبنياً بالحجر. ابو عبد الله عبد العزيز (ت487هـ)، جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد، (بيروت، 1968)، ص112.

(1) مؤنس، غارات، ص41؛ العبادي، المغرب والاندلس، ص150.

(2) افتتاح، ص88.

وقد عد حسين مؤنس هذه المبادرة على جانب عظيم من الاهمية اذ ان ميلاد البحرية الاندلسية الحربية تمت من خلالها. غارات، ص 41.

وهذا الامر لم يكن كذلك لان صناعة السفن وبناء المراكب في الاندلس بدأت من ايام الحكم الربضي.

ينظر: العدوى، د. ابراهيم احمد، الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط، (القاهرة 1963)، 67؛ العبادي، احمد مختار وسالم عبدالعزيز، تاريخ البحرية الاسلامية في البحر الابيض المتوسط، دار النهضة العربية، (مصر د.ت)، 2/ 175- 182؛ مؤنس، حسين، =

عن اعمال الامير عبد الرحمن بن الحكم واستعدادته وتوجيهاته بهذا الخصوص اذ قال: "واستعد الامير عبد الرحمن بن الحكم باقامة دار صناعة في اشبيلية، وانشاء المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فالحقهم ووسع عليهم بآلات النفط".

وبفضل هذا الاجراء والتوجه العسكري اصبح الاسطول الاندلسي الكبير يمتلك مئات المراكب[1]، واصبح عصر القوة الحقيقة للاندلسيين في البر والبحر[2]، وهذا كان له الاثر الايجابي في هزيمة النورمان بفعل قوة الاسطول الاندلسي والسرعة الفائقة في بناء البحرية الاندلسية كما سنرى حين عاد النورمان مرة ثانية الى غزو السواحل الاندلسية.

ومن الاثار المترتبة على اندحار النورمان تبادل الوفود اذ هناك رواية واحدة تشير الى تبادل السفارة بين الامير عبد الرحمن بن الحكم والملك هوريك ملك النورمانيين بالدنمارك اذ اورد الرواية ابن دحية[3] وذلك بان ملك الدنمارك

= المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد1، العدد1، 1951، ص128-129؛ عثمان، محمد عبد العزيز، "البحرية العربيّة في الاندلس، منذ بداية تاسيسها الى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر" مقالة في مجلة المورد، عدد خاص بالفكر العسكري عند العرب، العدد 4، المجلد 12، (بغداد 1404هـ 1983؛ العبادي، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الاندلس، ص 110.

(1) ابن حيان، المقتبس، 2/ 2؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج/ 89.

(2) باربر، فيفل، اثر القوة البحرية، صحيفة معهد الدراسات، مج 14، (مدريد، 1959)، ص317.

(3) ابن دحية الكلبي البلنسي (ت633هـ)، المطرب من اشعار المغرب، تح: الابياري وآخرون، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1955)، ص138- 146.

هو الذي ارسل الى الامير عبدالرحمن بن الحكم وفداً لطلب الصلح على اثر فشلهم وهزيمتهم في الاندلس، فاستقبل الامير عبدالرحمن بن الحكم وفدهم ورحب بعقد الصلح معهم وقرر ارسال سفارة الى بلادهم رداً على سفارتهم لتقوية العلاقات بينهما برئاسة يحيى بن الحكم البكري الجياني[1] المعروف بالغزال[2].

ونتيجة لتحولات الامور الكثيرة في كلتا الجهتين حالت دون استمرار معاهدة السلام، ففي الاندلس توفى الامير عبد الرحمن بن الحكم في سنة

---

(1) يحيى بن الحكم الغزال: ولقب بالغزال لجماله واناقته على الرغم من بلوغه السبعين وكان هو امير شعراء الاندلس في القرن (3هـ)، ولد بمدينة جيان في عهد الامير الداخل وعاصر الامراء هشام والحكم الربضي، وعبد الرحمن الثاني، والامير محمد وتوفى عام (250هـ/ 864م) وبذلك قد عاش قرنا كاملا وعايش خمسة من الامراء. تمتع شخصية الغزال بالموسوعية وقد جمعت الوان بين الدبلوماسية وعلوم الشريعة والفلسفة والاداب والفكاهة.

الحميدي، جذوة المقتبس، ص174؛ الضبي، بغية الملتمس، ص485.

(2) لقد تناول سفارة الغزال هذه الى ملك الدنمارك عدد من الباحثين المحدثين، حيث اوردو رواية ابن دحية ونقاشها باسلوب علمي وردا على بروفنسال الذي عدها اسطورة وانكر قيامها، فاكدوا قيامها وكونها حقيقة تاريخية ثابتة.

للتفاصيل ينظر، مؤنس، غارات، ص42- 64؛ عنان، دولة الاسلام، 1/ 180- 182؛ سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص158- 159؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص233، 234؛ محمد، صالح، يحيى بن الحكم الغزال، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1979). قارن: ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956، ص106-112.

238هـ/ 852م، وفي سنة 239هـ/ 853م توفى ملك النورمان هوريك، وسادت الفوضى وعدم الاستقرار داخل بلادهم اخذت اساطيل النورمان الى معاودة ممارساتها الاولية القرصنة والغزو في المناطق التي كانت تقع تحت نفوذهم وخارج مناطق نفوذهم[1]. ونتيجة هذ الفوضى تحرر قرصان النورمان من كل قيد.

واستناداً الى اقدم الروايات التي تذكر غزوهم الثاني وماترتب عليه من نتائج رواية ابن حيان[2] بقوله: "وفيها خرج المجوس لعنهم الله الى ساحل الغرب من ارض الاندلس، وهو خروجهم الثاني، خرجوا في اثنين وستين مركباً، فالفوا البحر محروساً ومراكب الامير محمد فيه جارية مابين حائط افرنجة في الشرق الى اقصى حائط غليسية في الغرب، وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتها المراكب المنصوبة الجارية من حائط جليقية في بعض مراسي كورة باجة فغنمتها من مال ومتاع وعدة وسبي".

والملاحظ ان المعاهدة التي تمت مع النورمان في عهد الامير عبدالرحمن بن الحكم والتي نقضها النورمان، كان يتحسب لها الامير محمد لذلك كانت توجهاته

(1) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 118؛ النويري، نهاية الارب، 22/ 53؛ ابن خلدون، العبر، 4/ 130؛ الحميري، الروض المعطار، ص224؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 328؛ مؤنس، غارات، ص64- 65؛ سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص162؛ العدوى، ابراهيم احمد، الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط، ص144-147.

(2) المقتبس، 2/ 307- 308.

يورد نفس الرواية ابن عذاري فهي وافية ايضاً في هذا المقام، البيان المغرب، 2/ 99.

وتوصياته ان تكون السفن الاندلسية تراقب البحر تحسباً لعودتهم او لقدوم غيرهم.

وتشير المصادر ان الامير محمد امر بأن يتم انشاء السفن واوصى ان تنشر في البحر حتى بلغ عددها سبعمائة غراب[1]، وبفضل توجهات الامير محمد والاهتمام بالجيش الاندلسي حتى بلغ ايامه الى مائة الف فارس، منهم عشرون الفاً بدروع الفضة[2].

ويواصل ابن حيان[3] في ذكر الاحداث على ان مراكب المجوس دخلت في الريف حتى انتهت الى مصب نهر اشبيلية ومايليها وذهب الرعب بهم، وبادر الامير محمد بتوجيه عسكري باخراج الجيش الى الغرب واستنفار الناس الى العدو الطارق، فنفرفوا من كل صوب وحدب، وكان القائد لجيش الامير نحوهم عيسى بن ابي عبيدة الحاجب، وتقدمت الكفرة عن اشبيلية.

ثم ذكر ابن حيان[4] تكملة لهجومهم على اشبيلية فيقول بروايته: 'وتقدمت

---

(1) الغراب: سفينة من سفن البحر القديمة. ينظر: ابن ابي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ص100.

لمعرفة اصناف السفن الاندلسية ذات التسميات العربية ينظر: النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم (الاسكندرية، 1974).

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص57؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص 99.

(3) المقتبس 2/ 307- 308. لم يذكر ابن حيان مادار وماحدث عن الاستعداد الشعبي لملاقاة النورمان.

(4) المقتبس، 2/ 308.

مراكب الكفرة من اشبيلية فاحتلت الجزيرة الخضراء وتغلبت على الحاضرة فاستباحتها واحرقت المسجد الجامع. وهذا يدلل على ان النورمان قد وطأوا الارض هذه المرة ايضاً واستباحوا حاضرة الجزيرة الخضراء.

وبفعل مقاومة السكان في الجزيرة الخضراء وللدور الذي قام به الجيش ومراكب الامير محمد وتوجيهاته وتوصياته الناجحة في صد الاعداء ومقاومتهم وارسال المدد المتواصل من قبله ان عاد النورمان الى بلادهم وانصرفوا عن الاندلس[1].

وعن مدى الاستعداد والتهيؤ والمقاومة في سواحل الاندلس الغربية كانت السفن تجوب المياه خارج سواحلها بغية القيام بحركة الاستطلاع والحذر لقدوم الاعداء اذ كانت توجيهات واوامر الامارة ذات تأثير مباشر في جعل الكمائن لهم مما تبين عندنا كيف تم تدمير بعض المراكب فضلاً عن اسر مراكب لهم.

لم يمض سوى سنتين حتى عاود النورمان الكرة من جديد بالاغارة على السواحل الاندلسية الغربية، فظهروا سنة 247هـ/ 681م في عهد الامير محمد في اسطول يتكون من ستين مركباً[2]، يبتغون فرصة سانحة للنزول الى السواحل الاندلسية ولكن الامر لم يكن كذلك من الانبساط في البحر، والاضرار باهل السواحل ماجرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعاً لشدة ضبطها[3]،

---

(1) المصدر نفسه 2/ 309؛ العذري، نصوص عن الاندلس، ص 119؛ مؤنس، غارات، ص69؛ سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص164؛ الكبيسي، غزوات، ص14.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص311؛ العذري، نصوص عن الاندلس، ص 119.

(3) ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص310. قارن: ابن القوطية، افتتاح، ص88؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 145.

فقد اتخذ الامير محمد ومعه اهل الاندلس الاحتياطات اللازمة لحماية سواحل الاندلس بعد الغارتين المذكورتين انفاً فاسرع الامير محمد بن عبدالرحمن الى تسيير الجيوش نحوهم واستنفر الناس اليهم، وقدم كليب بن محمد بن ثعلب في كثيف من الرجال الى الجزيرة واخرج اثيره الحاجب عيسى بن الحسن بن ابي عبيدة الى اشبيلية، واخرج عبد السلام بن عبدالله بن ثعلبة الى الرية، واكثف بهم العدد[1].

وهذا مايؤكد لنا ان الامير محمد كان مهتماً لهذا الامر اذ كانت توجيهاته المستمرة ذات تأثير واضح فضلاً عن الاستعداد المتواصل والاحتراس المستمر للسواحل.

ان مثل هذا الاحتراس والاستعداد على اكثر من جبهة لملاقاة الغزاة قد فوّت الفرصة عليهم فعندما تقدم اسطولهم الى جبهة اشبيلية تصدى لهم القائد عيسى بن الحسن ومن معه في الاسطول واجبرهم على الفرار[2]، ولذلك حاولوا ايجاد ثغرة للدخول لكنهم وجدوا في السواحل كل الاستعداد لملاقاتهم ولم يحققوا أي شي من السواحل الاندلسية وعلى حد تعبير ابن حيان[3] فنكبوا عن حائط الاندلس واعتلوا الى جهة الفرنجة، فلم يلقوا ظفراً واسرعوا الانصراف الى بلدهم بالخيبة.

وبعد هذه الغزوة لم نسمع عن غزو آخر لهم خلال عصر الامارة الا انهم عادوا الى مهاجمة السواحل الاندلسية في عصر الخلافة.

---

(1) ابن حيان، المقتبس، 2/ 311– 312.

(2) المصدر نفسه، 2/ 309.

(3) المصدر نفسه، 2/ 311.

عــاود النورمــان هجــومهم علــى الانــدلس في عهــد الخلافــة في ســنة 355هـ/ 965م رغم اختلاف تاريخ ظهورهم[1]، وعلـى كـل حـال فـان الخليفـة الحكم المستنصر ورجال اسطوله الاشداء كانوا علـى اتم الحـذر واليقظـة واهبـة الاستعداد لمواجهة مراكب النورمان اذ خرج اليهم المسلمون وكانوا لهم بالمرصاد فالحقوا بهم هزيمة ساحقة بعدها عاد الاسـطول الاندلسـي الى قاعدتـه باشـبيلية وانصرف النورمان المجوس خائبين[2].

وفي بداية رمضان سنة 360 هـ/ 970م ظهرت مراكب النورمان مرة اخرى على سواحل الاندلس الغربية وعهد الخليفـة الحكـم المستنصـر الى قائـد البحـر عبدالرحمن بن محمد بن رمُاحس بالخروج من قرطبة الى المرية والتأهب لملاقـاتهم ورد هؤلاء المجوس، فضلاً عن قيام الخليفة الحكم المستنصر باستئمان الاطعمة في كورة رية وشذونة لارسالها الى الاسطول، اذ هـاجموا السـاحل الشـمالي الغربـي

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 238.

في حـين يـذكر ابـن الخطيـب في موضـعين اولهمـا يـذكر هجـوم النورمـان علـى السـواحل الاندلسية دون تحديد سنة دخولهم، وفي مصنف اخر يحدد سـنة دخـولهم بسـنة 353 هـ. ينظر: اعمال الاعلام، 41- 42؛ الاحاطة في اخبار غرناطة، 1/ 478- 479.

بينما يذكر ابن خلدون ان ظهور المجوس سنة 354 هـ. ينظر: العبر، 4/ 314 قارن مع المقري، نفح الطيب، 1/ 383- 384.

ويلاحظ انه هناك اختلاف في ظهور النورمـان في عهـد الخلافـة مـابين 353- 355هـ، فربمـا ظهروا لعدة مرات خلال هذه السنوات.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 238- 239.

للاندلس ونزلوا ساحل جليقية وانصرفوا خائبين بعد ان عرفوا استعداد المسلمين لحربهم.[1].

ويبدو انه لم تحدث اية معارك بين الطرفين لانهم لمجرد معرفتهم بتأهب واستعداد العرب المسلمين لهم هربوا خائبين، فقد ادركوا صمود الخليفة الحكم المستنصر لحربهم، وحسن تدبيره عليهم بحيث جرد لهم القائد غالب بن عبد الرحمن قائد جيشه فضلاً عن تحريكه للاساطيل الثقيلة لذلك لم يجرؤا على ملاقتها.

بعد مضي عام على هجوم الفاشل على سواحل الاندلس الغربية عاود النورمان هجومهم على هذه السواحل لتحقيق مالم يتم تحقيقه في المرة السابقة، وفشلت محاولتهم ورد مصيرهم بالخيبة فردهم القائد غالب بن عبدالرحمن وعاد الى قرطبة منتصراً يقول ابن حيان[2] في هذا الصدد انه: في ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها احتل الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن ... قافلاً من غزاته الى سد الغرب التي تحول فيها واشرف على المجوس الاردمانيين الجائشين من هذه السنة فاستركب اليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة من التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة فيها الشطرنج والالوية فتقدم من محلته وبين يديه المراكب على اجل هيئة واتم اهبة الى ان وصل الى قصر قرطبة والخليفة يومئذ مقيم به فتوصل اليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له ومسائلاً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قوياً عزيزاً، فخلع عليه وانطلق الى داره محموداً سعيه.

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص23- 24.

(2) المصدر نفسه، تح: الحجي، ص 28.

وعلى الرغم من انصراف اسطول النورمان عن متابعة غارته على سواحل الاندلس وزوال خطرهم عنها فقد كان الخليفة مايزال يخشى عودتهم من جديد باسطول لغزو هذه السواحل فلم يطمئن لعودتهم المبكرة الى بلادهم وظل يتوقع قدومهم، وفي هذا الصدد يقول ابن حيان[1] "وفي يوم الخميس بخمس خلون من شهر رمضان منها استدعى الخليفة المستنصر بالله الى مجلسه الخاص مع الوزراء اصحاب الخيل زياد بن افلح مولاه وصاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان فامرهما بالتأهب للخروج قائدين على صائفة هذا العام المجردة الى الغرب لما لايزال يتوقع من عادية المجوس الاردمانيين الطارقين له".

فكان لحسن اعداد الحكم المستنصر في رسم الخطط لمعرفة اخبار النورمان واتخاذ كافة التدابير اللازمة للاحتياط الموقف اكبر الاثر في نكوص هؤلاء النوؤمان وردهم على اعقابهم ومن عودة الاسلام منتصراً بعد ان كفى الله المؤمنين شر القتال.

ففي عهد الخليفة الحكم المستنصر وزع وحدات جيشه على ثغور الاندلس حتى اذا ما اغار النورمان على ساحل من سواحلها تصدى له اقرب الاساطيل الى الساحل المذكور ريثما يتم تجميع بقية الاساطيل[2]، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على سياسته الحكيمة وحسن تدبيره واستخدمه لافضل الاساليب التعبوية الهجومية[3].

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص58، 78.

(2) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص47.

(3) طه، دراسات اندلسية، ص 71.

وهكذا انتهت غارات النورمان على عهد الخليفة الحكم بعد ان اعد للامر عدته وكبح جماح عدوه، فصار يحسب له الف حساب وهذا بلا شك دليل على مكانة وعظمة دولة الاسلام في الاندلس ومدى ماوصلت اليه في عهده.

مما تقدم ان للتوجيهات العسكرية والتوصيات المتواصلة من قبل الامراء والخلفاء في صد الهجمات الخارجية كان لها تأثيرها الواضح على صد كل الهجمات الطارئة التي حدثت في ايامهم، رغم كل الظروف المحيطة بالبلاد حينها فمن جهة الفتن والتمردات الداخلية، واعداء الاسلام الممالك النصرانية من جهة اخرى، لكن كان لشجاعة واقدام الحكام والجند والمرابطين في الثغور ثمارها في صمود الدولة العربية في الاندلس ومجاهدتهم في سبيل الله.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة، الاية 180

الان، وقد فرغنا بعون الله وهديه وتوفيقه من بحثنا، الذي توخينا فيه الوصول الى الحقيقة التاريخية، بقدر ما هيأه الله لنا، لعلنا بذلك قد اضفنا الى المكتبة العربية والتاريخية منها بوجه خاص، مايعد اضافة جديدة للعلم.

- ان الوصية بمعنى العهد أي يعهد الى الغير القيام بامر من خلال الحث والزجر لامور الحياة. وان ولاية العهد تعني ان يوصي الخليفة في حياته، بالاشارة على الرجل الذي يأتي بعده.
- الوصية مشروعة بالكتاب والسنة وقد وردت في آيات عدة من القرآن الكريم، كما وقد وردت في الاحاديث النبوية الشريفة.
- ان الخصائص والمميزات للوصية الوقوف على تلك الافكار السياسية التي عبرت عن وجهات نظرهم وما آلت اليه تلك الوصايا على الوضع العام للدولة.

- الوصية السياسية في عهد الرسول ﷺ، اعطى وصيته الى الامة الاسلامية في خطبة حجة الوداع، ثم اوصى باخراج اليهود من شبه الجزيرة العربية، واوصى بوفود العرب والعناية بهم.

- اما الوصية السياسية في العهد الراشدي فان الخلفاء وهم يوصون بالخلافة لولي عهودهم يتم عن طريق مشاورة قادة الامة في هذه المسألة السياسية الهامة.

- اما بالنسبة للوصية السياسية في العصر الاموي فقد تبدلت فيه مفاهيم واحوال الحكم، وظهور مبدأ الوراثة في انتقال السلطة من خلال ان يوصي الخليفة الاب الى الابن.

- كانت لخطبة طارق بن زياد في جنده تعد اول وصية وتوجيه عسكري على ارض الاندلس.

- تعرفنا على شخصية عبدالرحمن الداخل وكيف مهد لاقامة امارة بعد ان حققت الثورة العباسية سنة 132هـ انتصارها على الحكم الاموي في المشرق، وهروب الداخل الى الاندلس وتكوين امارة قوية لبني امية.

- اثبت البحث عن دور عبدالرحمن الداخل وما لديه من القوة الكافية والعزيمة الثابتة في انهاء التمردات والفتن والاضطرابات من خلال توصياته وتوجيهاته السياسية والحربية، حتى محاولة العباسيين باتت بالفشل لاسترجاع الاندلس.

- كان عهد الداخل مليء بالاحداث السياسية والعسكرية وقد تابع عماله ورعيته على احسن وجه وصدرت منه توصيات وتوجيهات في غاية

الاهمية سواء على الصعيد السياسي او العسكري كان لها اثرها الواضح في بناء دولة.

- تبين لنا ان الوصية السياسية في ولاية العهد بالاندلس من الامير الاب الى الابن لاتختلف عن ماجاء به بني امية في المشرق.
- الامراء الذين جاءوا بعد الداخل لديهم توصيات وتوجيهات سياسية وعسكرية هامة في جعل البلاد مستقرة في كثير من اوقاتها ولم يتهاونوا في محاسبة عمالهم من خلال اختيارهم الاحسن في ادارة امور الدولة الاخرى، كما ولم يتهاونوا في الرد على كل الفتن والاضطرابات التي تحدث انشقاقاً في الدولة، وقد انعكست هذه السياسية والتوجيه من امير الى اخر تدريجياً.
- تحول النظام السائد في الاندلس من الامارة الى الخلافة، بعد ان اعلن عبد الرحمن الثالث الخلافة. وهذا من التوجهات والتحولات السياسية الهامة.
- كانت التوصيات والتوجيهات السياسية للخلفاء تسير على نفس النهج الذي سار عليه اسلافهم من بني امية في الاندلس.
- لقد كانت العلاقة المتبادلة بين الدولة العربية في الاندلس سواء الامارة او الخلافة في سجال حربي متواصل بينها وبين الممالك النصرانية، فاغلبهم يصدرون توجيهاتهم السياسية والعسكرية لمحاربة اعداء الاسلام وادخال الرعب في نفوسهم.
- مالت حقبة الخلافة في بعض الاحيان الى اقامة علاقات دبلوماسية مع الممالك النصرانية وذلك من خلال السفارات الى الاندلس ومنها
- ان الانطباع السائد للخلفاء بالاندلس ذات توجه حربي متواصل لدك

معاقلهم في بلادهم لأنهم كانوا ينقضون عهودهم رغم ماذكرناه عن اقامة علاقات ود في بعض الاحيان وهذا من طبيعة المسلم الميل الى التسامح.

- كان اغلب الامراء والخلفاء في الاندلس على درجة من الحزم والدهاء السياسي والعسكري وقد منحوا بعض قادتهم وعمالهم تنفيذ الاوامر والتوصيات والتوجيهات وحسب واقع الحال لاسيما في الحروب فكان العمال وقادة الجند في بعض الاحيان لديهم رؤيتهم في المواقف وعلى الميدان.

- رغم صدور التوصيات والتوجيهات من الامراء والخلفاء الى عمالهم والرعايا لكن هذا لايمنع من اخذ المشورة والنصح من رجال الدولة وفقهائها.

- اما سياستهم الحربية مع الممالك النصرانية وتوجيهاتهم وتوصياتهم بهذا الخصوص كانت قد اعطت ثمارها اذ كانوا على قدر كبير من حماية اراضيهم والدفاع عنها بقوة السلاح.

- كشف البحث عن مدى اهتمام الامراء والخلفاء في الجند واعداده وتسليحه فضلاً عن اهتمامهم بالاسطول البحري الذي كان بفضل توصياتهم وتوجيهاتهم رد اعدائهم النورمان، وكان الساحل الاندلسي دائم الحذر والاحتراس بفضل متابعة الامراء والخلفاء لذلك وتوجيهاتهم المستمرة.

- كشف البحث عن دور الامراء والخلفاء في توجهاتهم الحربية وذلك من خلال قيادتهم الجيوش وهذا الامر له اثر فعال على الجند وتنفيذ التوصيات والتوجيهات بهذا الخصوص.

- لقد اثبت البحث ان الوصايا التي تركها الامراء الى ابنائهم كانت عصارة تجاربهم في الحياة السياسية والحربية.

اسأل الله تعالى، ان يوفقنا ويثبت اقدامنا لخدمة امتنا، وتراثها الزاخر بالبطولات والتضحيات، انه سميع الدعاء مجيب. والله ولي التوفيق.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة: الاية 105

الملاحــق

ملحق رقم (1)

بسم الله الرحمن الرحيم.

اما بعد: فان الله ذو الفضل والمن[1] والعدل، اذا اراد اتمام امر، وتهيمه لمن جعله اهله وكفيه، سدده واعزه، وانفذ قضاءه بفلحه، ولم يجعل لاحد من خلقه قوة على عناده ودفاعه، حتى يمضي في حكمه له، وعليه كما شاء، وختم في ام الكتاب، لامبدل لكلماته عز وجل. وانه لما كان يوم الاربعاء لثلاث عشرة من رمضان، تداعى فسقة [2] اهل قرطبة وسفلتهم، واذنبتهم من الشرطانيين، الدفئة،

---

(1) منن المنة بالضم القوة يقال هو ضعيف المنة والمن القطع وقيل النقص ومنه قوله تعالى فلهم أجرهم غير ممنون و من عليه أنعم وبابهما رد ومن عليه أي امتن عليه وبابه رد و منة أيضا والمنون الدهر والمن قطع الخير والمن الإحسان الذي تمن على من لا يستثيبه والمنة يقال قوة القلب ويقال انقطاع قوة القلب.

ينظر: الفراهيدي، العين 3/ 374؛ الرازي، الصحاح، 1/ 265.

(2) فسق الفسق العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق وقيل الفسوق الخروج عن الدين وكذلك الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه وفسق عن أمر ربه أي جار ومال.

ينظر: الفراهيدي، العين 5/ 82؛ ابن منظور، لسان العرب، 10/ 308.

قال تعالى ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ سورة آل عمران: الاية 82، وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ سورة الانعام: الاية 49، وقوله تعالى ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ سورة الاعراف: الاية 102.

المعلوجي[1] شراً وبطراً، عن غير مكروه سيرة ولا قبيح اثر، ولا نكر حادثة، كان منا فيهم، فاظهروا السلاح وتلينوا الكفاح، وهتفوا بالخلعان، وتأنقوا [2] بالخلاف، ومدوا عنقاً الى مالم يجعله الله له اهلاً من التأمير على خلقه والتسور في حكمه، فلما رأيت ذلك من غدرهم وعدوانهم، امرت بشد جدار المدينة فشد بالرجال والاسلحة ثم انهضت الاجناد خيلاً ورجالاً، الى من تداعى من الفسقة في ارباضها[3] فاقحموا الخيل في شوارعهم وازقتهم، واخذوا بفوهاتهم عليهم، ثم صدقوهم الحملات، وكورهم بالسدات المتواليات، فما صبر العبدان ان كشفوا السوءات، ومنحوا اكتافهم المتواليات، وامكن الله منهم ذوي البصائر المؤيدات، فاسلمهم الله بجريرتهم[4]،

---

(1) علج العلج من معلوجاء العجم وجمعه علوج والعلج حمار الوحش لاستعلاج خلقه أي غلظه والرجل إذا خرج وجهه وغلظ فهوعلج وقيل قد استعلج.

ينظر: الفراهيدي، العين، 1/ 228.

(2) أنيق في معنى مأنوقة أي محبوبة وأما أنيقة فبمعنى مؤنقة يقال آنقني الشيء فهو مؤنق و أنيق والأنق حسن المنظر وإعجابه إياك والأنق الفرح والسرور وقد تأنق في الأمر إذا عمله بنيقة

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 10/ 10.

(3) والربض ما حول مدينة أو قصر من مساكن جند أو غيرهم ومسكن كل قوم على حيالهم ربض ويجمع على أرباض ربض ويجمع على أرباض والربضة مقتل قوم قتلوا في بقعة واحدة.

ينظر: الفراهيدي، العين، 7/ 36.

(4) والرجل يجر على نفسه جريرة أي جناية وتجمع على جرائر وتقول في معنى من أجلك من جريرك ومن جراك وجنى فلان على نفسه إذا جر جريرة يجني جناية على قومه.

=

وصدعهم[1] ببغيهم، واخذهم بنكثهم[2] فقتلوا تقتيلا، وعملوا تدميراً، وعروا تشويها وتمثيلا، جزاء عاجلاً على الذي نكثوه من بيعتنا، ودفعوه من طاعتنا،

= ينظر: الفراهيدي، العين 6/ 14؛ ابن منظور، لسان العرب، 14/ 154.

(1) صدعتهم فتصدعوا أي فرقتهم فتفرقوا وإذا تغيب الرجل فارا في الأرض يقال تصدع به الأرض اشتقاقه من الصدع وهو الشق والفعل اللازم انصدع انصداعا وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قال الفراء أراد فاصدع بالأمر أي أظهر بدينك و تصدع القوم تفرقوا.

ينظر: الفراهيدي، العين، 1/ 292.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب 1/ 150.

قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة الحجر: الاية 94، وقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ سورة الروم: الاية 43.

(2) نكث: النكث نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها وفي حديث علي كرم الله وجهه أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين النكث نقض العهد وأراد بهم أهل وقعة الجمل لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته وقاتلوه وأراد بالقاسطين أهل الشام وبالمارقين الخوارج.

ينظر: الفراهيدي، العين 5/ 351؛ ابن منظور، لسان العرب، 2/ 196.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة الفتح (10) وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ سورة الاعراف (135) وقوله تعالى ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ سورة التوبة (12).

ولعذاب الاخرة اخزى واشد تنكيلا. فلما قتلهم الله بجرمهم فيها، واحسن العون عليهم لنا، امسكت عن نهب الاموال وسبي الذرية والعيال، وعن قتل من لاذنب له من اهل البراءة والاعتزال، ازدلافاً الى رضى الله ناصري عليهم ذي العزة والجلال، تهنأت صلحه وفلحه، واستوزعت حمده وشكره، فاحمدوا الله ذا الآلاء والقمع، معشر الاولياء والرعية، الذي اتاح لنا ولجميع المسلمين في قتلهم واذلالهم، وقمعهم واهلاكهم، مما اعظم به علينا المنة، وخصنا فيه بالكفاية، وتمم علينا وعليكم به النعمة، فقد كانوا اهل جرأة مقدم، وذعرة[1] ضلالة، واستخفاف بالائمة وظهير الى المشركين، وحطوط[2] اليهم وتحنن لدولتهم. فلله الحمد المكرور والاعتراف المذخور[3]، على قطع دابرهم وجسم شرهم، احببت اعلامك بالذي كان من صنع الله عليهم لولائك بنا ومكانك منا، لمشاركتنا في نصرته، وتحمد الله عليهم من شيعتنا ومعتقدي طاعتنا على جميل صنعه، وتشيعوا شكره عليه ان شاء الله[4].

---

(1) ذعر: الذعر بالضم الخوف والفزع وانذعر القوم تفرقوا.

ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 96؛ ابن منظور، لسان العرب، 4/ 306.

(2) الحط وضع الأحمال عن الدواب والحط الحدر من العلو وحطت النجيبة وانحطت في سيرها من السرعة وقال مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل وحط عنه ذنوبه قال واحطط إلهي بفضل منك أوزاري والحطاط شدة العدو.

ينظر: الفراهيدي، العين 3/ 18؛ ابن منظور، لسان العرب، 7/ 274.

(3) ذخرالشيء يذخره ذخرا واذخره اذخارا اختاره وقيل اتخذه وكذلك اذخرته وهو افتعلت.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 4/ 302.

(4) ذكر المؤلف انه نقل هذا النص عن مخطوط ابن حيان، المقتبس، ص103– 104.

ملحق رقم (2)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد. فان الله، تعالى جده وعز ذكره، جعل دين الاسلام افضل الاديان. فاظهره واعلاه ولم يقبل من عباده غيره.ولا رضي منهم سواه، فقال في محكم تنزيله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1]. وقضى في محتوم امره ونفاذ حكمه ان ينسخ به الديانات ويختم برسالته الرسالات، فبعث محمداً خاتم النبيين واكرم الاكرمين واعز الخلائق على رب العالمين بان كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل ان يخلقه، واصطفاه لامانته قبل ان يكونه وارسله بافضل دين سماه حنيفاً الى خير امة اختارها وسطاً كما قال عز من قائل اذ عرفنا فضل ماهدانا اليه من الدين وكرمنا به على سائر الامم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] . فله جل جلاله وتقدست اسماؤه، الشكر على خصائص هذه الفضيلة والحمد بالمنة الجليلة، فقد استنقذ من الغواية وهدى فاحسن الهداية، وانار فأبان الحجة وكفانا بواضح المناهج مؤنة الفكرة ونظم زمام الامة وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة

---

(1)﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ سورة آل عمران: الاية 85.

(2)﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ سورة آل عمران: الاية 110.

واجتناب نزعات الفرقة، حيث يقول عز وجهه لنبيه المخصوص بهداه ﷺ تحفياً به وبعباده، ورأفة بسطها على خير خلقه، واعلاماً لهم بتواصل الدين من قبله لانبيائه، وكراهة لاختلافهم بعد رسوله ﷺ [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه](1) الآية. فخوف وحذر ونهى عن تفرق الكلمة ونبه على البعد، ونفى الله الخبائث عنها، وفضلها على سائر البلدان، واستقر فيها الدين كهيئته يوم اكمله الله لعباده، ولما استوسعت الطاعة وشملت النعمة وعم الاقطار بعدل امير المؤمنين السكون والدعة، طلعت فرقة لاتبتغي خيراً ولا تأتمر رشداً من طغام السواد ومن ضعف ارائهم ومن خشونة الاوغاد متباً لم يعرفوها، ضلت فيها حلومهم وقصرت عنها علومهم. وظنوا انهم فهموا ما جهلوا وتفقهوا فيما لم يدركوا، واستولى عليهم الخذلان واحل عليهم بخيله ورجله الشيطان، فزينوا لمن لاتحصيل لهم ولقوم امنين لاعلم عندهم، فقالوا بخلق القرآن واستيأسوا وايسوا من روح الله [ولاييأس من روح الله الا القوم الكافرون] (2) واكثروا الجدال في ايات الله وحرفوا التأول في حديث رسول الله ﷺ فبرئت منهم الذمة بقوله، تقدست اسماؤه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ

---

(1) ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ سورة الشورى: الاية 13.

(2) ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ سورة يوسف: الاية 87.

﴿ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1] الى قوله ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[2]، فهذا ابلغ الوعيد وافظع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير [ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله] الى قوله [عذاب الحريق][3]، ثم تجاوزوا في البهتان، وسدو على انفسهم ابواب الغفران، فاكذبوا التوبة وابطلوا الشفاعة ونالوا محكم التنزيل وغامض متشابه التاويل بتقدير عقولهم، [فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله] الى قوله [ومايذكر الا اولوا الالباب][4] فصاروا بجهل الاثار وسوء حمل الاخيار الى القدح في الحديث وترك نهج السبيل، فأساؤوا الفهم عن العلوم، واقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، واستبدلوا على نقلة الحديث، ووضعوا من الكتب اوضعها وتابعوا شهواتهم فيها وتتابعوا فيما اوبقهم وورطهم ورأوا [ ][5] لتخضع وحشية يحثها لازم الضلالة وداعية الهلكة والشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في دين ولا رسوخ في علم

---

(1) سورة غافر، الاية 69، 70.

(2) سورة غافر، الاية 71، 72.

(3) ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ سورة الحج: الاية9.

(4) ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ سورة آل عمران: الاية 7.

(5) هكذا وردت في النص.

حتى تركوا رد السلام على المسلمين، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهليين، خلافاً على ادب الله تعالى وقوله جل جلاله [واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها][(1)] وقالوا بالاعتزال عن العامة ازره فاثروه وانكشفوا فنكرهم [الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه][(2)]، فلحو في جهالتهم وتاهوا في غيهم ونكسوا على رؤوسهم حقداً على الامة الحنيفية، واعتقاداً لبغضتها، واستحلالاً لدمائها، وتذرعاً الى انتهاك حرمها وسبي ذراريها، [قد بدت البغضاء من افواهم، وماتخفي صدورهم اكبر][(3)] لولا ان سيف امير المؤمنين من ورائهم ونظره محيط بهم، ولما صار غيهم فاشياً وجهلهم شائعاً، واتصل بامير المؤمنين من قدحهم في الديانة وصدوفهم عن الجادة ماشغل نفسه واقصر مضجعه واسهر ليله، اغلظ امير المؤمنين في الاخذ فوق ايديهم، واوعز ايعازاً شديداً وانذر انذاراً فظيعاً وعهد عهداً مؤكداً شافياً كافياً، نظر به لوجهه، تبارك اسمه، وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد وامر بقراءة هذا على المنبر الاعظم بحضرته، ليقرع قلب الجاهل، ويفت كيد المستهتر الحائر، وينقض عزم المعاند المعاجل، ويضطر الغواة الى الانابة

---

(1)﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ سورة النساء: الاية86.

(2)﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ سورة الزمر: 18

(3)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة آل عمران: 118.

الصحيحة التي تقبلها الله منهم، او يكشف عن الأذهان سرائرهم فيكون عليهم الشهيد ويأتيهم عذاب غير مردود، ورأى امير المؤمنين ان يشمل بنظره اقطار كوره ويرسله في بدوه وحضره، وان ينفذ عهوده اليك والى سائر قواده وجميع عماله بها، يقرأ على منابر المسلمين ولايحرم القاصي باعم الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهة وفتنة، فلم تحل الديار ولاتعفت الاثار ولا استحق البلاء على قوم ولا أهلك الله امة من الامم الا بمثل ما انكشف به هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن العظيم واحاديث الامين، صلوات الله عليه وسلم، هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك وانشره في اسماع رعيتك، وتتبع هذه الطائفة بجميع اعمالك وابثث فيهم عيونك، وطالب فيهم غورهم جهدك، فمن تجلى بطبقتهم ان انتسب اليهم وقامت عليه البينات بذلك عندك فاكتب الى امير المؤمنين باسمائهم ومواضعهم واسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجلابهم الى باب سدته، لينكلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حر صدره، واياك ان تداهن في اهل الريبة وتتخطاهم الى ذوي السلامة والاحوال الصالحة، فان فرطت في احد الامرين او كليهما فقد برئ الله منك واحلَ دمك، فاعلمه واعتلمه ان شاء الله تعالى وقد بلغ بكتاب امير المؤمنين الناصر وسمعت به فرقة المسرية ولم تتحدث او تتكلم هذه الفرقة بمذهبهم طيلة ايام الناصر.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 658هـ).

1) الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، (القاهرة، 1963).

2) اعتاب الكتاب، تح: صالح الاشتر، (دمشق، 1961).

ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (630هـ).

3) الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965).

الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو.

4) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه: مكي السيد جاسم، ط2، (بغداد، 1964).

الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ).

5) تهذيب اللغة، (القاهرة، 1964).

الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ).

6) الاغاني، (بيروت، بلا. ت).

ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد (ت668هـ).

7) عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزار رضا، (بيروت، 1965).

الاعثم الكوفي، ابو محمد بن اعثم (ت314هـ).

8) الفتوح، دار الندوة، (بيروت، 1970)، مصور عن دائرة المعارف العثمانية.

البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ).

9) صحيح البخاري، تح: قاسم الشماع، دار القلم، (بيروت، 1987).

ابن بسام الشنتريني (ت524هـ).

10) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفي عبد البديع، (القاهرة) 1975).

البستاني، الشيخ عبدالله بن ميخائيل بن ناصيف (ت 1348هـ).

11) البستان، معجم لغوي، المطبعة الامريكية، (بيروت، 1927).

البكري، ابو عبد الله عبد العزيز (ت487هـ).

12) جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبدالرحمن علي الحجي، دار الارشاد، (بيروت ،1968).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)

13) انساب الاشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1959).

14) فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه: د. صلاح الدين المنجد، دار طباعة مكتبة النهضة العربية، (القاهرة، 1956).

البهائي الغذولي، علاء الدين علي بن عبد الله.

15) مطالع البدور في منازل السرور، ط1، مطبعة ادارة الوطن، 1299هـ/ 1881م.

الترمذي، محمد بن عيسى (279هـ).

16) سنن الترمذي، تح:احمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي، (بيروت،ب.ت).

ابن تغري بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت 874هـ).

17) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة، بلا. ت).

الجاحظ، ابو عمرو بن بحر (ت 255هـ).

18) البيان والتبين، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي،(القاهرة، 1975).

الجرجاجني، علي بن محمد (ت 816هـ).

19) التعريفات، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ب. ت).

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ).

20) تاريخ عمر، دار الرائد العربي، (بيروت، 1982).

21) المنتظم في اخبار الملوك والامم، حققه وقدم له: الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، (بيروت، 1995).

22) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، تح: السيد الجميلي، مكتبة الهلال، (القاهرة، 1985).

ابن حبيب، عبدالملك (ت238هـ).

23) افتتاح الاندلس، تح: محمود علي مكي،مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، العدد 1 ـ 2 (مدريد، 1957).

ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت852هـ).

24) شرح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثـر، مصـححاً بمعرفـة لجنـة مـن علماء الازهر برئاسة الاستاذ الشيخ احمد سعد علي، مطبعـة مصـطفى البابي الحلبي واولاده، (مصر، 1934م/ 1352هـ).

25) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح :محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، (بيروت،1379هـ).

ابن ابي الحديد، عز الدين ابي عامر المدائني (ت656هـ)

26) شرح نهم البلاغة، دار الكتب العربية الكبرى، (مصر، بلا. ت).

ابن حزم الاندلسي (ت456هـ).

27) الفصل في الملل والاهواء والنحل، صححه وذيله: عبدالرحمن خليفة، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر، 1347هـ- 1982م). و طبعـة مؤسسة الخانجي، (القاهرة، بلا. ت).

28) نقـط العـروس، تـح: شـوقي ضـيف، مجلـة كليـة الاداب، (جامعـة القاهرة، 1951).

29) جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت).

الحميدي، عبدالله بن الزبير ابو بكر (ت219هـ).

30) المسند، تح:حبيب عبدالرحمن الاعظمي، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا. ت).

الحميدي، ابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله (ت 488هـ).

31) جـذوة المقتـبس في ذكـر ولاة الانـدلس، (الـدار المصـرية للتـأليف والترجمة، 1966).

الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت 710هـ).

32) الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937).

ابن حنبل، احمد (ت241هـ).

33) المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت).

ابوحنيفة الدينوري، احمد بن داود (ت282هـ).

34) الاخبار الطول، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، (القاهرة، 1960).

ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ).

35) صورة الارض، (بيروت، 1979).

ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ).

36) المقتبس من انباء اهل الاندلس، تح: الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1393هـ- 1973م).

37) المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965).

38) المقتبس تحقيق شالميتا، كورنيطي، محمود صبح، نشر المعهد الاسلامي العربي للثقافة، (مدريد، 1979).

ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد (535هـ).

39) مطمع الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تح: هدى شوكت بهنام، ط1، دار الغصون، (بيروت1409هـ، 1989م).

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت300هـ).

40) المسالك والممالك، (بيريل، 1889).

الخزرجي، صفي الدين احمد بن عبد الله الانصاري (ت 923هـ).

41) خلاصة تهذيب الكمال (حلب، 1979).

الخشني، ابو عبدالله (ت 361هـ).

42) قضاة قرطبة، دار المصرية، (القاهرة، 1966).

ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد (ت776هـ).

43) الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973).

44) اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965).

45) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: احمد مختار العبادي، مراجعة: عبدالعزيز الاهواني، دار الكتاب للطباعة والنشر، (القاهرة، بلا. ت).

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ).

46) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذويَ ألسلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979).

47) المقدمة، دار احياء التراث العربي، (بيروت، بلا. ت).

ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ).

48) وفيات الاعيان، تح: محي الدين عبدالحميد، (بيروت، 1978).

ابن خياط، خليفة (ت240هـ).

49) تاريخ خليفة بن خياط، تـح: اكـرم ضـياء العمـري، مطبعـة الاداب، (النجف، 1386هـ- 1967م).

ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت 275هـ).

50) سنن، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، (بـيروت، دار احيـاء الـتراث العربي، ب.ت).

ابن دحية الكلبي البلنسي (ت633هـ).

51) المطرب من اشعار المغرب، تح: الابياري وآخرون، المطبعة الاميريـة، (القاهرة، 1955).

الدمشقي، الامام محمد بن احمد بدر الدين.

52) الدرة البهية، تح: محمد محـي الـدين عبدالحميـد، مكتبـة محمـد علـي صبيح، (مصر، بلا. ت).

ابن ابي دينار، ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني.

53) المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تح وتعليق: محمد شمام، مطبعة 20 مارس، (تونس، 1387هـ- 1967م)

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)

54) سير اعلام النبلاء، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، 1955).

الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر (ت721).

55) مختار الصحاح، تح: محمود فاخر، مكتبة لبنـان، (بـيروت، 1415هـ- 1995م).

الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت425هـ).

56) مفردات الفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت ، 1412 هـ- 1992م.

الرجراجي، ابو حفص عمر بن موسى بن محمد.

57) هداية من تولى غير الرب المولى، تحقيق وترجمه الى الاسبانية: براوليو فوستيل كلابوثو، نشر المعهد الاسباني العرابي للثقافة، (مدريد، 1983).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205 هـ).

58) تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1889م) الزمخشري، ابو القاسم محمد بن عمر (ت258هـ)

59) اساس البلاغة، (القاهرة، 1960).

ابن ابي زمنين الامام ابي عبد الله محمد بن عبدالله (ت 399هـ).

60) قدوة الغازي، دراسة وتحقيق:عائشة السليماني، جامعة الجزائر، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1989).

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ).

61) معيد النعم ومبيد النقم، (بلا مكان، بلا. ت).

ابن سعد، محمد بن منيع (ت 230هـ).

62) الطبقات الكبرى، تقديم: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلا. ت).

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ).

63) المغرب في حلى المغـرب، تـح: شـوقي ضـيف، دار المعـارف بمصـر، (القاهرة، 1953).

السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ).

64) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمـد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955).

ابن سماك العاملي الغرناطي (من اهل ق 8 هـ).

65) الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تح: د. محمود علي مكي، (مدريد 1404هـ، 1984م).

ابن سيدة، علي بن اسماعيل (ت 458هـ)

66) المحكـم والمحيط الاعظـم في اللغـة، مطبعـة مصـطفى البـابي الحلـبي، (القاهرة، 1958م).

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت911هـ).

67) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحـاة، تحقيـق: محمـد ابـو الفضـل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (1384هـ- 1964م).

68) تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1952م).

الشافعي، ابي عبدالله محمد بن ادريس (ت 204هـ).

69) ديوان الامام الشافعي، جمعه وعلق عليه، محمد عفيف الزعبي، الناشر، دار العلوم الحديثة، بـيروت، لبنـان، ومكتبـة الشـرق الجديـد، بغـداد، العراق، 1985.

الشاطبي، الشيخ الامام ابو اسحق.

70) الاعتصام، تح: رشيد رضا، (بلا مكان، 1332هـ).
ابو شجاع الديلمي (ت509 هـ).
71) الفردوس بمأثور الخطاب، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1986).
الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت429هـ).
72) الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، (مصر، 1381هـ- 1961م).
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ).
73) نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار في احاديث سيد الاخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (مصر، بلا.ت).
صاعد الاندلسي، ابو القاسم (ت 462هـ).
74) طبقات الامم، نشر: لويس اليسوعي، (النجف، 1967).
الضبي، احمد بن يحيى (ت 599هـ).
75) بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، مطبعة روخس، (مدريد، 1884).
الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ).
76) تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر، 1960).
الطرطوشي، محمد بن محمد بن الوليد (ت520هـ).
77) سراج الملوك، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر، (القاهرة، 1935).

الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي.

78) النهايـة في مجـرد الفقـه والفتـاوي، دار الكتـاب العربـي، (بـيروت، 1970).

ابن عابدين، محمد بن عمر بن عبد العزيز.

79) رد المحتار على الدر المختار شرح تنـوير الابصـار في فقـه ابـي حنيفـة المعروف بحاشية ابن عابدين، طبع مصـطفى البـابي الحلـبي، (القـاهرة، 1966).

ابن عبد البر القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبدالله (463هـ).

80) بهجة المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تح: محمـد مرسـي الخـولي وعبدالقادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بلا. ت).

ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت328 هـ).

81) العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، (بيروت، 1968).

ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ).

82) كتاب الاموال، تح: محمد خليل، دار الفكر ط2، (بيروت، 1395هـ-1975م).

83) ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ).

البيـان المغـرب اخبـار الانـدلس والمغـرب، تـح: ج.س. كـولان، وأ. ليفـي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980).

العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ).

84) ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلـدان والمسـالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأنـدلس)، تـح: عبـد العزيز الاهـواني، منشـورات معهـد الدراسـات الإسـلامية في مدريـد (مدريد، 1969).

ابن عربي، محي الدين (ت638هـ).

85) الوصايا، (دمشق، 1956).

العسكري، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل.

86) كتاب الاوائل، تح: محمد السيد الوكيل، (بلا. مكان، بلا. ت).

ابن العماد الحنبلي ابو الفلاح عبدالحق (1089هـ).

87) شـذرات الـذهب في اخبـار مـن ذهـب، المكتـب التجـاري للطباعـة والنشر، (بيروت، بغداد، بلا. ت).

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر.

88) المختصـر في اخبـار البشـر، المطبعـة الحسـينية، مصـر، (القـاهرة، 1325هـ).

الفراهيدي، ابي عبدالرحمن الخليل بن احمد (ت175هـ).

89) العين، تح: د.مهـدي المخزومـي ود.ابـراهيم السـامرائي، دار مكتبـة الهلال، (بلا. مكان، بلا. ت).

ابن فرحون، برهان الدين بن ابراهيم بن علي (ت 799هـ).

90) الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تـح: الـدكتور محمـد الاحمدي ابو النور، (القاهرة، 1974).

ابن الفرضي، عبدالله (ت403هـ).

91) تاريخ علماء الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، 1966).

الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب (ت718هـ).

92) القاموس المحيط، (بلا.مكان، بلا. ت).

القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت 356هـ).

93) كتاب الامالي، (دمشق، بلا. ت).

ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم (276هـ).

94) الامامة والسياسة (المنسوب اليه) تح: طه محمد الزيني، مطابع سجل العرب، (القاهرة، 1967).

ابن قدامة، ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمد (ت328هـ).

95) المغني على مختصر ابي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله، تحقيق: طه محمد الزيني، (القاهرة، 1966).

القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي (646هـ).

96) تاريخ الحكماء، تح: جوليوس ليبرت، (ليبزك، 1903).

القلقشندي، احمد بن علي (ت821 هـ).

97) مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تح: عبدالستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت، 1964).

98) صبح الاعشى في صناعة الانشا، تح: يوسف على الطويل، دار

الكتب العلمية، (بيروت، 1987 وطبعة اخرى، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1333هـ).

ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ).

99) تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، 1957).

الكاساني، علاء الدين ابي بكر بن مسعود الحنفي.

100) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب، (بيروت، 1982).

ابن كثير،ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ).

101) البداية والنهاية، تح: احمد ابو ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، ط4، (بيروت، 1988).

ابن الكردبوس، عبدالملك، (من علماء القرن السادس الهجري).

102) قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط) تح: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، 1971).

مؤلف مجهول.

103) اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية، طبع بمطبعة نهضة مصر، (القاهرة، 1981).

مؤلف مجهول.

104) ذكر بلاد الاندلس، حققه وترجمه للاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983).

مؤلـف مجهـول، مدونـة عبـدالرحمن الناصـر، تـح: ليفـي بروفنسـال وترجمـة للإسبانية: اميليو كارثية كومث، (مدريد، غرناطة، 1950).

مؤلف مجهول.

105) مفاخر البربر، نشر: بروفنسال، (الرباط، 1937).

الماوردي، علي بن محمد (ت 405 هـ).

106) الاحكام السـلطانية والولايـات الدينيـة، طبعـة الحلـبي، (القـاهرة، 1966).

المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت647هـ).

107) المعجب في تلخيص اخبار المغـرب، تحقيـق: محمـد سـعيد العريـان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963).

المسعودي، ابي الحسن على بن الحسين (ت346هـ).

108) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الـدين، (بـيروت، المكتبة الاسلامية، بلا. ت).

109) التنبيه والاشراف، صححه وراجعه: عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتاليف، (مصر، 1938).

مسلم، الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت269هـ).

110) صحيح مسلم، تح: عبدالله احمد ابو زينة، كتاب الشعب، (القـاهرة، بلا. ت).

بن المطرز، ابو الفتح ناصر الدين بن السيد بن علي (ت610هـ).

111) المغرب في ترتيب المعـرب، تـح: محمـود الفـاخوري وعبـد الحميـد المختار، مكتبة اسامة بن زيد، (حلب، 1979).

المقدسي، محمد بن احمد (ت380).

112) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1960م).

المقري، احمد بن محمد بن علي (ت770هـ).

113) المصباح المنير، المكتبة العلمية، (بيروت، بلا. ت).

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ).

114) ازهار الرياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، 1939-1940).

115) نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ- 1968).

ابن منظور، محمد بن مكلام بن منظور الافريقي (ت711هـ).

116) لسان العرب، دار صادر، (بيروت، بلا. ت).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ)

117) نهاية الارب في فنون الادب، تح: محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية، (القاهرة، 1975).

ابن هذيل الغرناطي.

118) تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس، مصور لويس مرسي، (باريس، 1932).

ابن هشام ابو محمد عبد الملك (ت 218هـ).

119) السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون، دار الفكر، (بيروت، 1986).

الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر(ت207هـ).

120) مغازي رسول الله، مطبعة السعادة، (مصر، 1948).

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ).

121) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، بلا.ت).

122) البلدان، مطبعة ليدن، (بريل، 1891).

ابو يعلى، محمد بن الحسين الحنبلي (ت458هـ).

123) الاحكام السلطانية، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (مصر، 1966).

ابو يوسف، يعقوب بن اسماعيل (ت 182هـ).

124) الخراج، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1352هـ).

المراجع الثانوية

احسان، عباس.

125) تاريخ الادب الاندلسي- عصر سيادة قرطبة-، دار الثقافة، (بيروت، 1960).

ادهم، علي.

126) عبد الرحمن الناصر، دار القدس، بيروت، (بلا.ت).

باربر، فيفل.

127) اثر القوة البحرية، صحيفة معهد الدراسات، مج 4، (مدريد، 1959).

بدر، احمد

128) تاريخ الاندلس عصر الخلافة، (دمشق، 1979).

129) دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها، (دمشق، 1972).

البدري، عبد العزيز.

130) الاسلام بين العلماء والحكام، منشورات المكتبة العلمية، (المدينة المنورة، بلا. ت).

بروكلمان، كارل.

131) تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، 1968).

البستاني، بطرس.

132) محيط المحيط، (بيروت، 1870م).

البوطي، محمد سعيد رمضان.

133) فقه السيرة، الناشر مكتبة الشرق الجديد، (بغداد، بلا. ت).

بول، ستانلي لين.

134) طبقات سلاطين الاسلام، ترجمه للفارسية عباس لقبال، وترجمه عن الفارسية مكي ماهر الكعبي، حققه وقابله على البصري، دار منشورات البصرى، (1388هـ- 1968م).

بيضون، ابراهيم.

135) الدولة العربية في اسبانيا، (بيروت، 1978).

136) ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري، (بيروت، 1979).

جومرد، عبد الجبار

137) هارون الرشيد، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، مطبعة دار الكتب، (بيروت، 1956).

الحجي، عبد الرحمن علي.

138) اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969).

139) التاريخ الاندلسي، دار القلم، (دمشق، 1976).

حمادة، محمد ماهر.

140) الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمالي افريقية دراسة ونصوص، منشورات مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1980).

خطاب، محمود شيت.

141) جيش المسلمين في عهد بني امية، دار الفتح للطباعة والنشر، (بيروت، 1966).

الخطيب، اسعد.

142) البطولة والفداء عند الصوفية، دراسة وتقديم الدكتور عبدالكريم اليافي والشيخ ياسين الخطيب والاستاذ محمد هشام برهاني، توزيع دار الفكر، (الشام، بلا. ت).

الدحلان، احمد بن زيني.

143) الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، بلا.ت).

الدوري، ابراهيم ياس خضر.
144) عبدالرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الداخلية والخارجية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1984).
الدوري، عبد العزيز.
145) النظم الاسلامية، (بغداد، 1950).
146) دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، (بغداد، 1945).
147) النظم الاسلامية، دار الكتب للطباعة، (بغداد، 1988).
دوزي، رينهارد.
148) تاريخ مسلمي اسبانيا، تعريب: حسن حبشي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (القاهرة، 1963).
الراشد، عبد الجليل عبد الرضا.
149) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والاندلسية في القرنين الثاني والثالث الهجري، (الرياض، 1389 هـ- 1969م).
رينو، جوزيف.
150) تاريخ غزوات العرب، ترجمة: شكيب ارسلان، (بيروت، 1966).
الزحيلي، وهبة.
151) الوصايا والوقوف في الفقه الاسلامي، دار الفكر، (دمشق، 1987).
سالم، عبد العزيز.
152) تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، ط1، دار النهضة، (بيروت، 1969).

153) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، (لبنان، 1962).

السامرائي، خليل ابراهيم.

154) الثغر الاعلى الاندلسي، (بغداد، 1976).

السامرائي، خليل ابراهيم واخرون.

155) تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986).

الشعراوي، احمد ابراهيم.

156) الامويون امراء الاندلس الاول، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1969).

الصابوني، محمد بن علي.

157) صفوة التفاسير، دار القران الكريم، (بيروت، بلا. ت).

الصوفي، خالد.

158) تاريخ العرب في اسبانيا، تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الاموية في الاندلس، منشورات مكتبة دار الشرق، (حلب، 1963).

طه، عبد الواحد ذنون.

159) دراسات في التاريخ الاندلسي، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1987).

160) دراسات اندلسية، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1986).

161) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس،

الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982).

عاشور، سعيد عبدالفتاح.

162) اوربا العصور الوسطى، (القاهرة،1961).

العبادي، احمد مختار.

163) في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971).

164) الصقالبة في أسبانيا، وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، 1953).

165) في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1982).

العبادي، احمد مختار وسالم، السيد عبد العزيز.

166) تاريخ البحرية الاسلامية في البحر الابيض المتوسط، دار النهضة العربية، (مصر د.ت).

العبادي، عبد الحميد.

167) المجمل في تاريخ الاندلس، مطبعة السعادة، بمصر، (القاهرة، 1958).

عبد الناظر، محسن بن حمد.

168) حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة، (الكويت 1409هـ-1989م).

عبد الله، الشيخ عبد الرحمن.

169) المـنهج المسـلوك في سياسـة الملـوك، مطبعـة الظـاهر، (القـاهرة، 1326هـ).

العجلاني، منير.

170) عبقرية الاسلام في اصول الحكم، دار النفائس، (بيروت، 1405هـ 1985م).

عدوى، د. ابراهيم احمد.

171) الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط، (القاهرة، 1963).

العفيفي، طه عبد الله.

172) مـن وصـايا الرسـول، دار الـتراث العربـي، (القـاهرة،1401هـ- 1981م).

عنان، محمد عبدالله.

173) دولة االاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969).

عون، عبد الرؤوف.

174) الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، (مصر، 1961).

عيسى، محمد عبد الرحيم.

175) تاريخ التعليم في الاندلس، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1982).

ابوغدة، عبد الفتاح.

176) الرسول المعلم، دار البشائر الاسـلامية للطباعـة والنشـر والتوزيـع، الناشر مكتبة المطبوعات الاسلامية، (حلب، 1417هـ- 1996).

الفريح، سهام.
177) الوصايا في الادب العربي القديم، (الكويت، 1988).
ابو الفضل، د.محمد احمد وسالم، د.عبد العزيز.
178) تاريخ مدينة المرية الاندلسية في العصر الاسلامي، الهيئة المصرية، الاسكندرية، 1981.
فوزي، فاروق عمر.
179) الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، منشورات مكتبة المثنى ط2، (بغداد، 1977).
180) العباسيون الاوائل، دار الارشاد، بيروت، (1390هـ/ 1970م).
فهمي، عبد الرحمن.
181) فجر السكه العربية، (القاهرة، 1965).
الكوثري، محمد زاهد.
182) من عبر التاريخ، اعتنى به وعلق عليه اياد احمد، دار الفتح عمان، (الاردن، ط1،1421هـ- 2000م).
ليفي بروفنسال.
183) الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956.
محمد، صالح.
184) يحيى بن الحكم الغزال، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1979).

المرابط، جواد.

185) عبر وعبرات من دمشق الاندلس، (بيروت، 1969).

موسى، محمد يوسف.

186) نظام الحكم في الاسلام، دار الحمامي للطباعة ط2، (القاهرة، 1964).

النخيلي، درويش.

187) السفن الاسلامية على حروف المعجم (الاسكندرية، 1974).

النصولي، انيس زكريا.

188) الدولة الاموية في قرطبة، (بغداد، 1926).

هيرنانديس، ميغيل كروز.

189) الفكر الاسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية (دراسة شاملة)، مركز دراسات الوحدة العربية، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت، 1999).

هيكل، احمد.

190) الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، (القاهرة، 1979).

المصادر الاجنبية:

191) Levi Provencal, Historia de espana, (Espana Musulmanl k Madrid, 1976).

192) طه، عبد الواحد ذنون.

193) قيام الممالك الاسبانية وعلاقتها مع العرب في الاندلس، مجلة اوراق، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، اسبانيا، العدد5-6، لعام 1982،1983.

العبادي، د. احمد مختار.

194) صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والاندلس، مقالة مجلة البينة، الرباط، 1962-1963.

عثمان، محمد عبد العزيز.

195) البحرية العربية في الاندلس، منذ بداية تاسيسها الى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر مقالة في مجلة المورد، عدد خاص بالفكر العسكري عند العرب، العدد 4، المجلد 12، (بغداد 1404هـ، 1983).

فوزي، عمر فاروق.

196) دراسة مقارنة بين النزعة العربية الاسلامية المقاومة للظلم والنزعة الفارسية المستكينة له، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد السابع والعشرون، (بغداد، 1406هـ، 1986م).

كمال ابراهيم جعفر.

197) مؤلفات ابن مسرة، مجلة كلية التربية، مصر، السنة 3، لسنة 1973.

مؤنس، حسين.

198) غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي 229- 245هـ، العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

199) المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد1، العدد1، 1951.

الرسائل الجامعية:

الدليمي، احمد صالح.

200) تنظيمات الجيش في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، 1989.

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية

لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

دراسة تاريخية تحليلية

الأستاذ المساعد الدكتور
رياض أحمد عبيد العاني
الجامعة العراقية/ كلية الآداب



دار دجلة
ناشرون وموزعون

عمّان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: 96264647550+ خلوي: 962795265767+
ص ب: 712773 عمان 11171 الأردن
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com

designed by
M. Khudair

9789957714833